الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامعـة محمد خيضر – بسكرة –
كليـة الآداب و اللـغات
قسم الآداب و اللغة العربية

تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
أشواق تريعة

إشراف الأستاذ الدكتور:
امحمد بن لخضر فورار

أعضاء اللّجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الـرتبـة	الجـامعـــة	الصفـــة
01	حياة معاش	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	رئيسا
02	امحمد بن لخضر فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا و مقررا
03	هنية جوادي	أستاذ محاضر - أ-	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
04	على كرباع	أستاذ محاضر - أ-	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
05	نبيلة تاوريريت	أستاذ محاضر - أ-	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
06	يوسف العايب	أستاذ محاضر - أ-	جامعة الوادي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1440/1439هـ
2019/2018م

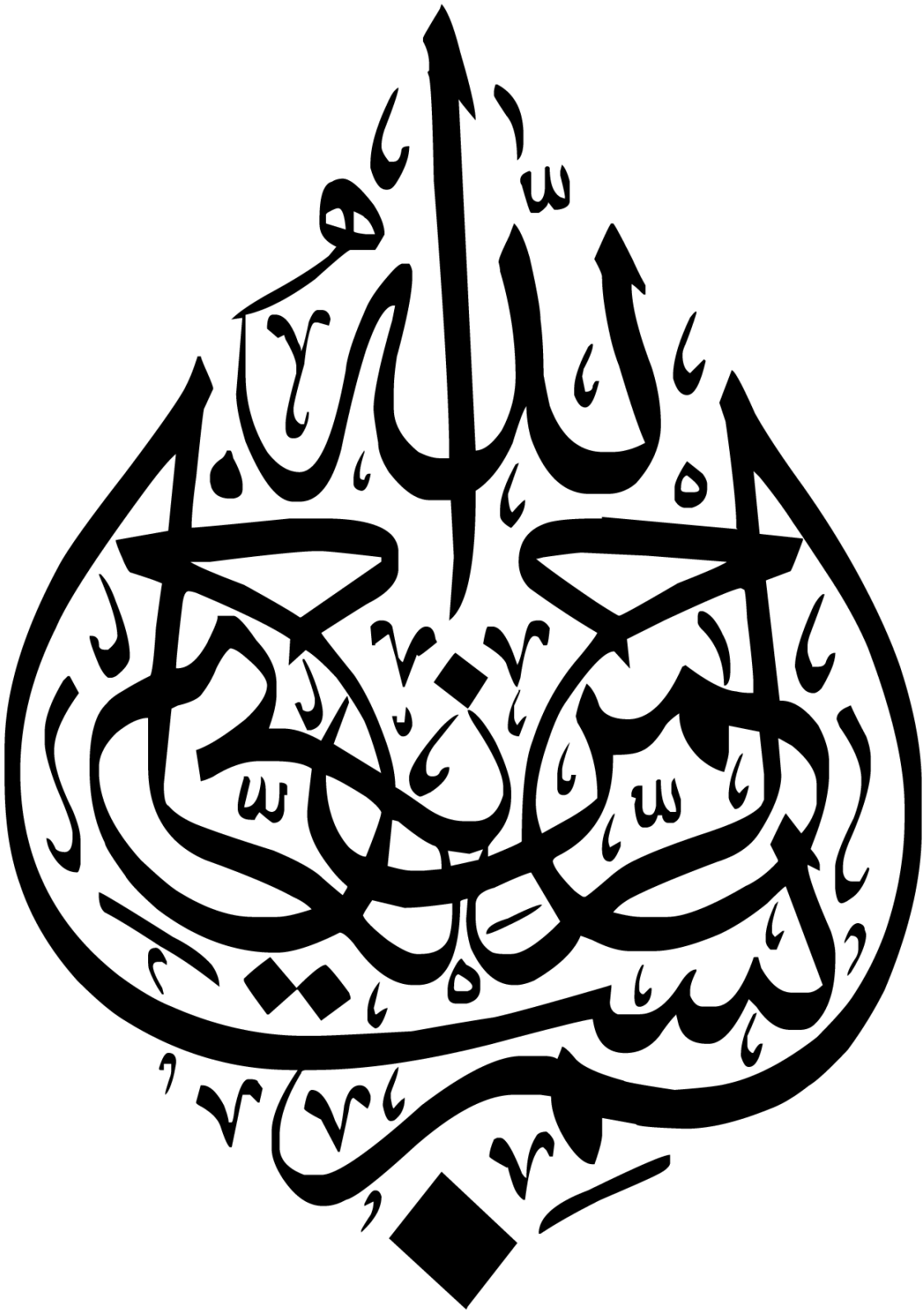

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۝٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ

أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا

لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤ ﴾

﴿صدق الله العظيم﴾

فاطر الآية: 34.

إهـــــــداء إلـى...

اللّذانِ كانا سبب وجُودي ولولاهما لكنتُ نسيًا منْسِيًا..... **والديّا حفظهما الله ورعاهما.**

إلى الذين لم يكن لي ولا لغيري كيانٌ ولا وجُود من دونهم، إلى الذين جعلونا نستنشقْ نسيم الحرية، إلى الذين قصرنا في أمانتِهم، فعُذرًا وألفُ عذرْ..... **شُهـدائنـــا الأبْـــــرار.**

إلى روحِ الذين ودّعُونَا واخْتارُوا من الثّرى نزلاً لهُم، حين رحلُوا وتركوا في العيون دمعًا لا يجفُ، وفي الأفئدةِ حسراتٍ لا تنضب يفتأ الزّمان يسْتحضرهُم، والمكان يبحث عنهم، فصرنا لا نراهم إلاّ في أحلامنا، ولا يسمعوننا إلاّ في دعائنا، إلى كل هؤلاء:

إخْـوتِي الغَـوالِي... جدي وجدتي، إلى رمز التفاؤل والعطاء، ونبراسِ العلم والنّجاح، صديقتي... **خيّـريـة.**

إلى الذين شاركوني دفء العائلة، وتقاسمتُ معهم حلو الأيّام ومُرّها

إخْـوتِـي الأعِـــزاء.

إلى كل من حفزني وشجعني بدعاء أو ساندني بكلمة طيبة، أخص بالذكر : ابنة عمّي **فطيمة جعيدر، فوزية موسي، كنزة بوشريط، سعاد غيابة، ماجدة بوليفة، جميدة بوعافية، سميرة حفاص، راجية غانية، ....**

إلى كلِّ زميلاتي وزملائي بقسم الآداب واللّغة العربية جامعة محمد خيضر" بسكرة ".

إلى رهبانِ العلم والمرابطين على تنويـــرِ العقُـــولِ وهـدايتهـــا..... **المعلِّميـــن والأساتـذة.**

إلى كلِّ إنسانٍ يسعى جاهدًا ليُقاومَ ضعْفهُ وينْتفِضَ من يأْسهِ ويسْتغِل كُلَّ لحْظةٍ منْ لحظاتِ حياتِهِ لِيُدْركَ التغْيير، ويُصْبِح إنْسانًا أفضل.

إلى هؤلاء جميعًا أهْدي ثمـرة جهدي.

أشواق

شكـــــر وعـــرفـــــان

شكـــر وعــرفــان

من لا يشكر النّاس لا يشكر الله، يطيب لي من هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور **احمد بن لخضر فورار** الذي رعى هذا البحث بمتابعته المنيرة وتوجيهاته القيّمة، وأفاض عليّ من آرائه السّديدة، فجزاه الله عنّي خيـر الجزاء وأمـد الله في عمــره ونفع به وبعلمه.

وأشكر كل من أسدى لي نصحًا أو قدّم لي مساعدة برأيٍ أو مشورةٍ أو توجيهٍ أو دعوةٍ صادقة بظهر الغيب، فلهم جميعًا جـزيـلُ الشكـر والتقديـــر ومن الله تعالى أعظم الثواب والأجر.

وإلى كـل أســـاتـذة قســـم الأدب العــربي بجـامعـة محمـد خيضـــر

فجزى الله هؤلاء جميعًا خير الجزاء.

مـــــقـــــدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد...

ظلّ الحزن رفيق الإنسان منذ بداية الخلق وتكوينِه، فالإنسان منذ وُجِد وهو يعاني أزمة الحياة بكل تناقضاتها ويُدْرك ما فيها من خيرٍ وشرٍ وشقاء وحزن، فظل شعوره بالإحباط والاكتئاب دائمًا متكررًا في حياته ويومياته، وعادةً ما تكون هذه الآلام نتيجة فقد عزيز أو لحرمان من نعمة أو حلم يُحبه ويريده أن يتحقق، أو أمنية واجهتها صعاب وعراقيل حالت دون أن تتحقق، أو لتوالي الرّزايا والمحن، وقد عبر الشعراء عن أحزانهم بقصائدٍ تنزف ألمًا وحزنًا معبرة عن آهاتهم وجراحهم العميقة، وربما شعر "**أسامة بن منقذ**" خير دليل على أنّ الشعراء هم أكثر فئة عبّرت عن أحزانها، فهو شاعر الدمعة المنسكبة على مآسي الحياة واضّطهاد البشر بلا منازع.

هذا الحزن الذي رسمه الشّاعر في قصائده خلق في نفسِي فضولاً وتساؤلاتٍ حول أسبابه وبواعثه، فكان دافعًا قويًا لاختياري هذا الموضوع، **"تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ"**، إضافة إلى إعجابي الكبير بشخصية الشاعر وبشعره وأسلوبه خاصة عندما وجدت أنّ أغلب الرسائل والأطروحات التي نُوقِشتْ في مختلف الجامعات العربية حول هذا الشاعر لم تهتم بهذه الظاهرة رغم أنّها ميّزت شعره، لذلك اخترت هذه الدراسة علّها تستوفي ولو القليل من حق هذه الشّخصية الأدبية الضّخمة التي ظلّت مجهولة على مستوى المغرب العربي، فسعيّتُ قدمًا لإخراجها من طيّ النسيان إلى نور المعرفة.

ومن خلال بحثي هذا حاولتُ الإجابة عن بعض الإشكالات التي شغلتني منها:

- ماهي الأسباب والدوافع التي جعلت الشاعر " **أسامة بن منقذ** "حزين؟
- كيف شكلت الغربة حس المأساة في شعره؟

- كيف عبر الشاعر " **أسامة بن منقذ** " عن خبرته الأليمة وهو يفجع بفراق الحبيب وامتناعه، وفقد الابن، والاكتواء بسعير الاغتراب عن الوطن والأهل؟
- وكيـف رسم الشاعر الحـزن في قصائده؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى استوى البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

عنونتُ الفصل الأول بـ: " **الشاعر وظاهرة الحزن – الأسباب والدوافع**– اشتمل على الإلمام بحياة الشاعر" **أسامة بن منقذ** "، تعرضت لسيرته في الحياة إنسانًا وشاعرًا، مع إعطاء مفهوم لمصطلح الحزن، مع التطرق لأسباب وبواعث الحزن في شعره، في حين وسمتُ الفصل الثاني بـ:" **تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ** "، تطرقتُ فيه لتتبع ظاهرة الحزن في قصائد الشاعر مع الشّرح والتحليل، أمّا الفصل الثالث: فعنونته: بـ" **شعر أسامة بن منقذ دراسة أسلوبية فنية**"، وذيّلتُ البحث بخاتمة لخصتُ فيها أهم النتائج.

وحسب تصوري للموضوع فإن هذه الدراسة تطلبت تداخل وتكاتف عدة مناهج لكي يخرج البحث إلى الوجود، فاخترت المنهج النّفسي والذي ساعدني كثيرا في الكشف عن الحالة النفسية للشاعر ومدى تأثر شعره بمجريات واقعه الاجتماعي ومحيطه الذي عاش فيه، وأخيرًا المنهج الأسلوبي الذي يلائم طبيعة الفصل الثالث، وقد اعتمدت في إنجاز بحثي هذا على جملة من المصادر والمراجع، أذكر منها:

أسامة بن منقذ: (المنازل والديّار)، الـزوزنـي: (شرح المعلقات السّبع)، ابن خلكان:(وفيات الأعيّان وأنباء أبناء الزّمان)، المسعودي: (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، محمد عدنان قيّطاز: (أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره)، فاطمة

طحطح: (الغربة والحنين في الشعر الأندلسي)، يحيّى شامي: (أرّوع ما قيل في الرّثاء)، بالإضافة إلى دواوين الشعر القديم، ومن الدراسات السّابقة التي استأنستُ بها:

- منى بنت بخيّت بن عويّبد اللّهيبي: الفروسية في الشّعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ – دراسة موازنة– رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: عبد الله بن أحمد باقازي، نوقشت سنة 2008م، جامعة أم القرى.
- نواف الحميدي الرّشيدي: الصورة الفنية في شعر أسامة بن منقذ– الموضوعات والمجالات– رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: حسن محمد الربايعة، نوقشت سنة 2011م، جامعة مؤتة.
- عبد الغني تريكي: ملامح التشكيل الأسلوبي في شعر أسامة بن منقذ (488 م / 584 م) (1095 م / 1188 م) دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: حسن كاتب، نوقشت سنة 2008م، جامعة أم البواقي.

ولاشكّ أن كل باب يطرقه الباحث أو يلجه يكون وراءه غاية يسعى إليها، ومن الأهداف المسطرة من خلال هذه الدراسة:

- الانفعال المأساوي المعبر عن الخبرة المأساوية ظاهرة طبعت البناء الموضوعاتي في شعر " **أسامة بن منقذ** "، فأردت تسليط الضوء على الأسباب والدواعي التي تظافرت في نشوء هذا الحزن.
- إضافة إلى ما يتردد في قصائده من طغيان لحس المأساة جعل شخصيته شخصية مأساوية بحتة.

- سعيّ الدؤوب كباحثة لتقديم ما خطتهُ أناملي ووفقني الله تعالى لتقديمه للجامعة الجزائرية، آملةً أن يضاف هذا الجهد إلى مكتبة الكلية ليكون مرجعًا لطلاب الغد، وليشكل لبنةً تضاف إلى لبنات ذلك الصرح الشّاهق.

ولا يخفى ما تجشّمتُه من مشقة وعناء في انجاز هذه الأطروحة إلاّ أنّها هانت في سبيل انجاز هذا البحث وفي مقابل الاستفادة التي حظيتُ بها من خلال اطلاعي على العديد من المصادر والمراجع القيّمة.

لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور" **امحمد بن لخضر فورار** "، الذي شرفني بتأطِيره لهذه الأطروحة فجزاه الله عنِّي كلّ خيرٍ وأطال الله في عمره خدمة للأدب والأدباء، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل أعضاء اللّجنة المناقشة وإلى كل من قدم لي يد العون من قريبٍ أو بعيدٍ.

وأسأل الله عزّ وجل أن يتمم عملي هذا بالقبول وأن يعفو عن الزّلل، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، ولله الكمال وهو وليُّ السّداد والتوفيق.

الفـصـل الأول

الفصـل الأول

الشّاعر وظاهرة الحزن - الأسباب والدوافع -

أولاً: الـشاعـر أسـامـة بـن منقـذ

1- عــصـــره
2- بـيـئـــتـــه.
3- اسمه ونـسـبه.
4- مـــولـــده.
5- أســـرتـــه.
6- نشـأته وأخبـاره.
7- نشأته الأدبية وآراء شيوخه فيه
8- وفـــاتـــه.

ثانيًا: الحـــــــــــزن

1- مفهوم الحزن لغة واصطلاحًـا.
2- أنـــواع الحـــــــــــزن.

ثالثًا: أسباب الحــزن في شعر أسامة بن منقـذ.

1- التّفـــي وحيـــاة الغـربـــة
2- ضيـــاع مـــالـــه وكتبـــه
3- المـــــــــــــــوت
4- الحـــروب الصـليبيـــــــة
5- الـــــــــــــــزلازل
6- الشّيخـــــوخـة والمـــرض

رابعًا: لمحـة تاريخية عن ظاهرة الحــزن في الشعر العربي

أولاً: الشاعر " أسامة بن منقذ "

تمهيد:

إن العصر العباسي من أكثر العصور التي عاش فيها الأدب مزدهرًا فقد زَيّنت سماؤُهُ الكثير من الشّخصيات البارزة في تاريخ الأدب العربي التي قدمت نتاجًا أدبيًا خلد في أذهان الناس وسكن قلوبهم فترددت على ألسنتهم كثير من الأسماء **كبشار بن برد، أبو نواس، أبو تمام، البحتري، المتنبي،** و" **أسامة بن منقذ** " **(488هـ-584هـ/1095م-1188م)** هذا الأخير الذي تجلّت شاعريته واشتهر بأنّه فارس السّيف والقلم خاصةً لمّا أنتج ديوانًا شعريًا ضخمًا ضمّنه جميع أغراض الشّعر العربي.

الشّاعر" **أسامة بن منقذ** " علم شامخ من أعلام الإسلام جمع بين شرف النّفس وكرم المحتد وصلابة العزيمة ورسُوخ العقيدة، سيفه وقلمه سواء في المضاء وحُسنِ البلاء وذلك بتألق مداده على السُطور هدًى ورشادًا وحكمةً وسدادًا، فيُضيءُ الفكر ويثلِجُ الصّدر فهو بحق ربُّ السّيف والقلم وفارس الشّعراء وشاعر الفرسان وآثاره دليل صدقه الفنّي واقتداره و ابتكاره و إحساسه بالالتزام والانسجام قولاً وفعلاً[1].

1- عصـــــره:

من خلال تاريخ ميلاد الشاعر يتضح جليًا أنّه من مواليد العصر العباسي الرّابع والذي يبدأ بـ: **(447 – 656هـ /1055م-1258م)**.

---

[1] ينظر: محمد عدنان قيطاز : أسامة بن منقذ والجديد من آثاره و أشعاره، دراسات أدبية عربية، منشورات وزارة الثقافة، (د، ط) ، دمشق، سوريا،1998م، ص:09.

1-1 الحيـاة السيـاسيـــة:

بعد انهيار العرش الأموي تظافرت وتكاتفت جميع القوى على دكِّ عرشِ بني أُميّة؛ لأنّ الخلافة بعدهم صارت في أيدِي رجالٍ عاجزين وماجنين، والبلاد تمُرُ بثورةٍ عنيفةٍ يقُومُ بها النّاقِمُون، والشّيعة بالمرصاد تحدهم الآمال المفقودة والآلام التي جرّها عليهم الضّغط والإرهاق، والدماء التي أُريقت من قُلُوبهم غزيرة والموالي بالمرصاد تحُدُهم الأحقاد التي ألهبها في قُلُوبهم تحقير الدولة لهم، وابتزازها لأموالهم، ومخالفتها للعهود التي عُقِدت لهم منذ عهد النُبُوة، إذ لم تُسوهم بالمسلمين وإن أسلمُوا ولم تحترم كيانهم وتقدر قيمتهم، وكان الفرس أشد الموالي نقمةً وانتفاضًا، وقد أخذت النّزعة القومية الإيرانية تتحرك تحت قناع الشّيعة وسرت فكرة الثّورة العلويّة من العراق إلى فارس وانتشرت بنوعٍ خاصٍ في خراسان، فرأى بنُو العبّاس أن الساعة حانت للاستيلاء على الخلافة وهم أبناء عمّ الرّسول[1].

والعصر العباسي الرّابع هو آخر العصور العباسية يبدأ بدخُول (**السّلاجقة***) لبغداد سنة(**447هـ**) وينتهي بدخول بغداد في حوزةِ المغُول سنة (**656هـ**) على يد (**هُولاكُو**) وانتقال الخلافة العباسية إلى مصر، وقد جرت فيه انقلابات سياسية كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في المملكة الإسلامية والأمم الإسلامية[2].

---

[1] ينظر: حنّا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص:521،522.

***السّلاجقة:** مفرد سلجوق وسلجوقيّ : أسرة إسلاميّة تركيّة حكمت إيران وآسيا الصغرى والعراق وسوريّة بين (**429- 700 هـ / 1037 - 1300م**)، تنسب إلى سلجوق زعيم عشائر الغزّو التركمانيّة.(ينظر: عماد الدين الأصفهاني: دولة سلجوق، القاهرة، مصر، 1900م، ص:05،06).

[2] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق: شوقي ضيف، ج3، دار الهلال، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1998م، ص: 08.

ابتدأ هذا العصر أثناء خلافة " **القائم** " وانتهى بوفاة " **المستعصم** " وتميّز بانتقال السّلطان الفعلي إلى أيدي السلاجقة الأتراك الذين أقاموا في بلاد الجبل فكانت أوضاع الخلافة مع هؤلاء السّلاجقة أفضل منها مع بني بويه؛ لأنّهم احترموا الخلفاء تدينًا باعتبارهم على مذهب أهل السنة وأبدوا لهم من مظاهر التّعظيم والإجلال ما يقضِي به منصبهم الدينِي[1].

لم يكن الخلفاء خلال هذا العصر على نمطٍ واحدٍ من القدرة والتّصرف فإنهم منذ عهد المسترشد شرعوا يستردون بعض نفوذهم الفعلي واستقلوا بحكم بغداد والأعمال التابعة لها منذ عهد المقتفي، واستعادوا نفوذهم منذ عهد الناصر واستقلوا بحكم العراق ومكثوا ستة وستين عاما لم يخضعوا فيها لأي سلطان إلى أن قام المغول بتحركهم الواسع منطلقين نحو الغرب يحتلون الممالك ويدمرون المدن حتى وصلوا إلى بغداد فاحتلوها وأسقطوا الخلافة العباسية، وقد مثّل هذا العصر كل من الخلفاء: (**القائم، المقتدي، المستظهر، المسترشد، الراشد، المقتفي، المستنجد، المستضيء الناصر، الظاهر، المستنصر والمستعصم**)[2].

وفي أيامهم قامت دويلات جديدة **كالأيّوبية** سنة(**1174م-1250م)** في مصر والشّام، **والغورية** سنة (**1150م-1206م) والأتابكة** سنة(**1250-1517م)** وغيرها وفي أواخرِ أيّامهم عرفت الخلافة فُتُورًا ووهنًا انْتهى بزحفِ التتار على بغداد بقيادة

---

[1] محمد سهيل قطوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النّفائس، بيروت ، لبنان، ط5، 1426هـ/2005م، ص:35.

[2] المرجع نفسه، ص: 36.

(**هُولاكو**)، واستيلائهم عليها سنة(**656هـ**)، وكان ذلك إيذانًا بسقُوط الخلافة العباسية[1].

فبعد أن كانت الخلافة في قبضةِ الخليفة الذي يحكم العالم الإسلامي في بغداد تفرّق السّلطان إلى دُويلات وممالك، لِكلِ دولةٍ رئيسها ونظامها وجيُوشها وعاصمتها وتوزع الحكم واضطربت أمور العالم الإسلامي تبعًا لتلك السّياسات المتخاصمة المتنافرة في غالب الأحيّان وكان ذلك سببًا في وهنِ المسلمين وضعفهم واستسلامهم للتتار دون مقاومةٍ تُذكر[2]، كما بدأت مقاطعات الخلافة العباسية بالتساقط منذ قيامها، فتشكلت دويلات منها؛ الدولة **الفاطمية (227هـ-909م)** بمصر، الدولة **الحمدانية** سنة(**317هـ-929م**) بحلب نسبة لحمدان[3]، الدولة **الإخشيدية** سنة(**323هـ-935م**) نسبةً للإخشيد محمد بن طغج والي مصر[4] ، الدولة **البويهية** سنة **(334هـ-945م)** نسبة لأبي شجاع بويه، والدولة **المرداسية** في حلب(**414هـ-1032م**) [5]، وفي أيام "**صالح بن مرداس**" كان حصن شيزر لآل منقذ يتوارثونه منذ عام(**474هـ**)، إلى أن ضرب شيزر زلزال سنة(**552هـ**) أتى على من فيها إلاّ أسامة وابنه ممن كانا خارجها بذلك استمرّ حكم " **آل منقذ** " لـ" **شيزر**" **سبع وأربعين سنة ميلادية**[6].

---

(1) سكينة قدور: محاضرات في أدب العصر العباسي، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (د، ط)، 2012م، ص:09،10.

(2) المرجع نفسه، ص:10.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1967م، ص:37،135.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج3، ص:113،143. **ينظر:** شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشام، ج6، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، (د، ت)، ص:21.

(5) ينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، ص:143.

(6) أسامة بن منقذ: لباب الآداب، تح: أحمد محمد شاكر، دار تراثية، القاهرة ، مصر، ط1،1987م، ص:25.

1-2 الحيـــاة الاجتمـاعيـة:

كان مجتمع العصر العباسي الرّابع يتوزعون على ثلاث طبقات طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقُوّاد والوُلاّة ومن يلْحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤُوس التجار والصُنّاع الممتازين، ثُمّ طبقة دنيا تشتملُ على العامة من الزرّاع وأصحاب الحرف الصّغيرة والخدم والرّقيق ويأتي في إثر تلك الطبقات أهل الذمّة[1].

لقد تفنن الخلفاء والوزراء في هذا العصر في بناء القُصُور حتّى ليُشبه بعضُها مدنًا صغرى تمتلئ بالأبنية والأفنية والأساطين والقباب والبساتين والجداول والبرك والنّافُورات، مع التأنُق في أبوابها ونوافذها وشُرفاتها وزخرفةِ حيّطانها بالنُقُوش والصّورة وتعليق السّتائر الحريرية عليها ومع يمُوجُ فيها من البسط والسّجاجيد والطّنافس والمناضد والتُحف المرصعة بالجواهر، وكانت ملايين الدنانير والدراهم تنفق بدون حساب أو بدون رقابة في حفلات القصر، هذه الحفلات التي أمدت القصص في كتاب ألف ليلة وليلة بكل ما يقع في الخيال الواهم من بذخٍ وترفٍ لا ضفاف له [2]، وكان النساءُ حرائر وجواري يبالغن في أناقتهنّ وزينتهنّ، فكنّ يلبسن ثيّاب السّندسِ والإستبرقِ والوشيّ النّفيس من كلِ لونٍ والجواهر من ذهبٍ وفضةٍ وزمرد وياقوتٍ ولؤلؤ...إلخ، كما تفننُوا في المطاعمِ والطّبخ إلى حدٍ كبير تدلُ عليه المصنّفات الكثيرة التي ألّفتْ حينئذٍ في فنِ الطبخ، فكان الخلفاء يأكلون في آنية الذّهب والفضة ومن أهم الأُكلات الشهيرة " **السّكباج، المضيرة، الشّبارقات** "، ومن الأشربة الشهيرة " **الجُلاّب** "وهو شراب ممزوج بماء الورد وغيرها من الأشربة المتعددة والمتنوعة[3].

---

[1] ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، (د، ت)، ص:57.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص:67،68.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:75.

وكانُوا يشغفُون وفي مقدمتهم الخلفاء بضروب كثيرة من الملاهي واللّعب والهزل وكانوا يخرجون للصيّدِ والقنصِ أفواجًا وكان من أشدِ الخلفاء شهرةً وشغفًا بالصّيد الخليفة " **المعتضد** "[1]، فكانت الإماء والجواري في الدُّور والقُصور أكثر من الحصيان وأرقاء الرجال إذ أباح الإسلام للمسلم أن يمتلك ما شاء من الجواري والإيماء وكثير من الرّجال كانُوا يُفضِلُونهُنّ على الحرائرِ؛ لأنهنّ كنّ من أجناسٍ وأشكالٍ مختلفة، كما عُنِي هذا العصر بالغناء والموسيقى ويتضح ذلك من كثرة الكتب المترجمة منذ مطالع العصر في الفن الموسيقي[2].

1-3 الحيـاة الأدبيـــة:

كان العصر العباسي حافلاً بشتى التيارات الفكرية والعلمية والأدبية، وهو عصر النهضة والازدهار فقد ورث العباسيون بني أمية بالغلبة والقهر وثلوا عرشهم بيد صنائعهم من الأعاجم، ولكن كان البَون شاسعًا والفرقُ بعيدًا بين ما هنا وهناك في شتّى المظاهر، في نظام الخلافة وأساليب الحكم ومظاهر الحياتين الفكرية والأدبية[3].

فالأدب في ظلِ" **بويه** " غلبت عليه الروح الفارسية، وقد شجع هؤلاء ووزراؤُهم الأدب وأهله، وتفرّغ بعضهم للأدب والشعر مثل عزّ الدولة وأبي العباس، كما اجتهد الأدباء والشعراء في ظلِ هذه الدولة في التأنُق في الأسلوب واستعمال المحسنات البديعية، فكان **الصّاحب ابن العميد** الذي قلّدهُ الكُتّاب والأدباء واتّبعوا طريقتهُ[4].

---

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص:77،78.

[2] المرجع نفسه، ص:85.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء ، الاسكندرية، مصر، ط1، 2004م، ص:11.

[4] سكينة قدور: محاضرات في أدب العصر العباسي، ص:13.

أمّا في ظلّ " **السّلاجقة** " فسار في طريقه المرسوم له من قبل وإن كان اهتمامهم بالأدب معدومًا، فكان لا ذوق لهم في الأدب والشعر ولا ثقافة لهم في علوم العربية ومعارفها[1]، كما نشأ في هذا العصر فنون جديدة كالنّقد والموازنة والبلاغة وإعجاز القرآن وابتُكِرت فنون أدبية جديدة كالأدب الفلسفي والأدب القصصي إلى جانب شيوع المصطلحات العلمية الجديدة في أساليب بعض الأدباء[2].

يمكن القول أنّ العصر العباسي الرّابع عرف نهضةً أدبية شملت جميع ألوان الفنون ومسّتْ موضوعاته وأفكاره وقوالبه ومعانيه وأخيلته وألفاظهِ...إلخ وتجلّت ملامح ذلك التجديد بقوةٍ في ظلِ الخلافة العباسية وفي ظلِ بعض الدويلات والعواصم الثقافية الأخرى.

1-4 الحيـــاة العـقليـــــة:

يمتاز هذا العصر عمّا تقدّمهُ بانتشار المدارس في العالم الإسلامي وتغيير في طرق التدريس عمّا كانت عليه من قبل؛ لأنّ العلم نضج في الدولة الإسلامية ونبغ العلماء والفقهاء والأدباء في القرون الأولى للهجرة، واشتهر بإنشاء المدارس في الإسلام نظام الملك الفارسي وزير ملك " **شاه السلجوقي التركي** "، وأشهر مدارس ذلك العصر المدرسة النّظامية في بغداد نسبةً إليه، كان لها شأن في العالم الإسلامي ونبغ منها طائفة كبيرة من العلماء[3].

كما انتشر التدوين في هذا العصر وأصبح من ضرورات الحياة، وتعددت أغراضهُ وموضُوعاتهُ، وتنوّعت أشكاله بين كتب مفصلة وأخرى مجملة فكثرت

---

[1] ينظر: سكينة قدور: محاضرات في أدب العصر العباسي، ص:13.

[2] المرجع نفسه، ص:17.

[3] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ص:11.

المصنّفات في شتّى العُلُوم من أخلاق وآداب الملُوك، واتسع مجال البحث في الطب والحساب والجبر والهندسة والكيمياء والفلك والجغرافيا والمنطق وعلم الكلام ومن أشهر المدارس التي عرفها العصر العباسي الرابع أو الثاني كما يطلق عليه البعض المدرسة النظامية ببغداد سنة (**457هـ**)، وفي أواخر العصر العباسي عرفت الحركة العلمية فُتورًا كبيرًا بضعف المماليك واستعجام حكوماتها وتفشى الجهل في الخاصة والعامة حتى جاء التتار اجتث ما بقي للأمة الإسلامية وطمس جهود علمائها وأدبائِها، حيث أحرق ومزّق جُلّ مصنفاتهم ورمى بها في نهري دجلة والفرات[1].

1-5 الحيـــاة الثقـــافيـــة:

كان العهد العباسي من أزهى عصور الحضارة العربية إذ بدأت حركة الترجمة تحملُ إلى العرب تراث الأمم والشّعوب، وبدأ العربي في وعي التفتح الجديد يتطلع إلى العلوم تطلع المتشوق إلى المعرفة، ولا عجب أن تزدهر الحضارة في العهد العباسي إذ لقيت من جهةٍ قلوبًا متعطشة إلى الرقي، ومن جهة أخرى اندفاقًا ثقافيًا جارفًا تحمله إلى مختلف أنحاء البلاد حيثُ شجع الخلفاء والأمراء والوُلاة رجال الفكر والعلم والفن في غير حساب ولا اقتصاد، كما امتدت حركة النّقلِ والترجمة على أوسع نطاقٍ وتولّى أمرها جماعة من العلماء أغدق عليهم الأمراء أموالاً طائلة، وهذه الحضارة في موكِبِ الحياة الجديدة والأنظمة والأخلاق الحديثة تركت أثرًا عميقًا في اللغة والأدب والعلوم والفنون[2].

---

[1] سكينة قدور: محاضرات في أدب العصر العباسي، ص:17،18.

[2] ينظر: حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص: 226،227،527.

كانت الحياة في هذا العصر متطورة ومزدهرة على مختلف الجوانب سواء في الحياة الاجتماعية أو الأدبية أو العقلية أو الثقافية كما ساد الفساد والتبذير والبذخ والتّرف واللّهو...إلخ.

2- بيئتـــه:

كانت " **شَيْزَر**" بفتح الشّين وتسكين الياء وفتح الزّاي أو(**Sizarar**) كما يُسميها الصليبيون البلدة التي ولد فيها " **أسامة بن منقذ** " وقضى فيها فترة من عمره[1]، وهي مدينة في الشّمال الغربي لحماة تبعد عنها خمسة عشر ميلاً، وتقع على هضبة يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاثة وتنهض فيها قلعة شامخة حصينة، وكان لهذه القلعة قيمتها في عصر الحروب الصليبية لمركزها الحربي الحصين ومكانها بين الولايات السورية، فكانت مطمح الطامعين من أمراء المسلمين والصليبيين[2]، و**شيزر** قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تُعَدُ في كورة حمص وهي قديمة من أقدم المدن الشّامية[3]، وهي مدينة كبيرة عظيمة الخيرات والبساتين والفواكه رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حافلة بالأسواق، كما أنّ لها اسم "**سيزار**" في نقوش تل العمارنة المسمارية، وعرّفها اليونانيون باسم سد " **زارا** " وبعدهم البيزنطيون باسم " **شيزر** "

---

[1] ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م، ص:291.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص:293.

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1977م، ص:383.

وعُرفت في القرن الرّابع الهجري باسم " **لارسا** " نسبةً إلى قومٍ سكنوها[1]، وقد ورد اسمها عند بعض شعراء العرب منهم امرؤ القيس بقوله[2]:

تقَطَّعُ أسبابُ اللُّبَانَةِ والهَوى عشِيّـةَ جَاوزنـَا حَمـاةَ وشيّـزرَا

3- اسمه ونسبه:

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد[3]، بن نصر بن منقذ الكنانـي الكلبـي بن محمد بن نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن رغيب بن مكحول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن زيد اللاّت بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب[4]، بن حلوان بن عمران بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن بشجبْ بن يعرب بن قحطان[5]، الملقب بأبي المظفر، مؤيد الدولة، وله كنية أخرى وهي (أبو سلامة) [6].

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص:300. و**ينظر**: خير الدين الزّركلي: الأعلام ج1، ص: 291.

[2] امرؤ القيس: ديوانه، شر: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ/2004م، ص:95.

[3] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ج2، دار بيروت للطباعة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1995م، ص:303.

[4] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكّار، ج3، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص:1358،1359.

[5] أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:19.

[6] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج2، ص: 303. و**ينظر**: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ص:1359.

4- مـــولـــده:

وُلِد أسامة يوم **الأحد 27 جمادى الآخرة سنة488هـ- يوليو سنة 1095م**[1]، وقد أكّد " **العماد الأصفهاني** " هذا الخبر لمّا سأله عن تاريخ ولادته فقال له :" وُلدتُ سنة ثماني وثمانين وأربعمائة " أي **(488هـ)**[2]، ويذكر " **الزركلي** " في **الأعلام:** "بلغت حياة أسامة بن منقذ ستًا وتسعين سنة حيث ولد سنة **488هـ-1095م** وتوفي سنة **584هـ-1188 م**" [3].

5- أسـرتـه:

بنو منقذ أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار كلهم فارس شجاع وكلهم شاعر أديب وكانُوا ملُوكًا في أطراف حلب بالقرب من قلعة شيزر عند جسر " **بني منقذ** " المنسوب إليهم[4]، كانوا من أهل بيت المجد والحسب والفضل والأدب والحماسة والسّماحة والحصافة الفروسية والفراسة والإمارة والرئاسة[5]، وكانوا يترددون إلى حماة وحلب تلك النّواحي ولهم الدور النّفيسة والأملاك المثمنة، وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر، وكان ملوك الشّام يكرمونهم وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم[6]، وآل منقذ أسرة مرموقة عريقة النّجار كريمة الأخبار نشأ فيها رجالٌ كبار كلهم فارسٌ شجاع وكلهم

---

(1) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ص:1359. **وينظر**: أسامة بن منقذ : الاعتبار، تد: عبد الكريم الأشتر، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/ 2003م، ص:124. **وينظر**: أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:19.

(2)عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشّام)، تح: شكري فيصل، ج1، المطبعة الهاشمية، دمشق، سوريا، ط1، 1968م، ص:498.

(3) خير الدين الزركلي: الأعلام، ص:291.

(4) أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:16،17.

(5) عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشّام)، ج1، ص:497.

(6) أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:16،17.

شاعرٌ أديبٌ وكانوا ملُوكًا في أطراف حلب بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم.

وكان " **أبو سلامة مرشد بن علي** " **(ت541هـ)** والد أسامة الملقب " **بمجد الدين** " فارسًا شجاعًا صالحًا دائبًا على مرضاة ربِّه ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الإفرنج، ونسخ كتاب الله تعالى، وكانت إمارة الحصن لأخيه الأكبر" **نصر بن علي** " فمات سنة **(491هـ)** [1]، ولمّا حضرته الوفاة عهد بالإمارة إلى " **مرشد** " والد أسامة فأبى زهدًا فيها فقال: " والله لا وليتها ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها "فولاّها أخاه " **أبو العساكر سلطان بن علي**"، الذي لم يكن له أولاد فاتخذ أسامة ابنًا له وصار أثيرًا لدى عمّه " **أبو العساكر سلطان** " حاكم " **شيزر**"، وكان يرى فيه أمير المستقبل لشيزر ووارث الملك من بعده فجعل يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعةً وجرأةً، واشترك في المعارك التي دارت بين أسرته وبين الصليبيين دفاعًا عن مدينتهم شيزر، وعاش في تلك المدينة بين حُبِّ والده وعطف عمِّه أبو العساكر سلطان[2].

6- نشأته وأخباره:

نشأ أسامة في كنفِ أبويهِ وعمّه وجدته وسط أسرةٍ من أعظم الأسر العربية أكثر رجالها فرسان ومحاربون من الطبقة الأولى، وبعد ولادته بنحو سنتين بدأت الحروب الصليبية في بلاد الشام وربّاه أبوه على الشّجاعة والفتوة والرجولة ومرّنهُ على الفروسية والقتال، وكان يخرجه معه إلى الصيد ويدفع به بين لهوات الأسود فأخرج منه فارسًا كاملاً وسياسيًا ماهرًا، ورجلاً ثابتًا كالرّواسي لا تزعزعه الأعاصير ولا تهوله النّكبات

---

[1] أبو شامة: الرّوضتين في أخبار الدولتين، تح: إبراهيم الزّيبق، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1997م ص:353.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص:294.

والرّزايا[1]، فهو يقول عن نفسه بعد أن جاوز التسعين إذ يحكي بعض ما لقِي من الأهوال: " فهذه نكبات تزعزع الجبال وتُفنِي الأموال، والله سبحانه يعوض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته وتلك وقعاتٌ كبارٌ شاهدتُها مضافة إلى نكباتٍ نَكبتُهَا سلمت فيها النّفس لتوقيتِ الآجال وأجحفت بهلاكِ المال"[2].

7- نشأته الأدبية وآراء شيوخه فيه:

نشأ " **أسامة بن منقذ** " في بيت إمارة يتسِمُ بالفروسية والشجاعة، وتحمل المصاعب والمشاق، فتلقى على هذا الأساس في بداية حياته كأحد أفراد عائلة عربية عريقة مرموقة، تعليمه على أيّدي فقهاء وأدباء ومؤرخين، فدرس الفقه والحديث الأدب وحفظ كثيرًا من الشعر القديم وقصصٍ الأدب والتاريخ [3]، كما تسنّى لأسامة أن يطلع على تراث العرب من شعرٍ ونثرٍ ويحفظ الكثير من أشعارهم وأخبارهم حتى أصبح لديه مخزون وافر من الثقافة العربية، وقد حفلت كتبه بأشتات منها، كما ضمنت الكثير من مختارات الشعر ومفردات البلاغة وجوامع الكلم[4]، وكما أراده أبوه فارسًا كريمًا أراده عالمًا عظيمًا ليجمع بين صفات الجمال وسمات الكمال فيكون جماليا جلاليًا، إذ عهد به أبوه إلى نخبة من شيوخ عصره[5]، فسمع الحديث من الشّيخ " **الصالح أبي الحسن علي بن سالم السَّنبسي** "**(ت 399هـ)**، وكان يؤدبه الشيخ العالم " **أبو عبد الله الطليطلي النّحوي** " **(ت 512هـ)** فكان في النّحو سيبويه زمانه[6]، فحفظ القرآن الكريم

---

(1) ينظر: أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:20.

(2) أسامة بن منقذ : الاعتبار، ص:19.

(3) عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشام)، ج1، ص:498.

(4) محمد عدنان قيّطاز: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، ص:13.

(5) المرجع نفسه، ص:13.

(6) ينظر: أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:21.

وسمع الحديث الشّريف وأخذ عنهم علوم العربية وعلوم البلاغة وما يتبعها [1]، ومن آراء العلماء فيه:

- نقل " **الحافظ الذّهبي** " **(ت748هـ)** في " **تاريخ الإسلام** " عن " **حافظ أبي سعد السّمعاني**" **(ت562هـ)** قال: قال لي **أبو المظفر** يعني – **أسامة** – "أحفظ أكثر من عشرين ألف بيتٍ من شعر الجاهلية" فصار شاعرًا فحلاً حتى كان السلطان " **صلاح الدين الأيوبي** " لشغفه بديوان شعره يُفضِلُهُ على جميع الدواوين[2].
- ذكر " **الأصفهاني** " **(ت967هـ)** أسامة في قوله: " إن أسامة كاسمه في قوة نظمه و نثره، يلوح من كلامه إمارة الإمارة، نُشرَكهُ عَلَمْ العِلّمْ ورقى سُلّمَ السِّلم، ولزِم طريق السّلامة وتنكّب سُبُل الملامةِ، واشتغل بنفسه، حلُو المساجلة، عالِي النّجم في سماء النّباهة، معتدل التّصاريف مطبوع التّصانيف"[3].
- كما نقل " **ابن العديم** " **(ت 660هـ)** عن **السّمعاني** قوله: " أمير فاضل غزير الفضل، وافر العقل حسن التدبير مليح التّصانيف، عارف باللّغة والأدب مجود في صنعةِ الشعر من بيتِ الإمارة والفروسية واللّغة "[4].

---

[1] محمد عدنان قيّطاز: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، ص:13.

[2] المرجع نفسه، ص:21،22.

[3] عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشّام)، ج1، ص:498.

[4] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ص:1360.

- ويقول " **ابن العساكر**" **(ت571)** في كتابه " **تاريخ دمشق** ": " أسامة بن مرشد بن علي بن المقلد بن منقذ بن نصر بن هاشم الملقب بمؤيد الدولة له يدٌ بيضاء في الأدب والكتابة والشعر" [1].

هكذا نشأ " **أسامة بن منقذ** " في كنف أسرة مثقفةٍ درس اللّغة والنّحو والأدب دراسة مستفيضةً، فكان أمراء " **بني منقذ** " ممن يقصدهم الأدباء والشّعراء يمدحونهم ويسترفدونهم، وكانوا هم أيضا علماء وشعراء فأخذ أسامة من هذا المنهل الأدبي الصِرف علمًا واسعًا وحفظ كثيرًا من الشعر القديم.

8- وفـــاتـــه:

عاش " **أسامة بن منقذ** " عمرًا مديدًا حافلاً بالمكارم والمآثر والرّزايا والخطوب فقد شهد الحملات الصليبية على بلاد الشّام وشارك في حركةِ الجهاد والاستشهاد من أجل تحرير الأرض العربية من غزاة الغرب في شيزر وما حولها، يقول " **ابن خلكان** " **(ت 68هـ)** في وفياته: " أن وفاة أسامة كانت في الثالث والعشرين من رمضان سنة **(584هـ -1188م)**، ودُفِن في الغد شرقي (**قاسيون**)، فترّحمتُ عليه وقرأتُ عندهُ شيئًا من القرآن " [2]، وأكد ذلك قول " **الزركلي** " في " **الأعلام** "(**ت1396هـ**): "بلغت حياة **أسامة بن منقذ** ستًا وتسعين سنة، حيث ولد سنة **(488هـ -1095م)** وتوفي سنة**(584هـ-1188م)**" [3].

---

[1] محمد بن مكرم، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن العساكر، تح: إبراهيم صالح، ج4، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1408هـ/1978م، ص:258.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيّان وأنباء أبناء الزّمان، تح: إحسان عبّاس،ج1، دار صادر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1398 هـ/1978م، ص:199.

[3] خير الدين الزركلي: الأعلام، ص:291.

وبموت " **أسامة بن منقذ** " طُويّت آخر صفحة من صفحات تاريخ " **آل منقذ** " في بلاد الشّام وبالتالي يكون أسامة قد عمّر مدة دامت(**96سنة**).

ثانيًا: الحـــزن:

إنّ الأحزان والفواجع التي تصادفنا في رحلة الحياة هي قدرٌ وجب علينا تقبله ولا شك أن كل شخص في هذه الحياة يمُر بتجربة الموت، كموت شخصٍ عزيزٍ أو أن يُفجع برحيل الوالدين، وكما يختلف الناس في شكلهم وطباعهم فإنّهم أيضًا يختلفون في الأسلوب الذي يعبرون به عن أحزانهم ويتعاملون به مع فاجعة الموت، وتختلف الخسارة وشعور الأسى والحزن الذي نشعر به عند فقد عزيزٍ علينا بالموت عن الخسائر الأخرى حين نفقد شيئا ثمينًا أو بعض الممتلكات أو الأموال أو غير ذلك من الأشياء المعنوية كالمركز الاجتماعي أو النفوذ أو السُمعة أو السّلطة، وهذه الخسائر تُؤدي إلى تجربة يعيشها الإنسان ومعاناة قد تطول فترتها قبل أن يستعيد توازنه ويستأنف مسيرته في الحياة هذه التجربة هي تجربة **الحزن**.

1- مفهـــوم الحزن لغـــة واصطلاحًا

1-1 الحـــــزن فـــي اللغـــــة :

ورد في **لسان العرب:** أن الحزن مادة: **(حَ زَ نَ)** ، حُزْنُ والحَزْنُ : نقيضُ الفرح، وهو خلافُ السُّرور، ويُقال: رجلٌ حزنانٌ ومِحْزانٌ أي شديد الحُزنِ، وحَزَّنهُ الأمرُ يَحْزُنُهُ حُزْنًا وأَحْزَنَهُ فهو محزونٌ ومُحْزَنٌ وحزينٌ [1]، ويأتي بمعنى **الهم الغمَّ** [2].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م، ص:111.

[2] الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج4، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص:215.

كما يأتي بمعنى: خشونة الشيء وشدة فيه، وهذه الخشونة والشّدة تحصل في النّفس بسبب الهمّ والغمّ[1]، قال تعالى: ﴿ ۝٣٣عَدۡنٖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤ ﴾[2]، أي **الغـــمّ**، وقال أيضا: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩ ﴾[3].

1-2 الحزن في الاصطـلاح:

لقد تركزت تعريفات العلماء للحزن على الجانب النفسي منه وليس على آثاره الظاهرة فقط، يعرّفه **رشيد رضا:** " الحزن هو ضربٌ من آلامِ النّفس يُحِسُهُ الإنسان عند فقد ما يُحِبُ "[4]، وعرّفه أيضًا: " الحزن هو ألم يُلِّمُ بالنّفسِ عند فقد محبوبٍ أو امتناع مرغوبٍ أو حدوث مكروهٍ "[5]، ويُعرَّفُه **عبد الرّحمن العيسوي:** بأنّه " انفعـال أو (EMOTION) ولكنّه انفعال سلبي ومن الانفعالات السّالبة الخوف والتّقزز والغضب والكراهية والانتقام والتهيج والعدوان واليأس والحزن، ومن الانفعالات الايجابية الحب والفرح والبهجة والسعادة "[6].

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السّلام محمد هارون، ج2، القاهرة، مصر، ط2، 1971م، ص:54.

[2] سورة فاطر، الآية:33،34.

[3] سورة آل عمران، الآية:138،139.

[4] رضا محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم، ج6، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، (د، ت)، ص:387.

[5] المصدر نفسه، ج7، ص:371.

[6] عبد الرّحمن العيسوي: الاضّطرابات النّفسية، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د، ط)، 2006م، ص:38.

وهناك من عرّفه بأنّهُ: " توجعٌ لِفائتٍ وتأسُفٌ على ممتنعٍ"[1]، والمراد من هذا المفهوم أن ما يفوتُ الإنسان قد يكون مقدرًا له وقد لا يكون فإن كان مقدرًا توجع لفوته، وإن كان غير مقدرًا تأسف لامتناعه[2].

الحزن والفرح مصطلحان متضادان، موجودان في الإنسان وهما فطريّان، فالحزن هو أحد صور العاطفة والمشاعر الإنسانية الفطرية وهو ضدّ الفرح والسّرور.

1-3 أنـــــواع الحـــــــزن:

1-3-1 حــزن وجــودي أو كيــانــي:

وهو الحزن الذي يتجاوز الأشخاص ليستقر في كيان الوجود كله ويدفع إلى الإحساس بأنّ كل شيء ليس على ما يرام كما يقوم على الإقناع بانهيار القيم وسقوط الإنسان ويُسمّى " **الحس المأساوي**"[3].

1-3-2 الحـــزن الرومــانســـــي:

هذا الحزن أو الكآبة ناتج عن الإحساس بعدم التوازن النفسي بين الذات وبين الواقع الخارجي للفشل في تحقيق مثاليات الذات في ظروف هذا الواقع وهذا يؤدي إلى الغربة الروحية والاستغراق في التفكير الذّاتي المنطوي[4].

---

[1] ابن القيّم الجوزية: مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، تح: ناصر بن سليمان السعودي وآخرون، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرّياض، السعودية، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص:1290.

[2] المصدر نفسه، ص:1290.

[3] السّعيد لراوي : ظاهرة الحزن عند السياب، رسالة ماجستير، معهد الآداب، باتنة، 1986م، ص:29.

[4] عمر الدقاق: ملامح الشعر المهجري، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، 1960م، ص:212.

1-3-3 الحـــــزن الأخـــلاقـــــــــــي:

ويتعلق بواقعة شخصية جريئة تؤثر في الشخص، ويرى أنّها تستحق الأسى وتستوجب الحزن[1].

1-3-4 الأحزان المراهقة والأحزان المرضية:

وهي أنماط أولية للحزن تتمثل فيها الرؤية ذات الاتجاه الواحد التي لا تبصر من الأشياء إلا جانبا واحدًا، فالمراهقة مرحلة من المراحل التي يمر بها كل إنسان، لها أحزانها الخاصة بها والتي تفسر من خلالها كذلك الأحزان بالنسبة للأحزان المرضية فهي أحزان تصدر عن طبيعة سوداوية للشخص[2].

ثالثًا: أسباب الحزن في شعر أسامة بن منقذ:

لاشكّ أنّ الإنسان لا يولدُ بالفطرة حزين بل هناك أسباب ودوافع لحزنه، والشاعر "**أسامة بن منقذ**" أيضا مرّ في حياته بالعديد من الأحداث الأليمة التي صبغت شعره بصبغة الحزن والأسى فقد أثرت عواملُ عدة في شخصيته، خاصة أنه عاش حياةً سعيدة في المراحل الأولى من حياته (صباه)، فتربى تربية خلقية تنعّم بحنان الأبوين الذي ليس بعده حنان وحب، لكن سرعان ما دبّ الخوف والرّعب في قلبه من عمهِ "**سلطان أبو العساكر**" الذي صمّم على نفيّه من وطنِه شيزر، فكان لزامًا عليه أن يترك البلاد ويعيش حياة الترحال والغربة بعيدًا عن أهله وذلك الدّافع الأول لحزنه إضافة إلى الزلازل التي ضربت شيزر وقضت على أهله وأحبته، فناح عليهم بدمعٍ غزيرٍ، وما زاد

---

[1] السّعيد لراوي : ظاهرة الحزن عند السياب، ص:10.

[2] ينظر: عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1979م، ص:269،270.

حزنه عامل الموت خاصة وفاة ابنه، وابنة شقيقه، كل هذه الأحداث من شأنها أن تشحن الشاعر نفسيًا بالألم والمعاناة وتجعل منه إنسانا تعيسًا يائسًا، فكان المعجم الشّعري صادح بالأحزان والهموم والشّكوى والوجع.

1-النّفي وحياة الغربة:

هناك الكثير من الأحداث التي أثرت في حياة الشاعر " **أسامة بن منقذ** " وجعلت منه شاعرًا رهيف الإحساس والمشاعر وأكسبت شعره طابع الحس المأساوي، كيف لا وهو شخصٌ تعرض للطرد والنّفي من وطنه الأول شيزر من طرف أعز وأقرب النّاس إليه عمّهُ **أبو العساكر سلطان بن علي**.

كان عمه " **أبو العساكر سلطان بن علي** " في أول أمره يُعدّهِ للإمارة من بعده فكان يدفعه في المضايق الصّعبة يندبهُ للمهام الكبيرة، ويمتحنُ صبرهُ وبداهتهُ في مواجهة المواقف الحرجة، ولم يكن لعمهِ ولدٌ يخلفهُ ولمّا رُزق الولد أحسّ أسامة بالحرجِ وخشيَ على نفسه من عمهِ فكانت جدتهُ لأبيه تحبهُ فكانت تُحذرهُ منه[1]، ولعلّ السّبب في طردِ عمه له ونفيه من شيزر هو ما ورد عن " **ابن العديم** " **(ت660هـ)** في كتابه " **بغية الطلب في تاريخ حلب** "، يقول: " أخبرني أبو المعالي محمد بن الحسين بن أسعد بن عبد الرحمان الحلبي قال: سمعتُ أسامة بن مرشد بن منقذ مؤيد الدولة يحكي لنا أن سبب إخراج عمهِ إيّاهُ من شيزر أنّه قتل أسدًا ضاريًا بناحية شيزر فأخرجه عمه يعني أبو العساكر سلطان بن علي منها خوفًا على نفسه منه، **وقال لنا:** جاء الخبر إلى عمّي بأنّ في بعض نواحي شيزر أسدًا ضاريًا قد آذى النّاس في طريقهم، فتقدّم عمّي إلى عسكره كلّفهم أن يركُبُوا بكرةَ الغدِ من ذلك اليّوم الذي تقدّم

---

[1] أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:15. **وينظر:** عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص:294.

إليهم فيه للتأهب للقاء الأسد في سهل الغاب وقتله، **قال:** فاستدعيتُ غلامي وأمرته بإسراجِ دابتي وأخذ رُمّحِي معه وركبتُ أنا والغلام في اليوم الذي أمر عمّي بالتأهب له وخرجتُ وغلامي معي حتّى أتيتُ الموضع الذي فيه الأسد، فخرج الأسد وحمل عليّ فقاتلتهُ وصرعته ونزلتُ إليه فقطعتُ رأسه، ولمّا علم عمِّي به رجع إلى شيزر، وقام نصفُ اللّيل وأمرنِي: بالرّكوب"[1]، وقال:" أريد أن تجيء معي إلى موضعٍ سمّاهُ خارج شيزر في شغلٍ فركبتُ معه حتى أبعدني عن شيزر" [2]، ثمّ **قال لي:** " يا ابن أخي شيزر لك فهبها لي فو الله ما بقيتُ أقدرُ على مساكنتك ولم يأخذني في هذه اللّيلة نومٌ من شدةِ فكري فيك إذا كان فعلك مع الأسد هكذا فكيف سأكون لو سوّلت لك نفسك أن تفتِك بي؟ فما أقدر أن أساكنك وأنت على هذه الصفةَ! " [3]، فراسل أسامة والدهُ بذلك وكاشفه بما جرى لهُ ويُحدِثُهُ فيها عمّا علِق في صدرِهِ من الهمِّ ويشكُو إليهِ ما كدّر صفاء عيّشِهِ من الغدر، وما نالهُ من سُوءِ العقُوقِ واستشارهُ بالرّحيل ورجاه ألاّ يجبرهُ على البقاء في شيزر مع عمّه، يقول[4]:

أشْكُو إلَى عَلْيَاكَ همًّا ضَاق عَنْ ... كِتْمانِهِ صَدْرِي ومَـا هُـو ضيّـقٌ

وطَـوارِقًـا لِلْهَـمِّ أُقريّهَـا الكَـرى ... وتَلَـظّ بِـي صُبْـحًا فمَـا نتـفَرقُ

دَعْنِي وقِطعُ الأرض دون مَعَاشِر ... كُـلٌّ علـيِّ لغيـرِ جُـرمٍ مُحنّـقُ*

تَغْلَى عليَّ صُدُورُهُمْ من غيظِهِمْ ... فَتكَـادُ مِـن غيّـظٍ عليّ تُحْـرقُ

---

(1) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب،ج1، ص:1363،1364. **ينظر**: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:15.

(2) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب،ج1، ص: 1364.

(3) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص:355.

(4) أسامة بن منقذ: الديوان، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ/ 1983م، ص:177،178.

*المحنق: الحنق هو الكُرهُ والبُغضُ.

أعْيّا عليَّ رِضَاهُمْ فيئِسْتُ مِنْ إدْرَاكَهُ مَا النّجْمُ شَيءٌ يُلْحقُ

قَدْ أفسَدُوا عيّشِي عليَّ وعيّشُهُمْ فَإذا جَفَونِي فَالأبَاعِدُ أرْفَقُ

ولقد أحسّ أسامة بكيّد عمِّه له وهو ذُو أنفة وكبرياء ولا يرضى بالخسف، فقال في شعره مستنكرًا على نفسه أن يكون سميًا للأسد ويرى بأنّه لا يتصف بصفات الأسد لذلك هو لا يرضى بحياة الذّل والإهانة، يقول[1]:

أأُسَامَ خسْفًا ثُمّ لاَ آبَى فَلَسْتُ إذًا أُسامَهْ

هيْهات لاَ تَرضَى الـ معَالِي صَاحِبًا يرضَ اهْتِضَامَهْ

ونتيجة لاضطهاد عمّه سلطان له ولإخوته، غادر أسامة شيزر حينًا إلى الموصل ليلتحق بجيش(**نور الدين زنكي بن آق سنقر**)* سنة (**532هـ-1138م**)، فانتظم أسامة في جنده وحارب تحت قيادته في عدة معارك ضد الصليبين، ولكنّه لم ينس وطنه الأول شيزر عندما هاجمه (الإفرنج والرّوم)، فعاد إليه وأبلى بلاءً حسنًا في جهاد الرّوم والدفاع عن الوطن ضد **الحملة الصليبية****، وعزم على البقاء في شيزر بين أهله الذين فقدوا والدهُ، غير أنّ عمّه لم يرض ببقائه فقد أيّقن أن خطر الروم قد

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:142.

* **نور الدين محمود بن عمادِ الدِّين زَنْكِي:** وهو ابن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، يُلقَّب بالملك العادل، ومن ألقابه الأخرى ناصر أمير المؤمنين، تقيّ الملوك، ليث الإسلام، وهو الابن الثاني لعماد الدين زنكي.(ينظر: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص:355).

** **الحملة الصليبية أو الإفرنج:** اسم يطلق على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها الأوربيون في أواخر ق11م، وسميت بهذا الاسم لأنّها كانت حملات دينية تحت شعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة على الأراضي المقدسة كبيت المقدس، ويعود سبب التسمية؛ لأنهم كانوا يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.(ينظر: سهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية،ج36، دار صادر، لبنان،1986م ط2، ص:10).

زال، فأمره وإخوته بالرّحيل فتشتتوا في البلاد وكان في ذلك الخير لهم؛ لأنّهم نجوا من الزلازل التي هدّمت شيزر وقضت على آل منقذ بأسرهم وذهبت بملكهم سنة **(552هـ-1157م)** فهدّ أركانها ودمّرها تدميرًا ونجا أسامة وولده لبعده عنها في دمشق[1]، وبعدما نفاهُ عمُّه مرة ثانية، مضى يوم أُخرج من شيزر سنة **(532هـ)** إلى دمشق، واتصل بحاكمها (**معين الدين أُنِر**)*، وأقام فيها وكانت في حكم الأتابكة البوريين وعاش أسامة قرابة ثماني سنوات رجل سياسة وإدارة وحرب فنال من الجاه والغنى[2]، ولكن على الرغم من أن الشاعر أسامة ظفِر بالمكانة المرموقة إلاّ أن شعور الوحدة والاغتراب ظلّ يلامسُ قلبه فكانت غربته سببًا في عجزه على التكيّف والتواصل مع من حولهِ رغم كثرتهم؛ لأنّ الأيّام أذاقتهُ الاغتراب وأدخلتْ عليه الهم من كل باب فها هو منعزل عن النّاس حتّى صار يتبدى لمن يراهُ كأنّه قادم من بقايا قوم "**عاد**" ويظهر ذلك في قوله متذمرًا[3]:

أنَـا فِـي أهْلِ دِمشـقْ وهُـمُ عَـدَدُ الرّمْلِ وحيـدٌ ذو انْفِـرادِ

لَيّس لِي مِنهُمْ أليفٌ وشَّجَـتْ بينَنَا الأُلْفَـةِ أسبَـابَ الـوِدادِ

يحْـسِبُـونِي إذْ رأوْنِـي وافِـدًا قَـدْ أتَاهُمْ مِنْ بَقَايَا قَـومِ عَـادِ

---

(1) عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص:294.

(2) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشام، ج6، ص: 231. **وينظر**: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:15.

***معين الدين أنر**: توفي في 28 أغسطس سنة 1149، وكان حاكم دمشق في منتصف القرن الثاني عشر، كان معين الدين مملوكا في جيش طغتكين مؤسس الأسرة البورية، وعندما حاصر عماد الدين زنكي دمشق سنة 1135 كان على رأس المدافعين عنها.(ينظر: ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، ج9، ص:414) .

(3) العماد الأصفهاني، خريد القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشام)، ج1، ص:546،547.

اضطر أسامة إلى مغادرة دمشق إلى مصر ومعه أمه وزوجهُ وأولاده وأخوه محمد سنة (**539هـ-1144م**) إثر خلافات بين رئيس دمشق مؤيد الدين، وأبي الكرام وزير صاحب دمشق، ولخوف الدمشقيين من اتساع نفوذه وخشيتهم على نفوذهم السياسي والاجتماعي، ولمّا وصل مصر استقبله الخليفة الحافظ لدين الله العبيدي العلوي فأكرمه ونعّمهُ بالخير والعطاء الوافر فعاش حياةً رغيدةً وسعيدةً، وشهِد الأحداث الأخيرة الدّامية في عمرِ الدولة الفاطمية وبقي فيها تسع سنين[1]، ومرتّ حياته فيها بالعديد من تقلبات الزّمان، فتنقل بين الملك والسلطان، فجعل يقول عنها[2]:

خَمْسُونَ مِن عُمْرِي مضتْ لمْ أتّعِظْ فيها كأنِّي كُنتُ عنّها غائبًا

وأتتْ عليَّ بِمصّرَ عشّرٌ بَعْدهَا كَانتْ عِظاةٌ كُلهَا وتجاربًا

شَاهَدْتُ من لعِبَ الزّمانُ بأهْلِهِ وتقلُبَ الدُنيا الرّقوبُ عَجائبًا

ونتيجة لحظه العاثر ذهب إلى مصر في فترة من أشد فترات تاريخها اضطرابًا، فاندفع بما ورثه من حبٍ للسياسة والرئاسة إلى المشاركة بنصحه وتدبيره وسيفه في تلك الأحداث، وغادرها سنة (**549هـ**) عائدًا إلى البلاط النُوري في دمشق، بعد أن نهب المصريون ما جناه من ثروة هائلة خلال السنوات العشر التي قضاها فيها، وفي الطريق إليها هاجمتهُ وصحبه وأهله قبائل العرب، وجنود الفرنجة الذين قتلوا بعض صحبه وأسروا أخاه نجم الدولة محمد، فحاول أسامة توطيد علاقته بحاكمها الجديد الملك العادل (**نور الدين**)[3].

---

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشام، ج6، ص: 231. **وينظر**: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:17.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:18.

[3] ينظر: عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص:294.

ترك أسامة أسرته في مصر في رعاية وزير مصر **طلائع بن رزيك***، فكاتبه عارضًا عليه العودة إلى مصر ليتسلم مدينة أسوان، فاستطلع أسامة رأي صديقه الملك العادل نور الدين، فنصحه بالمكوث في دمشق وأخذ أمانا من ملك الفرنج لأهله، لكن الفرنج غدروا بهم وأعادوهم إلى دمشق، بعد نهبهم لأموالهم وحليهم، و في دمشق شارك في بعض حروب نور الدين مع الإفرنج وانتصاراته عليهم، وحضر معه حصارهُ لحصنِ **حارم**** سنة(**558هـ**)، لكن سرعان ما أدّته موجدته إلى أن يبرح دمشق إلى حصن **كيْفا***** سنة (**558هـ**) [1]، وفي حصن كيفا سنة (**558هـ-570هـ**)، انسحب أسامة من حياة الجهاد والسياسة ومؤتمرات القصور، وقام برحلات في ربوع ديّار بكر بين آمد ومردين، وفي آمد وجد أسامة خزائن تحتوي على نفائس الكتب في سائر الفنون والعلوم، لقد وجد فيها ما عوّضه عن مكتبته التي تبددت في رحلاته، ودمر أكثرها الزلازل التي دمرت شيزر، حتى إذا استولى " **صلاح الدين الأيوبي** " على دمشق سنة (**570هـ**) بعد أن استولى عليها من **النّوريين** وكان ابن أسامة " **مرهف** " من جلسائه فاستدعاهُ فلبّاهُ مبتهجًا[2]، وأنشده قوله[3]:

حَمِدتُ عَلَى طُولِ عُمْرِي المَشِيّبَا وإنْ كُنتُ أكْتَرِثُ فِيهِ الذُّنُوبَا

لأنِّي حَيِيّتُ إلى أنْ لقِيتُ بعدَ العَدُوِ صَدِيقًا حَبِيّبَا

---

* **طلائع بن رزيك**: والمُلقّب بالملك الصالح، أحد وزراء الدولة الفاطمية ومن أبرز فقهائها وشعرائها، وكان فاضلاً، سمحاً في العطاء، سهلاً في اللقاء، محبّاً لأهل الفضائل، جيّد الشعر. (ينظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:17).

**حارم: وهو حصن حصين في بلاد الشام ناحية حلب.

***حصن كيفا: بلدة تركية تقع على ضفاف نهر دجلة.(ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص:120).

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشام، ج6، ص: 231. **وينظر**: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:17.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص:15.

[3] أبو الفداء بن كثير: البداية والنهاية، ج12، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1412هـ/1991م، ص:331.

فأعطاهُ دارًا أنيقة بدمشق وأقطعه ضيعة في معرة النعمان، وأغدق عليه الرزق الوفير، وفسح له في مجالسه، فكانت دار أسامة في دمشق مرتادا للعلماء والأدباء، فظلّ يعيش في دمشق يلقي بعض الدروس في مدارسها ويغشى مجالسها العلمية وقد أكرمه الله في أُخريات أيامه بحياة رغيدة، وعيش مريح، وكانت سنة(**584هـ-1188م)** سنة نهايته عن عمرٍ ناهز الستة وتسعين سنة[1].

وهكذا قضى الشاعر " **أسامة بن منقذ** " حياته متنقلا من مكان إلى آخر من شيزر مسقط رأسه إلى الموصل، ليغادرها إلى دمشق، ومن دمشق إلى مصر، ومن مصر إلى دمشق مرة ثانية ليستقر فيها مدة من الزمن، ليغادرها إلى حصن كيفا، ومن كيفا إلى دمشق مرة ثالثة ولبث فيها إلى أن وافته المنية، ولا يخفى أنّ كل هذه التنقلات ساهمت في صقل شخصية هذا الشاعر الفذ والبطل المقدام وأسهمت في إنضاج فكره وتعميق فلسفته في الحياة إلاّ أنّها كانت السبب الرئيسي في حزنه وإثارة وجده وتشاؤمه وسخطه، ومما لا شك فيه أن الغربة القاسية قد أثرت في حياة أسامة وشعره فعكست آثارها في شعره لذلك بدا الشاعر متبرّمًا شاكيًا من حياة المنفى وكثرة التنقل والترحال، يقول[2]:

إلَــى متَــى أُمْسِــي وأضْــ حِــي بالنّــوى مــــروعَــا

مُرْتَحِــلاً كُـرهَـا عَـنْ الــ أحبَــاب أو مــــودعَــــا

تُــرى اللّيَــالِــي نَــــذَرتْ أَلاَّ نُــــرى يــــومًــا مَعَـا

---

[1] ينظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:17،18. **وينظر**: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشّام، ج6، ص: 232.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:132.

ذلك أن " **أسامة بن منقذ** " منذ تغرب عن وطنه **شيزر** وفارق أهله وأحبابه لم يذقْ طعم الهُدوء والاستقرار حيث يقول[1]:

أهكَذَا أنا باقِي العُمر مُغْتربٌ نَـاءٍ عَنْ الأهْلِ والأوْطَـانِ والسّكـنِ

لاَ تَسْتَقِرُ جِيادِي فِي مُعَرّسِهَا حتّى أُرَوِّعُهَـا بِالشّـــدِ والظّـعَــنِ*

وبهذا القدر يكون الشاعر " **أسامة بن منقذ** " قد عاش حياة التشرد والمنفى والاغتراب عن وطنه الأم شيزر محرومًا من دفئِه ونسيمه وربُوعه كيف لا وهو من قضى حياته متنقلاً بين عواصم المشرق العربي (الموصل، شيزر، دمشق ، مصر، كيفا)، بينما قلبه يعتصر وينفطرُ حين يتذكر وطنه وأهله الذي أجبرته الظروف القاهرة على تركهم.

2- ضيـاع مـــالـــه وكتبـــه:

لمّا رحل أسامة إلى مصر سنة(**539هـ**) أيّام " **الحافظ لدين الله الفاطمي** " شهد الأحداث الدّامية في عمرِ **الدولة الفاطمية**، ولمّا غادرها سنة (**549هـ**) عائدًا إلى دمشق بعد أن لبث فيها قرابة تسع سنين، لحِق به أهله وأولاده غير أنّ السفينة أصابها عطبٌ في ميّاه " **عكا** " وكانت مع " **الإفرنج** " فأغاروا على مركبهم ونهبُوا ما فيه وجرّدوا النّساء من حليّهن وأخذوا الكُسى والجواهر والمتاع والمال وأخذوا معهم قدرًا عظيمًا من كتب أسامة التي تبلغ أربعة آلاف مجلّدٍ من الكتب أعظمَ في نفسه من كلِ شيءٍ، وقال في ذلك جملتهٌ المتداولة في الكتب: " فإنّ ذهابها حُزازةً في قلبي ما

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:154.

*الظّعن: السّير والارتحال. (ينظر: المصدر نفسه، ص:154).

عِشّتُ" [1]، وتجشّمت الأسرة كثيرًا من الصعاب حتّى وصلت دمشق وكان لذلك أثرٌ أليمٌ في نفس أسامة فشكا ذلك إلى " **الملِكِ الصّالحِ** " وطلب منه المعونة في قوله [2]:

أنَا أَشْكُو إليّك دَهْرًا لَحَا عُـو دِي وأعّراهُ فهو يَبْسٌ سليّـبُ

وخُطُوبًا رمَى بهَا حَادثُ الـدّ هـرِ سَوادِي وكلُّهُـنّ مُصيّـبُ

أذهبـتْ تَـالِـدِي وطَـارفِـي الطّـاري فـضَـاع المَـوروثُ والمسكُـوبُ

فهُو شَطْرانِ بيْنَ مصرٍ وبحْرٍ ذَا غَـريـقٌ فِـيٌّ وذا مَنْـهُـوبُ

ويرفعُ أسامة شكواه للملك" **الصالح الفاطمي** " خليفة مصر مرة ثانية لِمَا أصابهُ من جُورِ الزّمان عليه وتواليه بالمصائبِ والنّكبات، التي أوّهنت عظمهُ ولحّتْ عُودهُ وأنفذتْ موجودهُ وشتتَ شملهُ الذي كان مجتمِعًا فهو يرجو مساعدتهُ خاصةً أنّه ذا جاهٍ ومالٍ وبين يديهِ العدلُ والخلفُ، يقول له[3]:

أشْكُو زمانًا قضَى بالجُورِ فيَّ ولمْ يَزَلْ يجُورُ على مِثْلِي ويعْتسِـفُ

لحّتْ نوائِبُهُ عُودِي وأنْفذَ مَـوْ جُودِي وشَتَتَ شمْلِي وهُو مُؤتلِـفُ

وقدْ دَعَوتُكَ مظْلُومًـا ومُـرتَجِيًـا وفِي يديّك الغنى والعـدلُ والخـلفُ

---

[1] أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص:15،16. **وينظر**: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشام، ج6، ص: 232.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:213.

[3] المصدر نفسه، ص:230.

3-المـــوت:

تشعبت يد الموت في خطف أحبة الشّاعر " **أسامة بن منقذ** " من بين يديّه وكان لذلك الأثر الشّديد في حياته فرثى أحبته بأبياتٍ مريرة لا يختلف فيها عن الخنساء ولا المهلهل ولا أبو ذؤيب الهذلي.

3-1 موت ابنة الأخ:

وقال في قصيدة كتب بها من مصر إلى أخيه عزّ الدولة، وقد ماتت له بنتٌ **بشيزر** وهو غائبٌ عنها بدمشق وأعمامها وأخواها غُيّبٌ، فأخذ يبكيها في هذه الأبيات المشجية، متحسرًا عليها لأنّها ماتت وحيدة وغريبة مع أنّها تملك الأب والأشقاء والأهل لكنها ماتت وحيدة، فهي التي صار ذكرها في الأرجاء يُدمي القلوب قبل العيون[1]:

ويّحَ الغريبـةِ والدّيارُ ديّارُهَـا لمْ تَرْتَحِـلْ عنهَـا ولـم تتَغــرّبِ

مَاتَتْ غريبةً وِحْدةٍ من تِربهَا وشَقِيقِهَا ومِنْ العُمُومَــةِ والأبِ

فهِي الوحيدةُ والأقاربُ حولهَا وهِي البَعيدةُ فِــي المحـلِ الأقربِ

فإذا تضرّمَ في الجوانِحِ ذِكرُهَا قال الأُسَى: بالله يا عينُ اُسْكُبِي

3-2 مــوت الابــن:

وقال في ولدهِ أبي بكرٍ وقد توفي صغيرًا، يصور مدى حُزنِهِ عليه وحُرقةِ أحشائهِ لفقدهِ ولوعته في ثكله، فصار يتمنى لو أن الموت اختاره هو بدلاً من ابنه، فلا راحة في حياتِه بعد فقدانهِ[2]:

إلى الله أشكو روعتي ورزيتي وحُرقَــةَ أحشـائي لِفقدِ أبي بكـرِ

خَشِيتُ عليه اليُتْمَ لكن ثكْلَــهُ ولوعـتهُ لمْ يخطُـرا لِــي على فِكْرِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:344.

[2] المصدر نفسه، ص:347.

فيا ليّتهُ لاَقَى الذي كنتُ أخْتشِي عليه وأنّي دُونَهُ صاحِبُ القبرِ

4-الحروب الصليبية:

لقد كانت ولادة " **أسامة بن منقذ** " في زمنٍ تضّطرمُ في العالم الإسلامي حيثُ كانت تلك الأحداث تؤثرُ في عاطفة هذا الشّاعر وتجعل من نفسها وقُودًا تشعل بها حرارة الحُب للوطن في كثيرٍ من الأحيان وتجعله مهيئًا للدخول في عالمه الذي سيعيشه.

أمّا زمن ولادته سنة **(488هـ)** أي أنّهُ قبل الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشّام بسنتين واصّطلى أسامة بنارها وخاض معارك منها في سنٍ يافعٍ حيث لم يتجاوز الخامسة عشر سنة وبذلك أدرك ثلاث حملاتٍ صليبية منهم حملتين عاصرهما ضد على بلاد الشام فظلّ يُنازلُ الكُماة بسيفه وفرسه[1]، وما يُؤكِد مشاركته في هذه الحملات الصليبية ودفاعهُ عن الإسلام وأهله في سن مبكرٍ قوله[2]:

لخمْسَ عشرةَ نـازلتُ الكُمَـاة إلى أنْ شِبتُ فيها وخيرُ الخيلِ ما قرحَا*

أخُوضُها كشهابِ القذفِ مبْتسِمًا طلقَ المُحيّا ووجهُ الموتِ قدْ كَلحَـا

أيضًا ما جاء في قوله متحسرًا على يده التي لطالما كانت مألفا للسيف كيف صارت تضطرب وتعجز عن حملها قلمًا[3]:

إذا كتبْتُ فخطِـــي خَطُّ مضّـطَربٍ كَخَـطِ مرتعِــشِ الكّفيـنِ مرتــعِــدِ

فاعْجبْ لضعَفِ يدِي عن حمْلِهَا قلمًا مِن بَعدِ حَطّمِ القَنَا في لُبةِ الأسـدِ

---

[1] نوّاف الحميدي الرّشيدي: الصورة الفنية في شعر أسامة بن منقذ، إشراف: محمد حسن الرّبايعة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2011م، ص:26.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص: 259.

*قرحا: قرح الفرس: انتهت أسنانه وذلك عند إكمال خمس سنين.(ينظر: المصدر نفسه، ص:259).

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:317.

وبهذا يكون الشاعر أسامة قد أمضى في قرنه شبابه وكهولته في حروب الصّليبيين؛ فقد شارك في غير عشرين معركة منها دفاعه عن شيزر دفاعًا مستميتًا.

5- الـــزّلازل:

عاش أسامة طويلاً ورأى من النّكبات الكثار ما رأى فكان كلّما انْقضت نكبة حلّت أخرى عليه فهو لا يستطيع أن ينسى ماحلّ بأهله في زلزال **شيزر** سنة**(552هـ)**، فقد مات منهم عددٌ كبير لذلك نجدهُ يندب وطنه وأهله الهالكين في زلزال في حصن **شيزر**[1]:

ويّح الزّلازِل أفنَتْ مَعْشَـرِي فَـإذا ذكَرتُهُمْ خِلتُنِي في القَومِ سَكْرانَـا

أرُدَ فيضَ دُمُوعِي في مَسَالِكِهَا فَتستَحِيلُ مِيـَاهُ الدّمْـعِ نيـرانَـا

لاَ أَلْتقِي الدّهرَ من بَعْدِ الزّلازِلِ مَا بَقِيتُ إلاّ كَسِـيرَ القـلْبِ حَيْرانَـا

6-الشّيخـوخـــة والمـــرض:

وبما أنّ " **أسامة بن منقذ** " وصل إلى سنِ الشيخوخة وأدرك أنّهُ يسْتحيلُ أن يعودُ إلى سابقِ عهْدِهِ وغيّرتْ فيهِ الكثير الكثير فصار يتساءل عن سببِ تأخرِ الموتِ؛ لأنّ فيها راحة من أعباءِ الدنيا وهُمُومها جعل يقول[2]:

نُكِسّتُ فِي الخَلْقِ وحطّتْنِي السّـــ بْـعُـونَ لمّـا أنْ عَلتْ سِنِّـي

وغَـيّـرتْ خطّـي فَـأَضْحَـى كمَـا تَـرى وكَـمْ قَـدْ غيّـرتْ مِنِّـي

والمَوتُ فِيـهِ راحــةٌ منْ أذَى الـدُ نـيّـا فَـمَـا أغْفَـلَـهُ عنِّـي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص: 357،358.

[2] المصدر نفسه، ص:324.

ولمّا أصاب أسامة المرض برجليه نتيجة ضعفه وكبر سنهِ فكثر عثارُهُ وتعسّر مشيهُ فصار يُشبِهُ نفسهُ بالأسير المكبل بالقيود؛ لأنّ سيرهُ صار بطيئًا متعثِرًا أو كالذي يمْشي في الوحلِ فلجأ إلى العصا لتساعدهُ في المشي يقول[1]:

إنْ ضَعُفتْ عَنْ حَمْـــلِ ثِقْلِـي رجْلِـي وَرابَنِي عِثَـــارُهَـا فِـي السّهـلِ

أمْشِي كمَا يمْشِي الوجِي* في الوحلِ مَشّـــيَ الأسِيـرِ مثقـلاً بالكَبْـلِ

فَالعَـصَـــا عِنْـدِي عُـذرُ المُبلِي إنْ عجزتْ أو ضَعُفَتْ عنْ حَمْلِي**

إنّ الأسباب السّابقة الذكر توالت وتتابعت على الشّاعر فأججت شعور الحزن والأسى بداخله، لذلك لا عجب أن نجد أغلب قصائده صورت الألم والمعاناة المريرة التي تجشمها وجسدت الحزن بكل معانيه.

هذا فيما يخص سيرة الشاعر " **أسامة بن منقذ** " ومفهوم الحزن وأسبابه لديه وسنأتي للتفصيل في هذه الظاهرة وتتبعها في شعره لاحقا، لكن قبل ذلك نعرج على تتبعها في الشعر العربي القديم في الفصل الذي سنلجه بحول الله، فيا ترى كيف تجلى الحزن في الشعر العربي عبر العصور الأدبية القديمة؟ ومن هم أبرز شعراء الحزن؟

رابعًا: لمحة موجزة عن ظاهرة الحزن في الشعر العربي:

الحُزنُ ضِدَ السُّرورِ وهو حالة نفسية تُصيبُ المرء لفترةٍ زمنية قد تطُولُ وقد تقصُر كما وتتفاوت في شدتِها ووطأتِها بين إنسانٍ وآخر، فهو سِمة تطغى على قصائِدِ الشعراء الذين تعرضوا في حياتِهم لما يدعو لذلك؛ لأنّ الإنسان معرض في حياته

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:322.

*الوجي: الحفاء. **المبلي: أبلاهُ: أداهُ إليه فقبلهُ.(ينظر: المصدر نفسه، ص: 322).

لمواقفٍ حزينةٍ كالموت أو الاغتراب أو الحرب أو النّفي أو السجن أو الحب أو المرض أو الفقر أو النكبات ...إلخ، فمِنهم من يُعبر عن حزنِه بالبُكاء ومنهم من تتفجر قريحته الشعرية وتجُودُ بما لايجودُ به غيره، فيلجأ للشّعر ليُعبِر عمّا يختلجُ صدرهُ من حزنٍ وهمٍ، وعيونهُ من دموعٍ ذوارِفٍ؛ لأنّ الشاعر مرهف الحس والخاطر لذلك لا غرو إن صدحت قريحته بما همّهُ وأحزنهُ فهو المرآة العاكسة لأحداثِ حياتِهِ ومجرياتها بِحُلوِها ومُرِّها.

وإذا حاولنا أن نتقصّى ونبحث في مُدونات الشعر العربي القديم عن الشعراء الذين جادت قرائِحُهم وبرعُوا وذاع صِيتُهُم في مجال الحزن والرثاء والتأبين، نجد الشاعرة المخضرمة " **الخنساء** " تتصدر طليعتهم، كما نجد "أبو ذؤيب الهذلي" ومرثيته المعروفة في رثاء أبنائِه حين قضى عليهم مرض الطاعون، أيضًا "حسّان بن ثابت"، ابن الرومي، ديك الجن الحمصي، المتنبي...إلخ.

يقول " **مصطفى صادق الرّافعي** ": " إنّ الشعر في الرّثاء إنّما يُقال على الوفاء فيقضي الشاعر بقوله حقوقًا سلفتْ، أو على السّجية إذا كان الشاعر قدْ فُجعَ ببعض أهله ويعد الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي والتي حظيت بعناية فائقة من الشعراء عبر العصور المختلفة؛ لأنّ الموت قديم قِدَمَ الإنسان على هذه الأرض، وما من شاعر إلاّ وجرفته مواكب الموت بين الأهل ففجرت فيه ينابيع الشعر وأثْرَتْ قريحته بما لا تجُودُ به في غير هذا الموقف، موقف الفناء الذي يُخيِّمُ على رأس الشاعر ويُحِسُ به أكثر من غيره؛ لأنّ الشعر ينبوع يتفجر من الوجدان والهامات تمتد

إلى ما وراء الواقع، لذلك فهو أقوى على تصوير الموت والآهات أكثر من غيرهِ من الفنون الأخرى " [1].

اشتهرت النساء منذ القدم بكتابة الشعر الجميل والقوي المعنى وأحياناً تفوّقت على الرجل، ولكن بحكم العادات والتقاليد التي تربّت عليها والتي وقفت حائلاً دون جهر المرأة العربية قديماً بما كانت تبدعه من شعر، فعند بوحِها به كأنّها خرجت عن قيَم الشـرف والفضيلة، لذلك احتفظت الذاكرة بالقليل جداً من شعر المرأة .

ومن أشهر شـعر النساء في ديوان الشعر العربي القديم المعترف لهنّ بالتقدم في هذا المجال، الشاعرة المخضرمة " **الخنساء** " **(575م/645م)** في طليعتهم فقد أبدعت في فنِ الرّثاء؛ لأنّ المرأة بطبعها ضعيفة وحساسة، فإذا انتقلنا إلى شعر الخنساء نجد أنّها لم تهتم بغيره من الموضوعات الشّعرية كيف لا وهي من فُجِعت بمقتل من يعُولها ويهتم بها، حتى قيل إنّه: " لا تكاد تخلُو قصيدة أو مقطوعة إلاّ ورثت فيها أخويها " **صخر ومعاوية** " خاصةً صخر، بالبكاء الفعلي أو باستدرارِ الدّمْعِ تعبيرًا عن الحزن وتبيانًا لعاطفة الحب الأخوي الذي جمع بين الأخ والأخت، بل إن عاطفة الحزن والبكاء لتصلُ أحيانًا إلى حدِّ التفجع والتوجع إزّاء هذه المصيبة، مصيبة الموت التي لا تُعد مثلها مصيبة " [1]، فها هي الخنساء تستْبْكِي نفْسها وتستدر العين دمعًا، بل وإنّها لتعجبُ من جمُودها، فتستمطرها مخاطبةً إيّاها في قولها [3]:

يَا عَينُ مالَكِ لا تَبكِينَ تِسْكَابًا إذْ رابَ دَهْـرٌ وكَـانَ الـدّهْـرُ رَبـابَـا

---

[1] مصطفى صادق الرّافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، القاهرة، مصر، ط1، 1940م، ص: 104.

[2] يحيى شامي: الخنساء شاعرة الرّثاء، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،1420هـ/ 1999م، ص:31.

[3] الخنساء: ديوانها، شر: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ/2004م، ص:13.

كما وتُنادي عينها وتطلبُ منها أن تجُود بالدموعِ المنهمرة التي لا تنقطعُ فتفِيضُ فيضان المطر الدائم الهطول، فترى الشفاء في استدرارِ الدموع وانسكابها، فتقول باكيةً على فراق شقيقها " **صخر** "[1] :

يا عَيّنُ جُودِي بالدُّمو عِ المُسْتَهَلاّتِ السّوافِحْ*

فَيّضًا كَمَا فَاضَ الغُرو بُ المُتْرَعَاتُ* من النّواضِحْ****

إنّ البُكَاءَ هُو الشّفَا ءُ منَ الجَوَى بينَ الجوانِحْ***

فابْكِي لِصَخْرِ إذْ ثَوى بينَ الضّريحةِ****والصّفائِحْ*******

ولمّا انبعث من قلبِها حزنٌ بالغٌ وانفعالٌ وحرقة على الفقيد تعودُ تستمطر العين دمعًا منسكبًا، تعرض هذا المعنى في قولها [2]:

أعينِ ألاَ فابْكِي لصخرٍ بدرَّةٍ إذَا الخَيّل من طُول الوجيفِ*اقشعَرّتِ**

ونختِمُ رثاء " **الخنساء** " بهذه المقطوعة الحزينة الباكية التي كتبتها الخنساء بدمُوعها لا بِقلمها، مُستهلةً مطلعها بمخاطبةِ عينيها وحثِهِمَا على الجُودِ في البُكاء

---

[1] الخنساء: ديوان الخنساء، ص:25.

*السّوافح: جمع سافحة وهي صفة للدمع المنسكب. **غروب: جمع غرب وهو الإناء الكبير الذي يستخرج به الماء.***المترعات: المملوءات. ****النواضح: السّواني، وإحداهما ناضح، والنواضح: الإبل لأن الإبل تحركها فتفيض.*****الجوانح: أضلاع الصدر. ******أقام الضريحة: القبر. *******الصفائح: الحجارة العراض توضع فوق اللّحد من القبر. (ينظر: الخنساء: ديوان الخنساء، ص:25).

[2] الخنساء: ديوان الخنساء، ص:21

*الوجيف: السّير الشديد السّريع. **اقشعرت: ساءت حالها، وتغيرت ألوانها لطول السفر. (ينظر: الخنساء: ديوان الخنساء، ص:21).

لتُفْصِح عمَّا اختلج صدرها من حزنٍ عميقٍ، فالألم يُمزِقُ نِياط قلْبها ويعْتصِر فُؤادها، لذلك تقول[1]:

أَعيْنَـيَّ جُـودَا ولاَ تجـمُـدَا ألاَ تبْكِـيَـان لصَـخْـرِ النّـــــدى***

ألاَ تبكِيَانِ الجَرِيءَ الجميعَ** ألاَ تبْكِـيـــانِ الفتَـــى السّـيِّـدَا**

المرأة بطبيعتها حين المصائب والجلل تتفاعل مع الحزن ويظهر عليها، يقول **ابن رشيق القيرواني:**" والنِساء أشّجى النّاسِ قُلُوبًا عند المصيبة، وأشَدُّهمُ جزعًا على هالِكٍ لِمَا ركّبَ الله عز وجلّ في طبعِهِنّ من الخَورِ وضَعْفِ العزيمة "[2].

وممّا لاشكّ فيه أن آلام الأسى تزدادُ حِدَّة لدى المرأة الشاعرة بالأخص عندما يكون الفقيد من الأقرباء على نحو " **جليلة بنتُ مرة*****" التي رُزِئتْ في زوجها " **كليب** " بيد أخيها " **جسّاس** " فراحت تَحُثُ عينيّها على البكاء بغزارة فتقول[3] :

يَا عيّنُ فَابْكِي فَإنّ الشَّرَّ قدْ لاَحَا وأسْبِلِي دمعكِ المخزونَ سَفّاحَا

هَذا كُلَيْبٌ على الرّمضاَءِ مُنْجَدِلٌ بينَ الخُزَامَى عَلاَهُ اليَومَ أرْمَاحَا

---

[1] الخنساء: ديوان الخنساء ، ص:31.

***النّدى: السّخاء. ****الجميع: المجتمع القلب. (ينظر: الخنساء: ديوان الخنساء، ص:31).

[2] ابن رشيق القيرواني: العمدة في نقد الشعر وتمحيصه: شرح: مفيد قميحة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص:432.

*****جليلة بنت مرة: أخت جسّاس وزوجة كليّب إحدى النساء المشهورات في الجاهلية برجاحة العقل وعلُو الكعب في الشعر.(ينظر: رغداء ماريني: شواعر الجاهلية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002م، ص:31).

[3] عبد الأمير مهنا: معجم النّساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص:39.

أمّا " **تماضر بنت الشّريد***" فقد بدا جزعها على ابنها " **مالك بن زهير العبسي** " الذي عبستْ لفقده القبيلة كلها لِما لهُ من قوةِ بأسٍ وعظمةِ جودٍ، فتقول عنه[1]:

لَئِـنْ حَزِنَتْ بَنُـو عَبْـسٍ عَلَيْـهِ فقَـد فَقَـدَتْ بـِهِ عَبـسٌ فتَـاهَـا

فَمَنْ للضّيـفِ إذا هَبَّتْ شَمَـالٌ مُزعْـزَعَـةٌ يُجَـاوِبُهَـا صَـدَاهَـا

وتذهب " **عَمْرَةَ الخثعمية****" مذهب العديد من الشاعرات اللّاتي اتخذن الرثاء مطيةً للمدح، والفخر حيث نجدها تعدد فضائل ولديها اللّذين قُتِلاَ في إحدى المعارك قائلةً[2]:

هُمَا أخَوَا في الحربِ مَنْ لاَ أخَا لَهُ إذَا خَـافَ يومًا نَـبْوةً فـدَعَـاهُـمَـا

يَلْبَسانِ المَجدَ أحْسَـنَ لِبْسَـةٍ شَحِيحَانِ مَا استَطَاعَا علَيْهِ كِـلاَهُمَـا

شِهَابَانِ مِنّا أوْقَـدا ثُـمَّ أُخمِـدَا وكَـانَ سَنًـا لِلْمُـدَلَّـجينَ سَنَـاهُمَـا

---

* **تماضر بنت الشّريد:** شاعرة جاهلية، كانت زوجة زهير بن جزيمة ملك غطفان، وقد قُتل ولدها مالك يوم الهباءة بيد حذيفة بن بدر.(ينظر: عبد البديع صقر: شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط1، 1967م، ص38).

[1] عبد الحكيم الوائلي: موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية الإسلام،ج1، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2001م، ص: 83.

** **عَمرَةَ الخثعمية:** شاعرة جاهلية مجيدة من بنِي اللاّت بن ثعلبة لا تذكر المصادر ترجمة عنها سوى أنّ لها ولدين قالت ترثيهما بأبيات، تحمل عاطفة الأمومة.(ينظر :رغداء ماريديني ، شواعر الجاهلية، ص:98).

[2] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج2، ص:1083،1084.

ويسقط " **عثمان بن عفان** " شهيدًا، نتيجة خطإٍ في فهمِ قتله وسوءٍ في التقدير، فيتوارد الشّعراء على تأبينه بالإشادة بمحامدهِ الإسلامية ومناقبه الدينية فيقول " **حسّان بن ثابت** " في رثائه [1]:

يَا لِلرّجَالِ لدمْعٍ هَاجِعٍ بالسُنَنِ إنِّي عجِبْتُ لمَنْ يبْكِي على الدِمَنِ

إنّي رأيّتُ أمِيْن الله مُضّطَهدًا عثمان رهنًا لدى الأحداثِ والكَفَنِ

يا قَاتِلَ اللهِ قَومًا كَانَ شأْنُهُمُ قَتْلَ الإمَامِ الأمِينِ المُسلِمِ الفَطِنِ

مَا قَاتَلُوهُ علَى ذَنْبٍ أَلَمّ بِهِ إلاّ الذِي نَطَقُوا بُوقًا*ولَمْ يَكُنِ

إذَا تَذَكّرْتُهُ فَاضَتْ بأرْبَعَةٍ عَيني بِدمعٍ على الخدّينِ مُحَنْتِنِ

ومن الألوان التِي لم يألفها الشّعر العربي من قبل رثاء الشُّهداء، فقد صور الشعراء القتل بيد الأعداء وهو الشّهادة التي طالّما كان المقاتلُون يحلمُون بها، وهي الغاية التي يُجاهدُ المؤمنون للوصول إليها وهي أصدق استجابة لدعوة الله للمؤمنين للجنة [2]، فقام حسّان برثاء " **حمزة بن عبد المطلب** " الذي استشهد في " **أُحُد** " حين قدمت ابنتهُ " **أمامة** " المدينة تسألُ عن قبرِ أبيها[3]:

تُسائِلُ عَنْ قَومٍ هِجانٍ سَمَيدَعٍ* لَدَى البَاسِ مِغْرارِ الصَّباحِ جَسورِ**

---

[1] حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، شرح: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص:244.

*البوقا: الكذب والباطل. ** الدّمع المحنتنِ: المتتابع. (ينظر: المصدر نفسه، ص:244).

[2] سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،(د، ط)، 1996م، ص:135.

[3] حسان بن ثابت: ديوانه، ص:112،113.

***السّميدع: الشّجاع الكريم السّخي.

أخِي ثِقَةٍ يَهْتَزُّ لِلْعُرفِ* والنّـــدى بَعيّدِ المَدَى فِي النّائِبَاتِ صَبُـورِ

فقُلتُ لهَا إنّ الشّـهادة راحَـةً ورضْوانُ ربٍّ يـا أُمَـــامَ غَـفُـورِ

فَإنّ أبَـاكَ الخَيْرَ حَمْزَةَ** فاعْلَمِي وزيِّــرُ رسُـــولِ الله خيّـرُ وزيــرِ

دَعَاهُ إلَهُ الخلقِ ذُو العَرْشِ دعْوةً إلى جنّــةٍ يرضَــى بِهَـا وسُـــــرُورِ

فَـذلِكَ مَـا كُنَّـا نـرجِّي ونَرْتَجِـي لِحَمْزَةَ يــومَ الحَشْـرِ خيـرَ مَصِيــرِ

فَوَ اللهِ مَا أنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا *** ولأبْــكِـي فِـي مَحْضَـرِي ومسِيـــــرِي

ومن بينِ القصائدِ التي وصلت إلينا في رثاءِ الشُّهداءِ، قصيدة الشاعر " **مالك بن الرّيب التميمي** "**(641م/677م)** الذي أصابه المرض في مدينة " **مرو** " من أرض فارس وهو في جيش المسلمين لتحرير الفرس من العبودية، ولمّا أحسّ بالموت قال في قصيدةٍ عُدتُها (**58**) بيتًا رثى فيها نفسه، كلها تفيضُ بالمشاعر الإسلامية وتكاد تقطُرُ رِقةً وعذوبة، ولكنّها تُعَبِرُ عمّا كان يُحسُ به أبناء الصحراء العربية من الغربة والابتعاد عن مواطنهم وهم يسِيرون في أقطار الأرض، لتحرير البشرية من الكفر والشّرك والطغيان والظُّلم، وتُعبر عمّا كان يُعانيه أبناء العروبة من أزماتٍ نفسية وهم ينتقلون من حضارة قديمة إلى حضارة جديدة وبيئات جديدة[1]، ومطلعها [2]:

ألاَ ليّتَ شِعْرِي هَلْ أبِيْتَنّ ليلةً بِجَنْبِ الغضَى****أُزْجِي القِلاصِ النّواجِيَا

*العرف: الجود والمعروف. **هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم من قريش عمّ الرّسول(صلى الله عليه وسلم) وأحد صناديد قريش. ***الصبا: ريح جهة الشّرق. (ينظر: حسان بن ثابت: ديوانه، ص:112،113).

[1] سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، ص:135.

[2] مالك بن الرّيب: ديوانه، تح: نوري حمودي القيسي، معهد المخطوطات العربية،(د، ب)، (د، ط)، (د، ت)، ص:88.

****الغضى: شجر ينبت في الرّمل ولا يكون غضًا إلاّ في الرّمل. (ينظر: مالك بن الرّيب: ديوانه، ص:88).

ومنها قوله مصورًا لحظات الموت الأخيرة وهو ينقل إلينا بأمانة ما يدورُ بينهُ وبين المحيطين به وهو يُقابل مأساة الموت، ويُحِسُ بالنهاية المحتومة بحيث يشعرُ القارئ لهذه الأبيات المملوءة بالشّجن أنّه أمام سيناريو حزين، يسردُ الشّاعر من خلاله التفاصيل الدقيقة لتلك المشاهد المتتابعة لموتٍ حقِيقي، وهو الموت الذي يبدو أنّه قد تحقق له قبل وقتِه، ويسرد الشاعر من خلاله تلك المهمة الصّعبة التي أُحِيلت لصديقيه وهي إرساله لمثواه الأخير أي (القبر)، ورؤية أهله وأحبته له بعد أن هزل جسمه وضعف وحانت وفاته، يقول [1] :

ولمّا تـرَاءَتْ عِنْدِ مُـرّوٍ*منِيّتِـي وخَلَّ بِهَا جِسْمِي وحَانَتْ وفَاتِيَـا

أقُـولُ لأصْحَابِي ارْفَعُـونِـي فَـإنّـهُ يَقَرُّ بِعَيْنِيْ أنْ سُهيـلٌ بـدَا لِيَـا

فيَا صَاحِبيْ رحْلِي دَنَا المَوتُ فَانْزِلاَ بِرابِيَـةٍ إنّـي مُقِيـمٌ لياليَـا

أَقِيمَا عَلَيّ اليّوم أو بعـضَ ليلـةٍ ولا تُعْجِلانِـي قَدْ تبيّـنَ شَانِيَـا

وقَومًا إذا مَا استّتلتْ رُوحِي فَهيِّئَا لِي السِّدْرَ والأكْفَانَ عِنْـد فنَائِيَـا

وخُطَّا بِأَطْرَافِ الأسِنَةِ مَضّجعِـي ورُدّا علَـى عيّنَـيّ فَضّـلَ رِدائِيَـا

خُذَانِي فَجُرَّانِـي بِثَـوبِـي إليّكُمَـا فَقَدْ كُنّتُ قَبَل اليّومِ صَعْبًا قِيّادِيَـا

الحزنُ هو فن " **أبو ذؤيب الهذلي**" **(580م/648م)** الذي اشتهر به في قصيدته " **العينية** " التي رثى فيها أبناءهُ واشتهر بها وأصبح معروفا، فاهتم به النُقاد ووضعوه

---

[1] مالك بن الرّيب: ديوانه، ص:91،92.

*مرو: مدينة في الاتحاد السوفياتي. **خلّ: اختل واضّطرب وهزل.(ينظر: المصدر نفسه، ص:91،92).

في المكان اللاّئق به بين شعراء عصره حينًا وبين شعراء الرثاء في جميع العصور حينًا آخر، والقصيدة قالها " **أبو ذؤيب** " في أبنائِهِ الخمسة الذين ماتوا في عام واحدٍ بسبب مرضِ الطاعون الذي حلّ بمصر، وهي في مجموعها تعبيرٌ صادقٌ وعميق عن لوعة أبٍ فُجِعَ بفَقْدِ أبنائِهِ، وأبياتها زاخرة بالشّعور الفيّاض الذي يُعبرُ عن نفسٍ هدّها الألم ومَزّقها الحزن[1]، والقصيدة تجمع بين الندبِ والعزاء فهو يندب أبناءه حين يقول[2]:

أَمِــنَ المَنُــونِ وَريبِهَـا تَتَوَجَّعُ وَالـدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجْــزَعُ

قَالَتْ أميمةٌ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًـا مُنْذُ ابْتَذَلْتَ ومِثْلُ مَــالِكَ يَنْفَــعُ

أمْ مَا لجنْبِكَ لا يُلائِـمُ مَضْجعًـا إلاّ أقضّ عليّــكَ ذاكَ المضْجَــعُ

فـأجَبْتُها أنّ مــا لِجِسْمِـي أنّــهُ أوْدى بَنــيَّ من البـلادِ فودَّعُــوا

أمن المنونِ وريبِهَا تتوجعُ؟! بهذا الاستفهام الاستنكاري استهل الشاعر أبياته وبكل ما يحمله هذا الاستفهام من المرارة والإحساس بالخيبة، فالشاعر على يقين من أن التوجع لا يجدي نفعاً، لكنّه يدرك أيضًا أنّه لا محيص من التوجع، فالتوجع هنا أكثر مرارة؛ لأنّه توجعٌ يائس يزيد من شدته إحساس الشاعر بالعجز أمام صروف الدهر ونوائبه، والحقيقة التي يضعها الشاعر أمامنا منذ بداية الأبيات "**والدهر ليس بمعتب من يجزع**" هي الفكرة الأساسية التي لم تغادر ذهنه من أول القصيدة إلى آخرها فجاءت القصيدة برمتها للتأكيد على هذه الحقيقة، أمّا البيت الثاني فيستهله بسؤال

---

[1] أبو ذؤيب الهذلي: حياته وشعره، تقديم: محمد سعد زغلول، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض ،السعودية، ط1، 1400هـ/ 1980م، ص:55.

[2] أبو ذؤيب الهذلي: ديوانه، تح: أحمد خليل الشّال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، القاهرة، ط1، 1435هـ/ 2014م، ص:47،48.

أميمة عن حالهِ وسبب ذلك الشّحوب الذي أصابه ليؤكد بأنّ المصيبة كانت كبيرة وفادحة وبارزة للعيان، فهو دائِـمُ البُكـاء مع علمِـه أن البُكاء لا يُجْدِي نفعًا.

تعد عينية أبو ذؤيب الهذلِي من أشهر القصائد التي تمتاز ببناء لم يُعرف له مثيل قبل أبي ذؤيب، ومع أنّها قِيلت في الرثاء وهو موضوع مشهور في الشعر العربي القديم، إلاّ أنّها تختلف عن القصائد التي سبقتها في هذا المجال اختلافاً يستدعي الوقوف عندها والتأمل فيها؛ لأنّ أبا ذؤيب لا يقف فيها عند رثائه لأبنائه فقط وإنّما يتحدث عن مشكلة أعمّ وأشمل قد تكون من أعظم المشاكل التي تواجه الإنسان، وهي مشكلة الموت، وحديثه ليس حديث الفيلسوف بقدر ما هو حديث الإنسان والشاعر المرهف الإحساس المفجوع الذي يعبر بشفافية عن آلامنا جميعا.

كما وتُواصِلُ المرأة قرض الشعر حتى في العصر الإسلامي وتدعمتْ أكثر بموقف الرسول " **صلى الله عليه وسلم** " من إبداعها، إذ كان يسْتنْشِد الخنساء ويُعبّرُ بشعرها معتبرًا إيّاها أشعر النّاس[1]، فكانت الخنساء شاعرة منذ عصر الجاهلية وعندما قُتِل أخواها صخر ومعاوية، فحزنت عليهما حزنًا شديدًا وبكتهُما في الجاهلية أعوامًا طويلة وندبتهُما بشعرها الحزين، وأسرفت في ذلك حتى امتلأ ديوانها بهذا الشعر الذي فيه الرّثاء.

برزت خلال العصر الإسلامي العديد من النساء اللّواتي مارسن نظم الشعر وذلك ما دلّ عليه قول أحد الدارسين:" لم تقتصر العناية بالأدب في العصر الإسلامي على الرّجال وحدهم، فقد نبغ من النّساء عدد ضَرَبْنَ بِسَهمٍ وافرٍ في العِلم وكُنّ أمثلةً تُحْتَذَى

[1] ينظر: سهام عبد الوهاب الفويح: المرأة والإبداع الشعري، دار الهدى للثقافة والنشر، ط1، 2004م، ص:74.

في قوة البيان وفصاحةِ اللّسانِ والشعر الجزلِ" [1]، حيث بكت المرأة الشاعرة الأقرباء والشّهداء والقادة، ومن اللّواتي ناحتْ على ذويّها ومن بين النّساء اللّواتي برعنَ في فنِ الرثاء والبُكاء والتأبين في العصر الإسلامي، الشاعرة " **أم فَطِن*** " التي لم يُفارقها الأنينُ على ابنها فصارت تتمنى لو أنّها لم تحمله في بطنها يومًا، فنبأُ وفاتِهِ كالصاعقة أو الفجيعة التي جعلتها تتمنى الموت، فالحياة بالنسبة إليها مرهونة ببقائه معها، تقول هذه الثّكلى الحزينة[2] :

يَا قُرْحَةَ القلْبِ والأحشاءِ والكَبِدِ يَا لَيْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ

لَمّا رأيتُكَ قَدْ أدْرِجْتَ في كَفنٍ مَطَّيبًا للْمنايَا آخِرِ الأبَدِ

أيْقَنْتُ بَعْدك أنِّي غيرُ بَاقِيةٍ وكَيفَ يَبقى ذِراعٌ زال عَنْ عَضُدِ؟

وهذه " **زينب بنتُ العوّام****" وإن تَطَهّر قلبُها من دنسِ الجاهلية فلغتها الشّعرية ظلّت محافظةً على بعض سِماتها، ففي رثائها لأخيها " **الزبير بن العوام بن خويلد** " وابنها تخاطب عينيها ملتمسةً منهما الجُود بالدموع سالكةً في حُزنها ورثائها نهج

---

[1] علي إبراهيم حسن: نساء لهنّ في التاريخ الإسلامي نصيب، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت) ، ص :75.

* **أم فطن بن سريح:** من شواعر العرب، قُتِل ولدها فطن في الحرب التي قادها خالد بن الوليد ضد بني عبد وُدّ، من أجل هدم الصّنم الذي كانوا يعبدونه.(ينظر: عبد الأمير مهنا: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، ص306).

[2] ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرح وضبط: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السّلام هارون،ج3، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1982م، ص:259.

** **زينب بنت العوام:** شاعرة صحابية أسلمت قديمًا، وهي شقيقة الزبير بن العوّام الذي قتل في واقعة صفين، أمّا ابنُها فهو عبد الله بن الحكيم، قُتِل في يوم الجمل.(ينظر: عبد الأمير مهنا: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، ص:114).

الخنساء في الجاهلية، فتتوعد القاتلين الذين فَتكوا برهط النبي (**صلى الله عليه وسلم**) وضيّعُوا حرمة الدين الإسلامي تقول [1] :

أعَيْنَيّ جُودَا بالدُّمُوعِ فَأَسْرِعَـا عَلَى رَجُلٍ طَلْقِ اليَدينِ كَرِيمِ

قَتَلْتُمْ حَــوَارِيَّ النّبِيّ وصِهْــرَهُ وصَاحِبَهُ فاسْتَبْشِرُوا بجَحِيمِ

وأيّقنْتُ أنّ الدِينَ أصْبَحَ مُدْبِرًا فَمَاذَا تُصَلِّي بَعْدَهُ وتَصُومِي؟

والحقيقة أنّ المراثي التي خُصَّ بها سيّدُ الأنام بلغت ذِروةَ الحزن والأسى؛ لأنّها مبنية على الصّلة الرّوحية والدينية التي تربط **الرّاثِي بالمرثي**، فما بالنا إذا انضافت إلى هذه الصّلة صِلة القرابة والدّم كحال السّيدة " **فاطمة الزهراء** " ابنته " **صلى الله عليه وسلم** " التي هزّ بُكاؤها لأبيها القلوب والمشاعر، فتقول [2] :

قُلْ للمُغَيَّبِ تَحْتَ أطباقِ الثّرَى إنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْختي وندائِيَـا

صُبّتْ عَلَيّ مصائِبٌ لَوْ أَنّهَا صُبَّتْ على الأيَامِ عُـدْنَ لَيَالِـيَـا

وحينما شعرت بفقدِ الحماية والأمان والسلم والوئـام الذي طالما وفّره لهـا والـدُهـا (**صلى الله عليه وسلم**) تقول ملازِمةً حُزنهـا وبُكـاءها عليـه فقد صار الحزنُ والدّمعُ وشاحها الذي لا يفارقها [3] :

قَـدْ كُنْــتُ ذات حِمًى بِظِـــلِ مُحَمَّدٍ لاَ أخْتشِي ضَيمًا وكَـــانَ جَمَـالِيَــا

---

[1] محمد ألتونجي: شاعرات في عصر النبوة، ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط1، 2002م، ص:81.

[2] فاطمة الزهراء: ديوانها، إعداد: حيدر كامل ومحمد شرّاد حساني، منشورات دار البحار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص:85.

[3] المصدر نفسه، ص:86.

فاليـومَ أخْشَـــعُ للذّلِيـــلِ وأَتَقِـــي ضَيْمِـــي وأدْفَـعُ ظَـــالِمِـــي بردائيَـا

فلأ جعلنّ الحُزْنَ بعْـدك مُؤْنَسِـــــي ولأجْعَلَنّ الدَّمْعَ فيّـك وشَـــاحِيـــا

مَــاذا علَــى من شمَّ تُربة أحمـــــدٍ أن لا يشمّ مَـدى الزّمان غـواليَا

نَال الحزنُ حظًا كبيرًا من لدن الشّعراء فسارُوا على منهجِ الذي كان سائدًا في العصر **الجاهلي والإسلامي** وهو الفجيعة والجزع وكذلك الإشادة بفضل الميّت، فهذه " **ليلى الأخـيلية** " **ت (704م)** ترثـي " **توبة**" بعدمّا بلغها خبر مقتله [1]، وذلك في قولها [2]:

يـا عَينُ بَكِي بدمْعٍ دَائـمِ السّجمِ* وابْكِي لِتُوبَةَ عِنْد الرّوعِ والبَّهَمِ**

عَـلَى فتَى مِن بَنِي سَعْد فُجِعَتْ بِهِ مَاذا أُجنَّ بِهِ مِنْ الحُفْرة الرّجمِ***

وتستمرُ " **ليلى الأخيلية** " في البكاء وتدعو نساء خفاجة إلى مواصلة البكاء معها أيضًا، تقول [3] :

أيا عينُ بَكِي تُوبة بن حُميِّر بسحٍّ كفيضِ الجدولِ المتفجِّرِ

لِتَبكِ عليه من خفاجة نسوة بمَاءِ شؤونِ العبــرَةِ المتحـدرِ

سمِعنَ بَهْيجًا أرهقَتْ فذكرنَـهُ ولا يبْعثُ الأحزانَ مثلَ التذكُـرِ

---

[1] ينظر: سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص:236.

[2] ليلى الأخيلية، ديوانها، تح: خليل إبراهيم العطية، جليل العطية، سلسلة كتب التراث،(د، ب)،(د، ط)،(د، ت) ص:115.

*سجم: كثرة الدّموع. **البهم: وهي الخطة الشّديدة. ***الرّجم: القبر.(ينظر: المصدر نفسه، ص:115).

[3] ليلى الأخيلية، ديوانه، ص:71.

أمّا إذا ما تحدثنا عن الحزن على الزوجة فنجد من أشهر من حزن على زوجته وقام برثائها في العصر الأموي "**جرير**" **(653م/728م)** الذي بكاها بحرقة في أربعة وعشرين بيتًا عبّر فيها عن حزنه الشديد، حيث أنّه استبدل المقدمة الرثائية بالمقدمة الغزلية المعهودة وبالتالي يُصبحُ جرير مؤسِسًا لرثاء الزوجة دون منازع، وبالتالي يكُون قد فتح بابًا كان الشعراء يهابُون ولُوجه فيقول في مرثيته التي مُصورًا حزنه الشّديد على فراق زوجته فهو يستحي أن يبْكي عليها ولكنّه يكتفي فقط بالنّظر إلى قبرها والدعاء لها [1]:

لَوْلاَ الحَيَاءُ لعَادَنِي اسْتِعْبَارُ ولَزُرْتُ قَبْرِكِ والحبِيبُ يُزَارُ

ولقدْ نَظَرتُ ومَا تَمَتُّعُ نظْرةٍ في اللّحدِ حَيثُ تمَكّنَ المِحْفَارُ

فجزَاكِ رَبُّكِ فِي عَشِيرِكَ نظرةً وسَقَى صَداكِ مُجَلْجِلٌ مِدرَارُ

وهذا " **الأخطل** "**(640م/710م)** على غرار غيره من الشعراء الأمويين يرثي " **يزيد بن معاوية** "، الذي كان موته في "**حوارين***" التي من تدمّرت على مرحلتين سنة **(64هـ)**، ونجد الأخطل في رثائِه له يُشير إلى المكان الذي دُفِنَ به، والذي قام بدفنِهِ وهو خالد ابنه، ويُؤبِنُهُ بالقوة والمجد، ويدعو لقبرهِ بالسُّقيا، ويبين أثر موتِهِ في زوجه ومواليه، فهي تبكي عليه وهم يصيحون إذْ يرونها ويسمعون بُكاءها، أمّا النساء اللواتي

---

[1] جرير: ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، 1406هـ/ 1986م، ص:154.

*حوّارين: بلدة قرب حمص.

يعدنها فقد أفقدهُنّ المصاب وعيهنّ فرحن يُعبرن لها عن حزنهن بالتخفُفِ من الثّياب ولعلّه يعني تمزيقِها[1]، يقول [2] :

لَعَمْري لقد دَلّى إلى اللّحدِ خالِدٌ* جنازةَ لا كابىالزّنــادِ، ولا غُمْــرِ*****

مُقِيمٌ بحَـوارين ليسَ يَريمُهَـا** سَقَتْهُ الغوادي مِنْ ثويّ*****ومِنْ قبرِ**

تصيحُ الموالي أنْ رأوْا أمّ خَالدٍ**** مُسَلّبَةً تبْكِـي علَى المَــاجِــدِ الغَمْــرِ**

إذا جاء سِرْبٌ منْ نِسَاء يَعُدْنَهَا تَعَرَيْــنَ، إلاّ مــن جلابيبَ أَوْ خُمْــــرِ

أمّا " **نصيب بن رباح** " **ت(726م)** فقد رثى" **عبد العزيز بن مروان** " فقد رثاهُ ثلاث مرات فأشار إلى المكان الذي مات فيه وهو قرية بصعيد مصر تسمى "**سُكّر**" كان ينزلها ويتخذُها متنزهًا، وحين وقع الطّاعُونُ خرج إليها فلم يعد إلى " **الفسطاط** " مرة أخرى وأدركهُ الموتُ هناك فتأثّر بموته وتعب نفسيًا وكانت موته بمثابة مصيبةٍ ليس له بها من قبل، وذكر أن كل مصاب بعدهُ هين مستخدمًا في ذلك كلمة من كلمات التضاد وهي كلمة " **جلل** " وأقسم ألاّ يُنْسَى هذا المصاب ولا البكاء على صاحبه ما أسمعتهُ حنينها الإبل، ثم أشار إلى أنّهُمْ إذْ حملوه إلى مثواه لم يعلموا ولم

---

[1] محمد أبو المجد علي: شعر الرّثاء والصّراع السّياسي والمذهبي في العصر الأموي، كلية الدراسات العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ،1995م، ص:148.

[2] الأخطل: ديوانه، شر: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/ 1994م، ص:145.

*خالد: هو خالد بن يزيد بن معاوية. **لا كابي الزناد: الذي لا تشعل نار. ***الغمر: المهمل غير المعروف. ****لا يريمها: لا يُبارحُها.***** الثّوي: المقيم وهنا في القبر. ******أم خالد: فاختة بنت هاشم بن ربيعة زوجة يزيد بن معاوية. (ينظر: المصدر نفسه، ص:145).

يعلم النّعش الذي وضعوه فيه حقيقةَ ما حملوا وكأنّه يعجب كيف ساروا به إلى القبور وكيف ارتضت لهم أنْفُسُهم أن يغيبوهُ في التراب[1]، فيقول [2]:

أُصِبْتُ يَومَ الصَّعِيد مِنْ سُكَـرٍ مُصِـيبـةً لـيّـس لِي بِهَا قِبـلُ

تـاللهِ أنسَـى مُصِيـبَتِـي أبـــدًا مَـا أسْـمَعَتْـنِـي حِينهَا الإبـلُ

ولا الـتَّبْـكِّـي علِـيّهِ أُعْـوِلُــهُ كُـل الـمُصِيبَـاتِ بَعْـدَهُ جَلَـــلُ

لمْ يَعلَمْ النّعشُ مَـا عليــه من العُرفِ ولاَ الحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا

حـتّـى أجنُـوهُ فـي ضـريحِهِـمْ حيّنَ انْتهَـى مِـن خلِيلِكَ الأمـلُ

كما نجده يجمع بين الأب " **عبد العزيز** " وابنه الخليفة " **عمر**" ويبدأ بالنّدب والبُكاء عليهما فهو أحقُ من غيرهِ ببُكائِهما، لما كان لهما من فضلٍ عليه، ويتضح ذلك في البيت الثاني، ويذكر أنّه لم يكن يتصور أن يعيش بعدهما وكان يظن أنّه إذا تيقن من موتهما لَحِقَ بهما لكن منيتهُ تراختْ وكأنّهُ قَدْ كُتِبَ عليه أن يحيا ويعيش على غير رغبةٍ منه في الحياة، فيقول [3] :

بَكِيّتَ ابن لَيْلَى وابنَـهُ ورأيّتنِـي أحَقُ الأُولَى كَانُوا مَعِي بِبُكَاهُمَا

هُمَا أحَذَياني الخَيرَ حتّى تَشَعّبَتْ غُصُونِي بنبتٍ نَاضِرٍ في ثَرَاهُمَـا

وكُنْتُ أرى أنّـي إذا بِـتُ لَيـــلَـةً مِنْ الدّهرِ قَدْ أيْقَنَـتُ ألاّ أراهُـمَـا

---

[1] محمد أبو المجد علي: شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في العصر الأموي، ص: 153،154.

[2] داوود سلوم: شعر نصيب بن رباح، تح: داوود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د، ط)، 1967م، ص:113،114.

[3] داوود سلوم: شعر نصيب بن رباح، ص:87،88. **وينظر**: محمد أبو المجد علي: شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في العصر الأموي، ص :155.

سَأَقْضِي فَلَمْ أفعَلُ ولكنْ مَنِيَّتي تَراخَي إنـاهَا بَعدَ حِينٍ إنَاهُمَـا

المرأة الشاعرة في هذا العصر أيضًا حزنت فرثتْ وأبنتْ بعض مَنْ أوْدَتْ بِهِمْ الفتنة السياسية التي شهدها العهد الأموي، " **كعقيلة بنت أبي طالب** " التي وجدت في تأبِينِها لقتلى " **كربلاء** "، فرصة لتوبيخ الذين استباحُوا دماء أهل الرسول صلى الله عليه وسلم، فتقول[1]:

مَاذَا تَقُولُونَ إنْ قَالَ النّبيُّ لَكُـمْ ماذا فَعَلْتُمْ ولأنْتُـمْ أفضَلُ الأُمَـمِ

بِعتْرتِي وبِأهْلِي بَعْدَ مُنْطَـلَقِـي مِنهُمْ أُسَارى وقتْلَى ضُرّجُوا بِـدَمِ

مَا كانَ هذا جَزَائِي إنْ نَصَحْتُ لَكُمْ أنْ تخْلُفونِي بِسُوءٍ في ذوِي رَحِمِي

أمّا ما جاء إلينا من رثاء الأصول نجد رثاء " **عمرة أم عمران بن الحارث*** " لابنها فكأنّها سعيدة باسْتشهادِهِ؛ لأنّه كان يدعُو الله أن يرْزُقه شهادةً قبل الموت وقد تحقق له ذلك إذ تقول عنه فيقول [2]:

اللهُ أيَّـدَ عِمْـرَانَا وطُهّـرهُ وكـان عِمْـرَانُ يَدْعُو الله في السَّحَرِ

يدعُوهُ سِرًا وإعلانًا ليرزُقَهَ شـهـادةً بـيـدَيْ مِلْـحَـادَةٍ غـدرِ

---

[1] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1925م، ص:212.

[2] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ص:136.

في حين نجد " **أخت الحَازوقِ**" على عكس " **عُمرة** "، فهي تبكي أخاها بلوعةٍ وأسى بل والأكثر من ذلك أنّها تطلبُ من عينيها أنّ تجودا بالدّموع عليه قائلة [1] :

أَعَيْنَيَّ جُودَا بالدُّمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ عَلَى الفارِسِ المَقْتُولِ بالجبْلِ الوَعْرِ

أقَلِّبُ عَيْني في الـرّكَـاب فَلاَ أرى حُزَاقًا فَعَيْنـي كالحجَـاةِ مِنَ القَطْـرِ

كثرت في هذا العصر الفتن والثورات فأولدت ضربًا من الرثاء، يتمثل في بكاء المدن، ولم تكن المرأة الشاعرة بمنأى عنه، والدّليل تلك القصيدة التي رثت فيها " **عائشة العثمانية*** " مكة المكرمة، إثر النكبة التي ألمّت بها، خلال عشرية كاملة(من **63هـ** إلى **73هـ)** حيث رُميت **بالمجانيق**، مرة على يد الحصين بن نمير قائد جيش " **يزيد بن معاوية** "، وأخرى على يد الحجاج قائد جيش " **عبد الملك بن مروان** " [2].

ولأنّ المدينة مقدسة في القلوب صوّرت الشاعرة بحزنٍ وأسًى الدمار والخراب الذي نزل بأمِ القرى فتقول عنها [3] :

أَرِقْـتُ لـبَـرْقٍ بَـدَا ضَـوْءُهُ بِمكَـةَ يَبْدُو ويَخْفَـى مِـرارَا

فَبِـتُّ أُمَلْمَـلُ فِي مَضْجَعِـي وأبْكِي جِهَارً وأبْكِـي سِـــرَارَا

لِأُمِّ القُــرَى خَرِبَتْ بالحَرِيـقِ ومَـاتَ بهَا النّاسُ سَيْفًا ونارًا

---

[1] البلاذري: أنساب الأشراف، ج2، تح: محمد باقر، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1977م، ص:174.

***عائشة العثمانية:** إحدى الشّواعر المشاركات في حروب الطالبين: متشيعة من ساكني مكة، ذات جمال وعقل وبيان.(ينظر: عبد الله بن المعتز: طبقات الشعراء، شرح: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص :385).

[2] ينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص:546.

[3] عبد الله بن المعتز: طبقات الشعراء، ص: 385.

إلَى اللهِ أشْكُو مَقَامَ العِـــدَا بمكَّةَ قَـدْ حَاصَرُوهَا حِصَارَا

ثم تصفُ تشتُتَ أهلها متحسرة على ماضيها التليد وعلى قريتها التي كانت مأوى للضّعيف والقوي والقريب والبعيد والغريب وآمنةً في اللّيل والنّهار[1]:

سَأبْكِي قُرَيْشًا لِمَا نَـالَهَـا ويَـدَّلَـهَا الخـوفُ دَارًا فَـــدارَا

وأضْحَوا عَبَـابيدَ قَـدْ شُـرِّدُوا وحَلّـوا الجِبَـالَ وحَلّوا القِفَـارَا

فيَا قَرْيةً كُنّتِ مأوَى الضّعيفِ إذَا لَـمْ يجِدْ فِي سِوَاهَا قَـرَارَا

ومَأْوَى الغرِيبِ ومَأْوَى القَرِيبِ وآمِـنَـةً لَـيْـلَهَـا والـنَّهَـارَا

وهذه " **صفية الباهلية***" ترثي أخاها، معبِّرةً بانفعال شديد عماّ جاش في نفسها ولم تقوَ على كتمانه فأخذت تُصوِّرُ الحياة السعيدة مع أخيها، والبهجة والابتسامة المشرقة التي كانت تغمرها وسرعان ما يُصيبها الوهنُ والذبول والتلاشي بفقد أخيها الذي تقول عنه[2]:

كُنّـا كَغُصّنيّنِ في جُرْثُومَةٍ سَمْقَا*** حِينًا بأحْسَنِ مَا تَسْمُـو لَهُ الشّجَرُ**

حَتّى إذا قِيلَ قَـد طَالَتْ فُرُوعَهُمَـا فَطَـابَ فيـآهُمَـا واستُنْظِـرَ الثّمْـرُ

أخْنَى على واحِدٍ ريبُ الزّمَانِ ومَا يُبْقِي الزّمَانُ علَى شَيءٍ ومَـا يَـذَرُ

---

[1] عبد الله بن المعتز: طبقات الشعراء، ص:386.

***صفية بنت خالد المسافر بن مالك الباهلية:** إحدى شاعرات العرب في الجاهلية شاعرة محبوبة عند قومها وذات مقام رفيع.(ينظر: شاعرات في عصر النبوة، محمد ألتونجي، ص:101).

[2] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج2، تح: غريد الشّيخ، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1991م، ص:948،949.

**والجرثومة: الأصل. ***سمقا: أي طالا في كمال.

كُنّـــا كَـــأنجُـــمِ ليـــلٍ بينهَـا قَمَـــرٌ يَجلُو الدُجَى فَهَوى مِنْ بينهَا القَمَرُ

وهذه " **بثينة***" تُعبِرُ عن التّحطمُ والتّصدُع الذي صهّر فُؤادها وقلّبها لما سمِعتْ النّاعِي حتى برزت له تبكيه أحرّ الُبكاء في هذه الأبيات التي تُجسدُ لنا حالتها لمّا سمِعت خبر وفاة " **جميل بن معمر**"، فهي ومن معها يندبنّهُ حتى إنّها صُعِقتْ من شدة هول الفاجعة، ولمّا أفاقت وجدت حبال الرّزء التفت حولها لتخنُق حواسها وتَلْجُمُها عن البوح بأسرار النّفس ولوعتها في قولها تبكي " **جميل بن مَعْمَر** "[1] :

وإنّ سُلوّي عن جميلٍ لساعةٍ من الدّهْرِ مَا حانَتْ ولاَ حَانَ حِيْنُهَا

صَدعَ النّعيُّ ومَا كنَّى بجَمِيلٍ وثَـوى بِمصْـرَ ثَـواءَ غيْـر قَـفُـولِ

قُـومِي بَثَيّـنَةُ فَانْدُبِي بِعَوِيـلٍ وابْكِـي خلِيـلَكَ دُونَ كُـــلِّ خـلِيــلِ

ولا تكادُ تختلف " **ســلامــة الـقس****"عن سابقتها بثينة في رثائِها **ليزيد بن عبد الملك** لمّا مات وسرى نبأُ وفاته بين أهله وزوجاته، فناحت عليه بأبياتٍ ذاتِ وزنٍ وصوتٍ شجيٍ وحزينٍ إذْ تقول [2] :

قَـــدْ لـعمـرِي بِتُّ لَيْلِـي كَـــأخِـي الـــدَاءِ الـــــوجِيـعِ

***بثينة:** هي بثينة بنت حيّان بن ثعلبة بن ربيعة، وكان جميل بن عبد الله بن معمر يشيعُ صبابتَهُ بها حتى أصبح مقدمًا على أصحاب النّسيب في بني عذرة توفيت بعد وفاة جميل بقليل سنة 83هـ وكانت وفاتهُ سنة 82هـ. (ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج8، ص103).

[1] أحمد بن أبي طاهر طيفور: بلاغات النّساء، شر: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، مصر،(د، ط)، 1326هـ/1908م، ص:193.

****سلامة القس:** من قيان أهل مكة ثم المدينة، كانت تحسن الغناء وتقول الشعر، سميت سلامة القسى نسبةً لأحدِ قراء مكة، وهو عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي الذي لقب بالقس لعبادته، و سلامة لم تعمر طويلاً.(ينظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص:99).

[2] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص:346،347.

كُلّمَـــــا أبْصَرتُ رَبْـعًـا خَـالـيًـا فَـاضَتْ دُمُـــوعِـي

إِذْ فَـقَـدنَـا سَيِّـدًا كَـــا نَ لـنَـا غـيـــرَ مُـضـيّـــــعِ

لقد تميّز شعر الرثاء في هذا العصر بكونّه يصُبُ في رثاء الشُّهداء وهذا مردُهُ للنّزاعات السياسة والفتن التي تميز بها هذا العصر فكان أغلب الشعراء يرثُون الشهداء والسادة والأمراء والحكام، كما ساد رثاء الابن والأخ والحبيب والزوجة والذي كان شيء محظور، فالشاعر والمرأة الشاعرة صحيح قد انغمسوا في دائرة الحزن والتوجع من أول لحظة من لحظات الموقف والتجربة الشّعرية، إلاّ أنّهم لم يتفجعوا بالطريقة الجاهلية بل رثائهم وتأبينهم للميت أخفُّ نوعاً ما ، هذا فيما يخُصُ العصر الأموي أمّا إذا ما انتقلنا للعصر العباسي فسيكون لنا حديث آخر.

إذا أردنا الحديث عن الحزن في هذا العصر فسيتسع المجال وسيطولُ الحديث كثيرًا؛ لأنّ الحزن كما اجتاح قلوب شعراء العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، طرق أيضًا قلوب الشعراء العباسيين، فيا ترى كيف تجلّى الحزن في العصر العباسي؟ ومن هم أبرز شعراؤهُ ؟

لقد كان الرثاء التعبير الرسمي عن الحزن لفقدِ الأحبة والأصدقاء والعظماء، وقد انسلخ من النُّواح، وربما نشأ عن تعويذات للميت حتى يطمئن في قبرهِ، أي أنّه ذو منشأ دينِي كما هي حال الشعر بعامة، ثمّ أصبح فنًا مستقِلاً للتعبير الأدبي عن الحزن وإن كان قدْ احتفظ بالحس الفجائعي، فإنهُ كان يُؤخذ أحيانًا بمثابة مراسيم رسمية تخلو من التفجع، ومحاولة التعبير عن أفكار الشاعر ورُآه للموتِ والحياة والفناء والبقاء [1].

[1] ينظر: توفيق ركان الصّفدي: ابن الرومي الشاعر المجدد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د، ط)، 2012م، ص:93،94.

وكثر في العصر العباسي رثاء القادة والخلفاء، وكان" **أبو تمّام** " **(803م/875م)** في قصيدته الرّائية التي رثى فيها الطوسي الإمام المقدّم في هذا الفن، أمّا " **ابن الرومي** " **(836م/ 896م)** فقد كان هذا اللّون من الشعر تحديًا فنيًا له، وامتحانًا لأسلوبه الشعري ولثقافته الفلسفية في موقف عاطفي جارح، فقد وقف ابن الرومي أمام الموت وجهًا لوجه عدة مرات فرأى وجهه الكالح القاسي، ووجد نفسه أمام معادلة الحياة والموت الصعبة [1].

لذلك لا نستغرب إن وجدنا الشاعر" **ابن الرومي** " قد رثى أفراد أسرته الذين تخطّفهُمْ الموتُ واحدًا تِلْوَ الآخر، ورثى أصحابًا وقادةً في المجتمع، وشارك الآخرين أتراحهم مُرسِلاً تعازيه المواسية التي تُناقِشُ فكرة الموت، وإذا كانت الأفكار التي في مرثياته متداولة عند الشعراء السابقين فإنّه أضاف إليها الكثير من عواطفه المتوترة ومزاجه الحاد [2].

فللرثاء قيم اجتماعية وفنية وشخصية يتميز بها عن غيره من ضُروب الشعر من ناحيةٍ وعن شاعر دون آخر من ناحيةٍ أخرى، وتتعدّدُ دواعِي وأغراض الرثاء عند الشاعر بحسب مكانة المرثي وَمَنْزِلَتِهِ، فابن الرّومي في رثائِهِ لولدِهِ كان يُركز على لوعةِ الفقد لشدة حُبِّه لفلذةِ كبدهِ ويُعبر عن عاطفة الأبُوةِ اتجاه الأبناء البارّة ولعلّ هذا يتضح في أبيات قصيدتهِ التي تعبر عن همِّهِ الشّخصي والتي جاء فيها[3]:

بُكاؤُكُمَا يشْفِي وإنْ كَانَ لاَ يُجْدِي فجُودَا فقدْ أودى نظِيركُمَا عِنْدِي

---

[1] ينظر: توفيق ركان الصّفدي: ابن الرومي الشاعر المجدد، ص:94.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص:94.

[3] ابن الرومي: ديوانه، شر: أحمد حسن بسج، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،1423هـ/2002م، ص:400،401.

بُنيَّ الذِي أهْـــدَتْـهُ كَفّـاي للثـرّى فَيَا عِزّةَ المُهْدَى ويا حسّرةَ المُهْدِي

توخّى حِمَامُ المَوتِ أوسَط صِبْيتِي فللّهِ كيّف اختـــارَ واسطـةَ العِقْـــدِ

طَواهُ الرّدَى عنّي فأضْحَى مَـــزَارُهُ بعيدًا على قُربٍ قريبًـا علـى بُعْـدِ

ألـحَ عليهِ النّـزفُ حتّـى أحَـالَـهُ إلَى صُفْرَةَ الجَادِيّ عن حُمْرَةِ الـوَردِ

عَجِبْتُ لقَلْبِي كيّـف لَمْ ينْفَطِرْ لَهُ ولَو أنّهُ أقسَى من الحَجَرِ الصَّلـدِ*

بِـــودِّي أنّي كُنْـــتُ قُـدِّمْتُ قبْلَـــهُ وأنّ المنـــايـا دُونَهُ صَمَدَتْ صَمْدِي

ولكـنّ رَبِّي شَـاء غَيْرَ مَشِيئتِي وللرَّبِّ إمضَـــاءُ المشيئةِ لاَ العَبْـدِ

يستعير " **ابن الرومي** " في مرثيته "لابنه" عبثية الوجود في موقف الموت فهو يَهْدي التُراب هدية غالية يبكي عليها حسرةً وجزعًا، وبعد ذلك يصور تفاصيل المشهد الكالح، فالموت اختار أوسط صبيته، في حين كان هو يرعاهُ متابعًا نماءهُ الجسدي والعقلي، وهو يتفتّح أمامه مستبشِرًا بثمر طيّب من الوعي والحياة، ولكنّ المنية قطفتهُ في تلك اللّحظة من العمر آتية بذلك على آمال الأب وأمانيه، ويتصاعد عنده موقف التفجع في انفجارات عاطفية تفلت لغته من لغة المنطق، وهنا يَعْزِفُ على وتر قديمٍ يشبه فيه غيره من شعراء الرثاء، ولكنّه يتميّز عنهم في رصدِ التفاصيل المؤثرة[1]، واصفًا مدى حزنه الشّديد على ابنه " **محمد** " وذلك في قوله [2] :

*الصّلد: الصّلب.(ينظر: ابن الرومي: ديوانه، ص:401).

[1] توفيق ركان الصفدي: ابن الرومي الشاعر المجدد، ص:98.

[2] ابن الرومي: ديوانه،ج1، ص:401،402.

**أقذى: من القذى ما يقع في العين كالغبار. (ينظر: المصدر نفسه، ص:401).

أقُرّة عيني: قدْ أطلتْ بُكَاءَهَـا وغادرتُهَا أقذى * **من الأعْينُ الرُّمدِ**

أقُرّة عَيّنِي: لو فَدَى الحَيُّ ميّتًا فَدَيْتُكَ بالحَوْبَـاءِ أوَّلَ مَنْ يَفْـدِي

كَأنِّي مَا اسْتَمْتعْتُ مِنكَ بنظْـرةٍ ولاَ قُبْلةٍ أحْلَى مَذاقًـا مِـن الشّهْـدِ

كَأنِّي مَا اسْتَمْتعْتُ مِنكَ بضمّـةٍ ولاَ شمَّـةٍ في ملْعـبٍ لَك أو مهْـدِ

عَليّكَ سَلامُ اللهِ مِنِي تحِيـةً ومِنْ كُلِّ غيِّثٍ صَادِقِ البَرقِ والرّعْـدِ

هكذا رأينا " **ابن الرومي** " في هذه المرثية يصورُ حزنه من خلال إضاءة التفاصيل في المشهد الحزين، فأتاح لنا أن نقِف على حالة الحزن التي أصابتهُ بانفعال أكثـر وتهيمِنُ العاطفة على معظم أجزاء القصيدة فكانت عاطفة صادقة [1].

حياة الشاعر" **ابن الرّومي** " سلسلة من الأحزان والمآسي ذلك أنّهُ واجه العديد من النّكبات المتتالية، فقد فُجِع في والده، وأمّه، وزوجته، وأولادِهِ، وأخوه، وخالته ومالهِ، كل ذلك كان سببًا في ترك آثار سلبية على نفسيته وشخصيته، فقد تأذى كثيرًا لذلك نشأت لديه النّزعة التشاؤمية.

" **أبو العلا المعري** " **(973م/ 1057م)** أيضا رثى **والدتِه** حين توفيت قبل قدومه من العراق بمدة يسيرة في قصيدة بعنوان " **سألت متى اللّقاء؟**" [2] :

سَمِعْـتُ نَعيّهَـا صَمَّـا صَمّـامِ* وإنْ قَـــال العــواذِلُ لاَ هَمَـامِ**

---

[1] ينظر: توفيق ركان الصفدي: ابن الرومي الشاعر المجدد، ص:99.

[2] أبو العلاء المعري: سقط الزند، دار صادر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1376هـ/ 1957م، ص:39.

*صمام: من أسماء الدّاهية مبني على الكسر.** لا همام: لا هم. (ينظر: المصدر نفسه، ص:39).

وأمِـــتْنِي إلـــى الأجْـــداثِ أُمٌّ ... يَعِـزُّ عَليَّ أنْ سَـارَتْ أَمَـامِـــي

وأُكْبِـــرُ أنْ يُرَثّيهَـــا لِسَانِـــــي ... بلَفْـظٍ سَـالِكٍ طُـرُقَ الطّعـــامِ

ومنْ لِي أنْ أصُوغَ الشُّهْبَ شِعْرًا ... فَأُلْبِسُ قَبْرَهَـا سِمْطَـيْ نِظَـــامِ

مَضَتْ وقَدْ اكْتَهلتُ فخِلْـتُ أنِّي ... رَضيعٌ ما بَلَغْتُ مَـدَى الفِطَـــامِ

فَيَا ركْبَ المَنُونِ! أمَـا رسُـولٌ ... يُبَلِّـغُ رُوحَـــهَـا أرَجَ السَّـــلامِ

في حين نجد " **أبو العتاهية** "**(748م/828م)** يبكي الشّباب في قصيدة بعنوان " **ليّت الشباب يعودُ يومًـا** " وهي القصيدة التي يتحسر فيها ويتأسف على زوال الشباب وحلول الشّيب مكانهُ شأنهُ شأن الغصن الأخضر الذي عُري من الأوراق الخضراء، ثمّ يتمنى عودة الشّباب ليخبره ما فعله به المشيب فيقول في ثناياها[1] :

بكِيْتُ عَلَى الشّبابِ بِدَمْعِ عَيْنِي ... فَلَـمْ يُغْـنِ البُكَـاءُ ولاَ النّحِيـبُ

فيَا أسَفًـا أسِفْتُ علَـى شبـابٍ ... نَعَاهُ الشّيبُ والـرّأْسُ الخضِيـــبُ

عَرِيتُ من الشّبابِ وكَنْتُ غُصْنًا ... كمَا يَعرَى من الـورَقِ القضيـبُ

فيَا لَيّـتَ الشّباب يَعُـودُ يَوْمًا ... فـأخْبِـــرَهُ بِمَـا فَعلَ المشِـيبُ

ويعتبر الشاعر " **دعبل الخزاعي** " **(765م/ 835م)** من الشعراء الذين اشتهروا بالرثاء في العصر العباسي ولاسيما رثاء آل البيت عليهم السّلام حيث احتل رثاؤهُ مكانةً مهمة وكبيرة في العصر العباسي.

---

[1] أبو العتاهية: ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1406هـ/ 1986م، ص:46.

ومن رثاء " **دعبل** " قصيدة له يبكي فيها على الإمام الحسين " **عليه السلام** " مخاطبًا نفسه بأسيالٍ من الدموع مصحوبًا بالعبرات ذلك من شدة الحزن والأسى الذي يملأ قلبهُ على آل الرسول **صلى الله عليه وسلم** ثم يدعو نفسه بالبُكاء عليهم بعيون دامعةٍ، ويدعو بالسُّقيا لأحداث " **طفٌ بكربلاء** "، كما ويدعو بالصّلاة على روح الحسين وجسمه لدى النّهرين، ويدعو أيضا على قتلةِ الحسين بالعذاب والنّار واللّعنات يقول [1]:

أأسْبَلْتَ دَمْـعَ العَيْـنِ بالعَبـرَاتِ ... وبِتَ تُـقَـاسِي شِـدَةَ الـزّفـرَاتِ؟

وتَبْكِـي علَـى آثَـارِ آلِ مُحَمّـدٍ ... وَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ الصَّدْرُ بالحَسَرَاتِ

ألاَ فأْبكِهِـمْ حَقًّـا وأجْـرِ عَلَيهِـمُ ... عُيُونًـا لِرَيّبِ الـدَّهْرِ مُنْسَكِبَـاتِ

ولاَ تَنسَ في يومِ الطُّفُوفِ*مصابهُمْ ... بـداهِيـةٍ مِـنْ أعظـمِ النّكبـاتِ

سَقَى الله أجداثًاعلى طفِّ كربَـلاَ ... مَـرابِـعَ أَمْطَـارٍ مِـنْ المُـزْنَـاتِ**

وَصلّي على رُوحِ الحُسَينِ وجِسْمِهِ ... طرِيحًـا لَـدى النَّهْـرينِ بالفلـواتِ

فَقُلْ لابْنِ سَعْدٍ*أبْعَدَ الله سَعْـدَهُ ... سَتَلْقَـى عَـذابَ النّـارِ واللّـعنَـاتِ**

أمّا " **أبو فراس الحمداني** " **(932م/ 968م)** شاء القدر أن يوقِعَهُ في أسر الرومان فكتب أشعارًا شاع فيها ألم الأسر ومعاناة الفراق والحنين إلى الأحبة والوطن، وقد سمِعَ حمامة تَنُوحُ على شجرةٍ بالقرب من سجنِهِ فانْدمج معها يُنَاجيها هامسًا معزيًا

---

[1] دعبل الخزاعي: ديوانه، شر: حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م، ص:48.

*الطُّفوف: الأرض التي استشهد بها الامام الحسين سنة61هـ بكربلاء. **الأجداث: جمع الجدث وهو القبر.

***ابن السّعد: هو عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الحملة الغادرة. (ينظر: المصدر نفسه، ص:48).

مُواسيًا حائرًا من هذه الحياة التي تقومُ على المتناقِضات، فيبكي منها الطليق ويضحك المأسور[1]، فقال[2] :

أقُــولُ وقَــدْ نَــاحَــتْ بِقُربِي حَمَامَةٌ أيَا جَارَتًا هَلْ بَـات حَالُكَ حَـالِـي؟

معاذَ الْهَوَى*!ما ذُقْتِ طارِقَةَ النّوى ولاَ خَطَـرتْ مِنْكِ الهُمُـومُ بـبَـالِ!**

أتحْمِـلُ مَحْـزُونَ الْفُــؤادِ قَــوادِمٌ عَلَى غُصُنٍ نَائِي المَسَافَةِ عَــالِ؟

أيَا جَارتَا مَا أنْصَفَ الــدهرُ بَيْنَنَــا! تَعالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُــومَ تعالِــي!

تَعَالِيْ تــــريّ رُوحًـا لَـدَيَّ ضَعِيفَـةً تــرَدَّدُ فــي جِسْـمٍ يُعَـذَّبُ بَــالِي!

أيضحَكُ مَأْسُورٌ وتَبْكِــي طَلِيقَــةٌ ويَسْكُتُ مَحزُونٌ ويَنْــدُبُ سَــالِ؟

لَقَدْ كُنْتُ أولى مِنْكِ بالدّمْعِ مُقْلَــةً ولَكِنّ دَمْعِي فِــي الحــوَادِثِ غــالِ!

إنّ "**أبَا فراس**" في هذه الأبيات لا يُناجي الحمامة في حد ذاتها لأنّها مجرد كائن لا يعقِلُ بل هو يناجي من خلالها كائنات بشرية ؛ كسيف الدولة، وأمه، وأصدقائِهِ، وقد أثار نواحُ هذه الحمامة لديهِ مسمع الشُجُون في نفسه فهو يُعيذُها من فراقٍ ونوى كفراقِهِ، وغربة كغربتِهِ، وهمٍ كهمِهِ، ثم يتساءل هل إن كانت تحملُ قوادِمُ هذه الحمامة فؤادًا محزونًا كفؤاده؟

رغم أسرِ "**أبي فراس الحمداني**" وحزنِهِ الشّديد إلاّ أنّه يحفظُ فروسيته وحُبّهُ فهو الذي يستوحي شعره من تنوع معاناته وعذابهِ وعمقِ التجربة التي يمرُ بها ورهافةِ

---

[1] أحمد حسن الزّيات: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط8، 2004م، ص:223.

[2] أبي فراس الحمداني: ديوانه، شر: خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/ 1994م، ص:282.

*معاذ الهوى: أعصم الهوى منك، **النّوى: الفراق.(ينظر: المصدر نفسه، ص:282).

الإحساس والحزن والألم التي يتميّز بها عن غيره، فشعر الحمداني شعر خاص كونهُ مع الأسرى فرثى أمّه بقصيدة متميّزة في أدائِها مُتدفقة في مشاعرها، حيث قالها الشاعر وهو يُعاني جراحًا عديدة، جراحِ الفقد حيّث ماتت أمّه وهو بعيدٌ عنها بالإضافة إلى جرحٍ آخر وهو تباطؤ أميره وابن عمِّه سيف الدولة في دفع الفِديّة لتخليصه من الأسر فنجده يقول[1]:

أَيَا أُمَّ الأسِيرِ سَقَاكِ غيثٌ ... بكُـرهٍ مِنْكَ مَـا لَقِيَ الأسِـيرُ

أَيَا أُمَّ الأسِيرِ سَقَاكِ غيثٌ ... تـحيَّرَ لا يُقيـمُ ولا يَسِيــرُ

أَيَا أُمَّ الأسِيرِ سَقَاكِ غيثٌ ... إلى مَنْ بالفِدَا يأتِي البشِيرُ؟

إذا ابنكِ سَار في بِرٍ وبحْـرٍ ... فمنْ يدعُـو لهُ أو يسْتجِيـرُ

وقَـدْ ذُقْـتِ الرّزايا والمنـايـا ... ولاَ ولــدٌ لديّـكِ ولاَ عشِيــرُ

وغَابَ حَبِيبُ قَلْبكِ عَنْ مَكَانٍ ... مَلائِكةُ السّمـاءِ بهِ حُضُورُ

ليبْكِـكِ كُــلُّ يَومٍ صُمْـتِ فيهِ ... مُصَابِرةً وقَدْ حمِيَ الهجيـرُ

ليبْكـِكِ كُــلُّ ليــلٍ قمْتِ فيهِ ... إلى أنْ يبْتدِي الفجْرُ المُنِيـرُ

أيــا أُمـاهُ، كــــمْ هـمٌ طَوِيــلٍ ... مَضَى بِكِ لمْ يكُنْ منْهُ نصِيرُ!؟

أيــا أُماهُ، كَـمْ سِــرٌ مصُونٍ ... بقلبـِكِ، مَــاتَ ليْسَ لَهُ ظُهُورُ؟

إلى منْ أشْتكِي؟ ولمنْ أُناجِي ... إذَا ضَاقتْ بِمَا فيهَـا الصُـدُورُ؟

---

[1] أبو فراس الحمداني: ديوانه، ص:161.

لقد استهلّ " **أبو فراس** " قصيدتهُ بالدُعَاء لِأمِّهِ بالغيث الساقي لمّا تكرر ذلك في الأبيات الثلاثة في قوله:" **أَيَا أُمَّ الأسِيرِ سَقَاكِ غيثٌ** "، وهذا رُبّما يكون ذا مدلول نفسي بالدرجة الأولى؛ لأنّ الفراق بنوعية فراق الأسر وفراق الموت أصاب الشاعر بالحزن والأسى ولعلّ الشاعر كان يكرر هذا الدعاء؛ لأنّ أمه ماتت من شدة حسرتها عليه وبالتالي فأكثر شيء تحتاجه هذه الأم المُلْتاعة هو الماء لتُطفئ به هذا اللّهيب والحرّ الذي بداخلها.

رغم المعاناة التي تعرّض لها الشاعر " **أبو فراس الحمداني** " والضّغوطات التي عاش في ظلّها إلاّ أنّه يُحْسِنُ اختيار ما يتناسب مع ذوقهِ وموهبتهِ، فالألم هو المحرك الأساسي لهذه العاطفة، فالمعاني الإبداعية لديه تتجلّى في رثائهِ كأحلى ما تكون لدى أي مبدع حقيقي؛ لأنّ عاطفتهُ صادقة تُعبر عن حزنهِ الشديد.

هذا وقد كان للفلسفة التشاؤمية الحزينة " **للمتنبي** "**(915م/965م)** وقْعُهَا على شعره، فطالعنا شعره على روحهِ اليائسة الحزينة بعد أن عاش حياة مضطربة، فتتدفق عاطفة الشاعر في نفثاتٍ شديدة التعبير عن اليأس الإنساني اتجاه القضاء، يقول في رثاء " **أبا شجاع فاتك** " لمّا توفي بمصر سنة**(961هـ)** بعدَ خُرُوجِه منها [1] :

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ والتَجَمُلُ*يَرْدَعُ ... والدّمْعُ بَيْنَهُمَـا عَصِـيٌّ طَيّـعٌ

يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَينٍ مُسَهَّـدٍ ... هَذا يَجِـــيءُ بهَـا وهذا يَرْجِـعُ

أَلنّوْمُ بَعدَ أَبِي شُجَـاعٍ نَـافِرٌ ... واللّيْـل مُعْـيٍ والكَـواكِـبُ ظُـلَّعُ**

---

[1] أبو الطيب المتنبي: ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د، ط)،1403هـ/1983م، ص:491.
*التجمل: الصبر. **الظلع: التي تغمز في مشيها وهو شبيه بالعرج. (ينظر: المصدر نفسه، ص:491).

إنِّي لأَحْبُنُ عَــنْ فِراقِ أحِبْتِي وتُحِسُ نَفْسِي بالحِمامِ فأشْجُعُ

ويزيدُنِي غَضَبُ الأعَادِي قَسْوةً ويُلمُّ بِي عَتْبُ الصّدِيقِ فَأَجْزَعُ

يقول: الحزن يُقلِقُ صاحبهُ والتّصبر والتّجمل يردع عنه هذا الحزن والدّمع بين هاتين يعصِي صاحبه فيحتبِس ولا ينزل بينما يُطيع صاحبه عند الحزن والهم فينسكب وينهمر، أمّا القصيدة الثانية للمتنبي فهي قصيدته في رثاء جدتِهِ حيث وصل المتنبي كتابٌ من جدتِهِ لأمّه تشكو شوقها إليه وطول غيبتهِ عنها، فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالتِهِ تلك فانْحدر إلى بغداد، وكانت جدتهُ قد يئِسَتْ منه فكتب إليها كتابًا يسألها المسير إليه فقبلت كتابه ومن سرورها به غلب الفرح على قلبها فقتلها فقال يرثيها[1]:

ألاّ لاَ أُرِي الأحْدَاث مَدَحًا ولاذمًا فَمَا بطشُهَا جَهــلاً ولاَ كفُّها حِلْمَــا

لَكِ الله مِنْ مَفْجُـوعَــةٍ بِحَبِيبِـهَـا قَتِيلةِ شَوقٍ غيــرِ مُلْحِقِهـا وصْمَـا*

أحِنُّ إلى الكَأسِ التِي شرِبَتْ بِهَا وأهْوى لِمثْواهاالتُـرابَ ومَا ضَمّـا**

بَكيْتُ عَلَيْهَا خِيفَـةً في حياتهَـا وذَاقَ كِلانَــا ثُكْلَ صــاحِبِـهِ قِدْمَــا

مَنَافِعُهَا مَا ضَرّ في نَفْعِ غيرِها تغذّى وتَـرْوى أن تجــوعَ وأن تظمَـا

أتاهَا كِتابِي بَعَدَ يــأسٍ وترحَةٍ فمَـاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُ بِهَـا غَمَــا

حَرامٌ علَى قَلْبِي السُّرُور فَإننِّي أعُــدُّ الــذِي مَـاتَتْ بَعْدهَــا سُمَـا

---

[1] أبو الطيب المتنبي: ديوانه، ص:174،175.

*الوصم: العيب. **المثوى: المقام أراد به القبر. (ينظر: المصدر نفسه، ص: 174،175).

يصف الشاعر شدة شوقِهِ لجدته وشوقها له في بداية القصيدة ويشبه حالهما بالثكل لأنّ كليهما حُرِم من الآخر ويشْتاقُ للآخر وهذا الثكل والفراق في الحياة الدنيا فكيف سيكون بعد الممات؟ أمّا في بقية الأبيات نجده يصف اشتياقَهُ إليها وإلى كل ما يُذكِّرُهُ بها حتى إنّه يشتاقُ إلى الموتِ الذي أخذها مِنه ليلحق بها، فهو يحنُ للكأس التي شربت منها ويُحبُّ التراب الذي يضُمُها فيقول:(وأهوى لمثواها التراب)، ثم يُعدِد محاسنها، إلى أن يَحْظِر على قلبِهِ السُّرور بعدها لأنّه يُعِدُ نفسهُ ميتًا بدونها.

إنّ عاطفة "**المتنبي**" في هذه المرثية صادقة وواضحة الدلالة، فصدقهُ اتجاه جدتِهِ عبّرت عليه نفْسُهُ المتشوقة للقائها، ومما زاد هذه العاطفة هيجانًا عدم تمكنه من لقائِهِ بها، فشاءت الأقدار أن يكُون الموت أسبق إليها منهُ.

هذا فيما يخُصُ حزن العنصر الذُّكوري، أمّا إذا انتقلنا لحزن المرأة فنجد المرأة العباسية قدْ بكتْ أفراد أسرتها أيضًا، شأنُها شأن المرأة الجاهلية والإسلامية والأموية وبما أنّهُ ليس أغلى على قلب الأم من ولدها، فإذا تخطّفهُ الموت، التاع الفؤاد وبكتْ العيون بحرقةٍ وأسى على فقيدها، وحزن الأم يتجدد في كل آنٍ، فها هي " **زبيدة بنت جعفر الهاشمية** " أم الخليفة " **الأمين العباسي** "، حين قُتِل رثتهُ بأبياتٍ جياشة بالأحاسيس الإنسانية، قالت فيها [1]:

لمّا رأيْتُ المَنَايَا قَدْ قصَدْنَ لهُ ... أصَبْنَ مِنْهُ سَوادَ القَلْبِ والرّاسَا

فَبتُّ متِكئًــا أرْعَــى النُّجُوم لـهُ ... أخالُ سنتَهُ فِــي اللّيــلِ قِرْطَاسَـا

---

[1] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسن مرعي،ج3، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1425هـ/ 2005م، ص:414.

وترى الموت عَدُوًا تربص بابنها ولم يُفارِقْهُ حتى اختطفهُ في الوقت الذي صار تاج عزِها وفخرها [1] :

والمَوتُ دانٍ لَهُ والهَمُّ قَارنَهُ حتّى سقَاهُ التِي أودَى بِهَا الكَاسَا

رُزِئْتُهُ حِينَ بَاهَيْتُ الرِّجَالَ بِه وقَدْ بنيتُ بِهِ للدّهرِ أَسَاسَا

فليسَ منْ مَاتَ مردُدَا لنَا أبدًا حتى يُرد علينَا قبْلَهُ نَاسَا

ولا شكّ أنّ مكانة الزّوج عند المرأة لا تقل منزلةً عن الأخ لأنّه شريك الحياة الذي تحتمي به وتتقي نوائبُ الدهر به فإذا انتزعَهُ الموتُ منها خرّتْ آمالها وأحلامها ومن بين اللائي ألّمتْ بهن الأحزانُ على فراق أزواجهنّ " **لبانة بنتُ علي بن ريطة*** " إثر مقتل زوجها **الأمين** حيث تقول[2]:

أبْكِيكَ لاَ للنّعِيمِ والأنَسِ بَلْ لَلْمَعَالي والرُّمْحِ والتّرْسِ

يا فَارسًا بالعَراءِ مُطْرحًا خَانتْهُ قُوّادُهُ مَع الحُرّاسِ

فالشاعرة تبكي صفات زوجها الطيّبة، وتتألم للخيانة التي تعرّض لها، كما تتحسر على حالها إذا ترمّلت قبل أن يبنِي بها، فتقول[3] :

أبْكِي عَلَى سَيِّدٍ فُجِعْتُ بِهِ أرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ العُرْسِ

---

[1] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص:415.

***لبانة بنت علي بن ريطة:** امرأة جميلة في عصرها تُعرفُ بلبانة بنت علي المهدي، تزوجها الأمين لكنّه لم يبنِ بها إذ قُتلَ.(ينظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص:423).

[2] إميل ناصيف: أروع ما قيل في الموت، دار الجبل، بيروت، لبنان،(د، ط)،(د، ت)، ص:103.

[3] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص:423.

أمْ مَـنْ لِبِرّأَمِ مَنْ لِعَـائِـدَةِ أَمْ مَنْ لِذِكْـرِ الإلَهِ في الغلـسِ*

مَنْ للحُرُوبِ التي تكُونُ لهَا إنْ أُضْرِمَتْ نَـارُهَـا بلا قَبَـــسِ

ولعلّ أروع شعرٍ في الرثاء نقفُ عليه في بطون الكتب ما قالته " **ليلى بنت طريف*** " في رثاء أخيها الوليد الذي قُتِل في المعركة فبَكَتْهُ أُخْتُهُ أحرّ بكاءٍ وعددتْ نُعُوتَه الحميدة وصفاته من كرمٍ وإقدامٍ ونباهةٍ فهي تخاطب شجر الخابور وتعاتبهُ على عدم مشاركتها حزنها على أخيها[1] :

أيَا شَجرَ الخَابُورِ مَالكَ مُورِقًا! كأنّك لمْ تَحْزَنْ علَى ابنِ طريـفِ

فَتَى لاَ يلُومُ السّيفَ حِينَ يَهُـزُهُ إذَا مَا اخْتَلَى مِنْ عَاتِقٍ وصَلِيـفِ

فَتَى لاَ يُحِبُ الزّاد إلاّ مِنْ التُّقَى ولا المَـال إلاّ مِـنْ قنَـا وسُيُـوفِ

فَقَـدنَاهُ فُقْـدان الرّبِيـع وليّتنَـا فـديناهُ مِـنْ سَـاداتـنَـا بـألـوفِ

حَليفُ النّدى إنْ عاشَ يرْضَى بِه النّدى وإنْ مات لا يرضَى النّدى بِحَلِيـفِ

في الأخير وتظل الشاعرة تذكر أخاها رغم تيقنها باستحالة عودته، فتسلم بالأمر مكتفيةً بالتّحسر على فقده، إذ لا أحد يُعَوّضُ خسارته فلو عَلِمتْ السّيوف التي أصابته صنيعهُ لا تراجعت عن قتله هيبةً وإجلالاً، تقول[2]:

***ليلى بنت طريف:** شاعرة من الفوارس كانت تسلكُ في مراثيها سبيل الخنساء في رثائها لأخيها صخر.(ينظر: عبد الله بن محمد عبد الكافي، الزّوزني: حماسة الظّرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص:89).

[1] عبد البديع صقر: شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، (د، ب)، ط1، 1967م، ص:375،376.

****الخابور**: نهر في الجزيرة.(ينظر: عبد البديع صقر: شاعرات العرب، ص:375،376).

[2] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص:67.

ذكرتُ الوليدَا وأيّامهُ إذِ الأرضُ من شخْصِهِ بَلْقَعُ

فأقْبَلْتُ أطلُبُهُ فِي السّماءِ كمَا يَبْتَغِي أنْفَهُ الأجْدَعُ

أضَاعَكَ قومُكَ فيطلُبوا إفَادةً مِثْلِ الذِي ضِيّعُوا

لَو أنّ السُّيوفَ التِّي حَدُهَا أصَابَكَ تَعَلَمُ مَا تَصْنَعُ

نَبَتْ عنْكَ أوجَفَتْ هَيبَةً وخَوفًا لِصوْلِكَ لا تَقْطَعُ

والمرأة حين تفقدُ زوجها تستهدف صروف الدّهر فتقع فريسةً للخوف والإحساس بالضّعف، دلّ عليه قول " **زهراء الكلابية** "[1] :

تأوهتُ من ذكْرى ابن عمّي ودونهُ نقَا هائلٌ جعْدُ الثّرى وصفِيحُ

وكُنْتُ أنَامُ اللّيْلَ منْ ثِقتِي بِه وأعْلَمُ أنْ لا ضيْمَ وهُوَ صحيحُ

فأصْبَحْتُ سَالَمْتُ العَدُوَّ ولَمْ أجِدْ مِنَ السِّلْمِ بُدًّا والفُؤادُ جَرِيحُ

ويبدو أنّ الإحساس بالضيّاع لا نلمسه فقط في حزن الحرائر على أزواجهن وإنّما نلمسهُ في مراثي الجواري اللّواتي بكين مواليهنّ؛ لأنّ موتّهم يُفْقِدُهُن الحماية والاستقرار[2]، فَتضْمحِلُّ رغبتهُنّ في العيشِ، مثلما تُصرح به "**محبوبة***" لمّا قُتِل المتوكّل [3] :

---

[1] عبد البديع صقر: شاعرات العرب، ص:142.

[2] ينظر: عبد الفتاح عثمان: شعر المرأة في العصر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،(د، ط)،2004م، ص:164.

***محبوبة:** مولدة من البصرة شاعرة ظريفة مطبوعة ذات جمال وأدب.(ينظر: الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني، ج 22، ص:140).

[3] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص:44.

أيُّ عَيشٍ يَلَذُّ لِي لاَ أرَى فيهِ جَعْفَرَا

كُلُ من كَان فِي ضنِي وسِقَامِي قَدْ بَرَا

مَلِكًا قَدْ رأتهُ عَيْ نِي طَرِيحًا مُعَفّرَا

إنّ التناحر السياسي والانتماءات المذهبية التي سادت في العصر العباسي صنعت رُموزًا تدافعُ عن مبادئها ودفعت هذه الرّموز حياتها ثمنًا لهذه المبادئ، فكثر رثاء الرجال الذين مثلُوا الاتجاهات السّياسية والدينية، فكانت عاطفة الرّاثي تتراوح بين الفجيعة الشّخصية في حال فقد أحد الأقارب وبين الحسرة لفقدان رمز سياسي، إلاّ أنّه ما يمكن استنتاجُه من خلال هذه الجولة الاستطلاعية والبحثية أنّ العنصر الذُكوري على العموم عُنِي برثاء الأقارب في حين عُني العنصر النّسوي برثاء الرّموز السياسية نظرًا لما كان يسُودُ هذا العصر من تناحر سياسي ومذهبي، فنظمُوا أشعارًا صدرت من قلوب عامرة بالحب والوفاء وعن نُفوس امتلأت بالحزن والتفجع والبكاء.

مما تمّ ذكره في دراستنا السّابقة، يمكن أن نستخلص أن الحزن في العصر الجاهلي تميّز بتفخيم هول الفاجعة، فنجد الحزين منهم يلجأ إلى اللّطم والبكاء والتأبين والنّدب وتحريض العينين على البكاء وذرف الدموع، بالإضافة إلى ذكر محاسن المحزون عليه، وخير ما دلّ على ذلك الشاعرة " الخنساء "، أمّا بالنسبة للعصر الإسلامي فنجد هول هذه الظّاهرة قد تهذّب بعض الشيء نتيجة مراعاة مبادئ الدين الإسلامي الحنيف التي هذبت النّفوس وأخضعتها لمقاييس جديدة، فتحدثُوا بسيرةٍ فيها والتقوى والإيمان وفيها أيضًا الرّحمة والهداية، وهذه المآثر الكريمة والمناقب الأصيلة، في حين أنّ الحزن في العصر الأموي جاء في مجمله يصُبُ في رثاء الشّهداء الأبرار وهذا مردُهُ للنّزاعات السّياسة والفتن التي تميّز بها هذا العصر فكان أغلب الشعراء يرثُون الشهداء والسّادة والأمراء والحكام وشهداء المعارك، وذلك لما تميّزت به المرحلة

الأموية بحروب سياسية دامية، والعصر العباسي على غرار العصر الأموي تميز برثاء العظماء من الرّموز السياسية وحتى الأقارب كالجدة، والزّوجة، والابن.

الفـــصـــل الـثـــانـــي

الفصل الثاني

تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ

1. الحـــــــــب
2. الظـــلـــــــم
3. الغـــــــربـــة
4. الحـنـــــــين
5. الـــــــزلازل
6. رثـاء الأموات
7. الشّـكـــوى
8. الشّيخوخـة
9. الـــزهـــد

تمهيد:

إنّ الحزن حدثٌ أليمٌ بقدر ما هو حدثٌ طارئٌ لا موعد لوقوعهِ ولا مرد لحدوثهِ، فهو الذي يطرقُ قلب كل إنسانٍ دون تمييز فكُل من يأتي لهذا الوجود لا يسلم من هذا الكابوس المرعب، وإذا تكلّمنا عن حزن الشعراء فسيطُول حديثنا لذلك خصصنا هذا الفصل وأفردناه لشاعرٍ عاش وتكبد الحزن بكل معانيه وتفاصيله الأليمة ألا وهو الشاعر البطل الفارس " **أسـامـة بن مـنقـذ** ".

كان الشاعر " **أسامة بن منقذ** "**(1095م/1188م)** سعيدًا في حياته أيّام صباه، فنشأ نشأةً طيبةً تنعّم فيها بحنان الوالدين، لكن سرعان ما تحوّل هذا الحب والحنان والسّلمِ والوِئام إلى خوفٍ ورعبٍ جعل منه يقرر الرّحيل عن موطنه تاركًا وراءهُ الوطن الأم **شيزر** وأهله وعشيرته بناءً على طلب عمّهِ "**أبو العساكر سلطان بن علي**" الذي قلب له ظهْر المَجِنّ وأبداه العداوة والإحن فعاش أسامة حياته متنقلاً بين أمصار الموصل والشام ومصر، كما كان للزلزال الذي ضرب **شيزر** سنة **(552هـ)** وقعًا كبيرًا على نفسية الشاعر، فراح أسامة يكفكف دموعه السّوافح دون انقطاعٍ على أهلهِ وجيرانه دون أن ننسى الحروب الواقعة بين شيزر والإفرنج، موت ابنة الأخ، موت الابن، موت الأخ.

إن هذه الأحداث الموجعة والأقدار الدامية من شأنها أن تؤثر سلبًا في نفسية وشخصية الشاعر ومسيرةِ حياته بل وتصنع منهُ شاعرًا حسّاسًا رهيف المشاعر ربما ذلك أكبر ما تجلّى في قصائده الشّجية، ولمّا كان للأحزان حظًا وافرًا في تاريخ حياة الشاعر " **أسامة بن منقذ** " حريٌ بنا أن نتساءل عن ما يلي:

- كيف تجلّى الحزن في قصائد الشاعر أسامة بن منقذ؟

1- الــحُــب:

الحُب وسيلة الحياة والخيطُ الرّابط بين الإنسانِ وعلاقتِهِ بمجتمعِهِ ولعلّ الشاعر وما يملِكهُ من رهافةِ الحِسِّ وحساسة الشُعُور والنظرة الثاقبة التي تغُوصُ في أعماق هذا الوجود وحدهُ يعرف كيف يُعبر عن هذه العاطفة [1]، والحبّ عند الشعراء والأدباء والبُلغاء أشبه بقوةٍ سماوية تعمل عملها لتُبدع إلى الإنسانية شعرًا أسمى من حقائِقها كما كانت الإنسانية نفسها قُوةً عملت أعمالها لتُبدع من حقائق الطبيعة أخيلةً أجمل من مادتِها[2]، حتى إنّ عاطفة الحُبِ لتفتحُ أمام الشاعر سبُل الحياة والشعور بلذةِ الجمال والإحساس بسعادةِ العمر وتفجّر في مشاعِرِهِ طاقات هائلة من الفرحِ والنّشوةِ [3]، فالحُبُ بالنسبة للشاعر ما هو إلا جرعة تخدير للذّاتِ [4].

إنّ تجربة أسامة في الشعر عامةً والغزل خاصةً هي تجربة فريدة فما أقلّ الأمراء الشُعراء والشعراء الأمراء في تاريخ الأدب العربي إنّهُ أمير مُقاتلٌ شهمٌ شُجاعٌ غيُّورٌ على وطنهِ وأهلهِ، وقبل كل شيء هو إنسان خجولٌ وكتُومٌ ذو طِباعٍ وديعة وطيبة لذلك لا بُدّ أن يكُون لهُ دستُورهُ الخاص في الحب والغزل.

يبدو أنّ تجربة الحبّ كانت قوية تركت ظلالها وخيالها في حياة الشاعر أسامة فالمرأة أو الصبية التي أحبّها الشاعر في شرخِ شبابِهِ لم يكن بينهما وصالٌ حقيقي فصار يُعزِي نفسه آملاً أن ينساها مع مرور الزمن أو حين يكبر في السن ويصير

---

[1] السّعيد لراوي: ظاهرة الحزن عند السيّاب، ص:178.

[2] عبد الحميد خطّاب: إشكالية الحُب في الحياة الفكرية والرّوحية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،2004م، ص:25.

[3] ينظر: السّعيد لراوي: ظاهرة الحزن عند السيّاب، ص:178.

[4] عزّ الدّين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر(قضاياهُ وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1979م، ص:370.

عجوزًا أبيض الشعر لكنّه لم يُفلح في ذلك وزاد حبهُ وجنونه لها فصار لا يبرح يذكُرها من وقتٍ لآخر، يقول [1]:

أحْبَبْتُهَـا فِي عُنْفُـوانِ الصِّبَا وقُـلْتُ إنّ الشيّـبَ يُسـلِينِـي

فَـزَادَنِي شيْبِي جُنُـونًـا بِهَـا حتَّى كَـأنَّ الشّـيْبَ يُغْـرِينِـي

وكَالشّبَـابِ الشّيبُ لاَ مِيّـزةَ بيّنهُـمَـا عِـنْـدَ المجَـانِيّـنِ

ويقول[2]:

بِنفْسِي قَريبُ الدّار والهَجْر دُونهُ وبُعْدُ التّقالِـي* غير بَعْد السّباسبِ**

أراهُ مَكَانَ الشّمْسِ بُعْـدًا وبيّنَنـا كَمَا بيّن عَيّنٍ فِي التّدانِي وحَاجِبِ

وهَل نَافِعِي قُربٌ ومِنْ دُونِ قلْبِـهِ نَوًى قُذُفٌ أعْيَتْ ظُهُـورَ الـرّكَـائِبِ

كانت حبيبة الشاعر قريبةً منهُ فهي على الأغلب جارتُهُ على نحوٍ ما، غير أنّ أسامة كان دائم التذمر والوحشة فلماذا كل هذا التأوه والاكتئاب؟

إنّ سبب حزن الشاعر في هذه الثلاثية من الأبيات تعود إلى أنّ حبيبة الشاعر كانت بعيدة رغم قُربها كقُربِ الحاجبِ من العينِ إلاّ أنّها كانت بعيدة جدًا كبُعدِ الشّمسِ عن الأرضِ، فما فائدة قرب الديّار إن كانت قلوب أهلها بعيدة ؟ نفهم من هذا أن حب الشاعر كان حُبًا من طرفٍ واحدٍ فهو لا يقصد بالبعد البعد المادي – بعد المنزل–

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:100.

[2] المصدر نفسه، ص:51.

* التّقالي: البغضاء. ** السّباسب جمع سبسب وهو المفازة.(ينظر: المصدر نفسه، ص:51).

بقدر ما يقصد به البعد المعنوي أي بعد القلب وعدم الاهتمام به وبحبه البريء إن صح التعبير.

ويستمرُ " **أسامة بن منقذ** " في حُبهِ ووصاله ووفائه لمن يُحب، حتى أنّهُ ليُفْدي محبُوبتهُ بنفسه والتي أسماها " **شمْسِ الضُّحى** " رغم ما تُبْديهِ اتجاههُ من صدٍ وهجرٍ ولا مبالاةٍ إلاّ أنّهُ لا يُفرطُ فيها، فهي الشّمْسُ المنيرة في نهارهِ والقمر المُضيء في ظلامهِ، وعنها يقول[1]:

أنَا أُفْدِي مُغرَى بِصَدِي وهَجْرِي وهُو شَمْسِي ضُحًى وفِي اللّيلِ بَدْرِي

وهي دائمة القطيعة والعتاب حتى صار عتابها بالنسبة له مرارةً يتجرعها بين الحين والآخر لذلك يصفها بقوله[2]:

قَـمَـــرٌ إذا عــاتَــبْتُــهُ كَــانَـتْ قَطِيـعتُـــهُ جَــوابِـي

مُـتَجرِمٌ أبَـــدًا يُـــجَـــــ رِّعُـنِـــي مَـــرَارَتِ الــعِتَـــابِ

حظُ الشاعر" **أسامة بن منقذ** " سيءٌ في الحب، فحبيبته اجتمعت فيها كل الصفات السيئة فهي عنيدة، غير مهتمة، حقودة، أنانية، سريعة الغضب، فها هي تبادر بالإساءة إليه فيغضبُ منها ويدعو عليها فتمتعض، وحين يقَابلها بالعتاب والسؤال لِما الغضب إنّ كانت هي من بادر بالظُلم والهجر فتجيبه بأنّها تخاف من دُعائه عليها، فخوفها من دعوته هو اعترافٌ له بظلمها، لكنّ أسامة إنسانٌ متسامحٌ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:71.

[2] المصدر نفسه، ص:53.

كريمٌ يعفو عنها ككل مرة بل يخاف أن تُستجاب دعوته فيها؛ لأنّ دعوة المظلوم صعبة وسريعة التحقق، يقول[1]:

أدْعُو عَلَى ظَالِمِي فيغْضبُ منْ دُعَاي قُلْ لِي عَلامَ ذَا الغضَبُ

هَجْرُك لِي ظَالِمًا وخوفُكَ مِنْ دُعَاي يَا ظَالِمِي هُو العَجَبُ

يدْعُو لِسَانِي والقلْبُ منْ وجلٍ عَليّك أنْ يُسْتجَابَ لِي يجِبُ

يتوجّهُ الشاعر أسامة بعتابٍ مرير وشاكٍ حزينٍ نتيجة تعرُضِه للجُور والهجر من طرف الإنسانة التي أحبها ووهبها قلبهُ، هذا الحب الذي قُوبِل بِالصّدِ والهجر يقول[2]:

يَا جَائِرًا وهَواي يَعْذُرَهُ مِنْكَ الذُّنُوبُ ومِنِّي العُذْرُ

لا تحْسِبَنِّي عنْ ملالِك لِي غِرًّا ولكِنّ الهَوى غَرُّ

وأرَى سبِيلَ الهجْرِ واضِحةً مسْلُوكةً لَو كَانَ لِي صَبْرُ

وبما أنّ أسامة كان دائم الترحال والتنقل من بلد لآخر تفاجأ بترك حبيبته للوطن رغم أنّها وعدتهُ بانتظارهِ لكنّها أخلفت وعدها ورسمت في قلبه البعد بُعدين بُعْدُ الجسد وبُعْدُ الرّوح، فيقول عنها[3]:

يَا ملُولاً قلَمّا يرْ عَى لِمنْ يَهْواهُ عَهْدَا

يَا ظَلُومًا كُلمّا استعْطَفْتُهُ تَاهَ وصَدَا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:59.

[2] المصدر نفسه، ص:56،57.

[3] المصدر نفسه، ص:64.

لِمَ جَـعَلْـتَ الهَجـر يَا مَـو لاَي قَبْـلَ البُـعْـدِ بُعْـــدَا

إنّ تجربة الخيانة واللامبالاة والضّربات الموجعة التي تلقاها الشاعر من حبيبته شلتْ إحساسه وجمدت عاطفته فصار الآمر النّاهي في موضوع الخيانة، وها هو يُقدم النصح لغيره ممن تعرّض لنفس الموقف يُوصِيه بأن لا يحزن على من خانهُ إن ابتعد عنه ذات يوم بل ينصحه بهجرهِ وتركِهِ وفي حالة ما سُئل لِماذا تركه يُجيبُ بكلِ بساطةٍ تمّتْ صلاحيتهُ وانتهى عهده، هكذا يقول أسامة [1]:

إنْ خَانَ عهدُكَ منْ تودُهُ ونَـأَى فَـــلاَ يُحْـزِنُـكَ فقْدُهُ

واهْجُرهُ هَجْـركَ مَنْ تُحِب إذا قَضَـــى وحَـواهُ لحْــدُهُ

وإذَا سُئِلتُ عَلاَم تهْجُـرهُ فقُـــــلْ صَـحّ عَـهْـــدُهُ

ونجد أسامة في موضعٍ آخر يتذلّل ويستعطف حبيبته كي ترفق بقلبِهِ الذي كلّما دنَا وتودد منها زادتهُ هجرًا وجفاءً، فيقول لها[2]:

أيَا هَاجِرًا كُلّما زِدْتُ فِي خُضُـوعِـــي لَهُ زادَ هِجْـرانُـهُ

ترّفقْ بِقلْبٍ إذا ما ذُكِرتَ بَـــدا لِلْمُحْـدِثِ كِتْمَـــانُـــهُ

إن سبب الهجران الذي تعرّض إليه الشاعر من حبيبته يعُودُ لكونها سمعت ما قالهُ الوشاة الذين يُضمِرون العداوة والشحناء له ويسعون لتخريب ما بناهُ وأسسهُ معها

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:63.

[2] المصدر نفسه، ص:99.

ونكرت كلّ جميله وخيره وحبه لها؛ فذلك حظُّهُ من الأحباب من يُحسِن إليه يُقابله بالجفاء والسُوء، يقول[1]:

أطَاعَ مَا قَالَهُ الواشِـي ومَـا هَـرفَـا فعَـادَ يُنْكِـرُ مِنَّا كُـلَّ مَـا عَـرفَـا

لِي مِنْهُ ما سَاءَنِي: منْ هجـرُهُ ولَـهُ مِنِّي الرّضَا بقضَايَـاهُ وإنْ جنفَـا*

كَذاكَ حَظِّي مِنَ الأحْبَابِ: مَنْ سَكنَتْ نفْسِي إليّهِ حَبَانِي الهجرَ والشّنفَا**

نشأ الشاعر "**أسامة بن منقذ**" في أسرة بسيطة، طيبة، متدينة، وبما أنّ الوازع الأخلاقي هو صُنُو الوازع الديني برز ذلك بوضوح في غزليات أسامة، فكانت نظرتُهُ للمرأة غير نظرة أصحاب المال والجاه وأبناء الأمراء، بل ظلّت المرأة في نظره تلك الأنثى الجميلة التي تُحِبُ وتُحَبُ وتُحترمُ شأنها شأن أي إنسان، إلاّ أنّه ما ميّز غزلُ الشاعر أسامة بن منقذ عن غيرهِ طغيان الحس المأساوي، فغزله شاكٍ حزين متشائم لا نلمس فيه طعم التفاؤل ولا السُّرور.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:77.

*الجنف: الميل والجور في الحكم. ** الشّنف: البغض. (ينظر: المصدر نفسه، ص:77).

2- الـظُّـلـــم:

تمـهيـد:

إنّ من أشدّ الأمُور حرمةً وأسرعها عقُوبة وأعجلها مقتًا عند الله تعالى وعند المؤمنين ومن أشد ما يؤثرُ في النّفس ويُذهبُ إنسانيتها ويُحول قلب صاحبها إلى قلب قاسي كالحجارة أو أشد قسوةً، فهو ذلك الدّاءُ الخطيرُ والشّر المستطيرُ الذي انتشر انتِشارًا يُنذِرُ بالخطرِ وبانتقام الجبار جلّ جلاله ألا وهو الظلم، فالظلمُ منبع الرّذائل ومصدرُ الشُّرور فقد حرّمهُ الله عزّ وجل على نفسِهِ وعلى عِباده وتوّعد سبحانه وتعالى الظّالمين بعذابٍ أليمٍ في الدّارين، **في قوله تعالى:**﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١ ﴾[1]، وقد يُحرم الظالم من هداية الله مصداقًا **لقوله تعالى :** ﴿ ۝٥١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ ﴾[2].

فالظّلمُ يتسبَبُ في مصائبٍ كثيرةٍ وهُمُومٍ متعددة وأحزان ذلك بالضّبطِ ما حصل للشاعر " **أسامة بن منقذ** " حينّما جاهرهُ عمّهُ بالعداءِ ونفاهُ من شيزر، وللحديث عن ذلك نأتي أولاً إلى توضيحِ أسبابِ نفي عمِّهِ سلطان أبو العساكر بن علي له.

لقد كان " **الحسن علي بن منقذ بن نصر بن منقذ الكناني** " الملقب بسديد الملك صاحب قلعة شيزر، هو أوّل من ملك قلعة شيزر من بني منقذ؛ لأنّه كان نازلاً

---

[1] سورة الأنعام ، الآية: 20،21.

[2] سورة المائدة ، الآية: 50،51.

مجاورًا للقلعة بقرب الجسر المعروف اليوم بجسر" **بني منقذ** "، وكانت القلعة في يدِ الرّوم فحدثتهُ نفسه بأخذه فنازلها وتسلّمها بالأمانِ في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة[1]، وانتهى الأمر إلى الأمير أبي المرهف نصر بن علي بن المقلد فبقي به مدة طويلة إلى أنّ مات **بشيزر** سنة إحدى وتسعين وأربع مئة، ولمّا حضرته المنية استخلف أخاهُ الأمير أبو سلامة مرشد بن علي والد أسامة، فقال: " **والله لا وليّتُها ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها** "[2]، وكان عالمًا بالقرآن والأدب كثير الصلاح فولاّها أخاهُ الأصغر أبو العساكر سلطان بن علي وكان أصغر منه، فاصطحبا أجمل صحبة مدة من الزّمن فرُزِق أبو سلامة مرشد عدّة ذكورٍ فكبروا وسادوا منهم عز الدولة أبُو الحسن علي، مؤيد الدولة أسامة بن مرشد، وغيرهما، ولم يُرزق أخوه سلطان بولدٍ ذكرٍ إلى أن كبر فجاءهُ أولاد فحسد أخاه على ذلك وخاف منهم على أولاده وسعى المفسدون بينهما فغيروا كلاً منهما على أخيه[3]، فكتب الأمير إلى أخيهِ شعرًا يُعاتِبُهُ على أشياء بلغتهُ عنهُ فأجابهُ بأبياتٍ جيدةٍ في معناها وكلُهم كان أديبًا شاعِرًا فمنها قولهُ[4]:

ظَلُومٌ أبِتَ في الظُلْـمِ إلاّ تمَاديَـا وفِي الصّدِ والهجّـرانِ إلاّ تناهيَـــا

شكَتْ هجرنَا والذّنبُ في ذاك ذنْبُهـا فيَا عجَبًا من ظالِمٍ جـاء شَـاكيَـا

---

[1] ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ج3، ص: 483.

[2] ينظر: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1 ص:353. و**ينظر**: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص:413.

[3] أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص:18،19. و**ينظر**: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدّقاق، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 1424هـ/ 2003م، ص:413،414، و**ينظر**: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان،ج3، 1989م، ص:394.

[4] أبو شامة: الرّوضتين في أخبار الدّولتين النُورية والصّلاحية، ج 1، ص: 353،354.

وطَاوعتَ الوّاشِيـــن فِيّ وطَـالمّـــا عصيّتُ عَذُولاً في هَواهَـا وواشِيَـا

وقُلتُ أخِي يَـــرْعى بنِيّ وأُســرتِي ويحْفـَظُ عَـهْـدِي فيهِـم وذمـامِيـَا

ويجْزِيهـمْ ما لمْ أُكـلِـفْهُ فِعْلـــهُ لِنَفْسِـــي فقدْ أعْـدَدتُـهُ مِنْ تُراثِيَـا

فمالكَ لمّا أنّ حَنَى الدّهْرُ صَعْدتِي وثلَمَ منِّي صَـارِمًـا كَـانَ مَـاضِيَـــا

تنكّرتَ حتّى صَـــار بِرُّكَ قسّـوةً وقُـربُـكَ مِـنِّي جَـفْـوةً وتـنَـائـيَـــــا

وكان الأمر في حياة الأمير مرشد بعض الستر فلّما مات سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، قلب أخُوهُ لأولادهِ ظهر المجنِّ وبَادأهُم بِما يسُوءُ وتمادتْ الأيّام بيّنهم إلى أن قوي عليهم فأخرجهُم من شيزر[1]، وكان من أعظمِ الأسبابِ في إخراجهم إقدامُ أسامة وشجاعته وجرأته على ركبِ الصّعابِ والمخاطر وأيضًا إخوتُهُ كانُوا لا يهابُون الصّعاب، لذلك أمر عمّهُ بإخراجهم هكذا **يقول أسامة:** " فلّما كان الغدُ أمر عمِّي بإخراجنا من عندهُ وألّزمنا به إلّزامًا لا مُهْلةً فيه فتفرقنا في البلادِ "[2].

وجدت الأحداث الكبرى التي مرّتْ بأُسامة بن منقذ صداها في شعرهِ، فصوّر آثارها في نفسه تصويرًا قوِيًا، ولعلّ أكثر هذه الآثار عُمقًا في نفْسِهِ اضطِرارُهُ إلى مفارقة وطنهُ الأوّل شيزر الذي شهِد مدارج طُفُولتِهِ وملاعب صِباه وملاهي شبيبتِهِ[3]، فوجد أسامة البقاء في هذا الوطن شقاء لا يُطِيقُهُ بعد أن جفاهُ عمُّهُ وقلّب

---

[1] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص:293. **وينظر:** عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج3، ص:394.

[2] عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج3، ص:394. **وينظر:** أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص:355. **وينظر:** ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج9، ص:414.

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:17.

لهُ ظهْر العداء، فكتب إلى أبيهِ قصيدةً يُحدِثُهُ فيها عمّا علِق في صدرِهِ من همٍّ ويشكُو إليهِ ما كدّر صفاء عيشِهِ وما نالهُ من غدرٍ[1]، يقول لـهُ[2]:

أشْكُو إلى علياك همًّا ضَاقَ عَنْ كِتمانِهِ صَدْرِي ومَـا هُـو ضيّــقُ

وطَوارِقًا للهمِّ أُقَرِيـهَـا الكَـرَى وتلـظّ بِـي صُبْـحًا فَمَـا نتـفَـرقُ

ويُخبِرهُ بأسلُوبٍ شاكٍ أنّه صمّم على فِراقِ دار الأهل، مادام الحقدُ قد تسللّ إلى قُلُوبِ أقارِبِهِ تغْلِي عليه من شدةِ الغيظ والكره، فقابلوا الخير بالشّر ونسوا صلة القرابة ورابطة الدمّ بل بادرُوا بالإساءةِ والجفاءِ بدل العطفِ والحنانِ[3]:

دَعّنِي وقِطعُ الأرضِ دُونَ معَـاشِــر كــلُّ عــلـيِّ لغيرِ جُـــرمٍ مُحنّــقُ**

تَغْلي عَليّ صُـدُورُهُمْ من غيظِهِـمْ فَتكَــادُ مِن غيّــظٍ علــيّ تُحْــرقُ

أعيّــا عليَّ رِضاهُمْ فيئِستُ مِـنْ إدرَاكــهُ مَــا النّجْـمُ شــيءٌ يُلّــحــقُ

قَدْ أفْسَدُوا عيّشِي عَليّ وعيّشُهُـمْ فَــإذَا جَفَـونِـــي فَــالأبَـاعِـدُ أرفَـقُ

---

(1) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص: 17.

(2) المصدر نفسه، ص:177.

(3) المصدر نفسه، ص:178.

*المحنق: الحنق هو الكُرهُ والبُغضُ. (ينظر: المصدر نفسه، ص:178).

وألّقى أُسامة بِنفْسهِ في المعارك تحت لِواءِ **عماد الدين زنكي*** ولم يُنغِص عليه مقامهُ يومئذٍ سوى وشاةٍ أو غرُوا صدرَ أبيهِ عليهِ، فاضّطرّ أسامة إلى أن يُرسِل إلى أبيهِ استِعطافًا يُزِيلُ بِهِ عن نفسهُ أثرّ هذه الوقيعة[1]، فكتب أسامة إليهِ[2]:

يَا ويّـحَ قلْبِي من شَـوق يُقْلِقُـهُ إلى لِقـائِـكَ مَـاذا مِـنْ نَـواكِ لَقَى

وناظِرٌ قرّحـتْ أجفَـانَـــهُ أسـفًـا عَليّكَ في لُجّـةٍ منْ دمْعِــهِ غَـــرقِ

وبعدَ مَا بِي فَإشْفاقِي يُهــدِّدُنِــي بِشوبِ رأيّــكِ بالتّكْـدِيــرِ والـرّنـــقِ

وأنّ قلبك قد رانتْ عليّهِ من الـ واشِيـن بِي جفْـوةٌ يهمَـاء*** كَـالغسـقِ**

أمَا كفاهُمْ نوى داري وبُعْدُك عنْ عيّنِي وفُـرقَـــةَ إخـوانِ الصِّبا الصُّـدُقِ

أغشى الوغى مفردًا من أُسرتي وهُم هُمُ إذا الخيــلُ فــاضتْ لُـجةً العلــقِ

وموضِعِي مِنك لا تسمُو الوشاةُ لهُ ولا يُــغيّــرهُ كــيْسِــي ولا حُــمْـقِــي

ولمّا تعرّض أسامة لويلاتِ الغدرِ وخُدش ببطشِ الأقارب صار يُخاطبُ قلبهُ ويذكره بما تعرّض له من إساءةٍ وظُلمٍ، فجُورُهم لا يُكفِّرهُ البينُ ولا مُبــادرتُهْم بالإحســانِ

***عماد الدين زنكي بن آق سنفر**: الحاجب بن عبد الله أبو المظفر الأتابك قائد عسكري وحاكم مسلم، حكم أجزاء من بلاد الشام وحارب الصليبيين. (**ينظر**: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص: 129).

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:17.

[2] المصدر نفسه، ص:179.

****ران**: غلب. *****اليهماء**: الفُلاة التي لا يُهتدى فيها. (ينظر: المصدر نفسه، ص:179).

لأنّهُ ظلمٌ أدمــى القلــوب وتــرك فيهــا جــراحًــا عميقة يصعــبُ التئَامُها يقول[1]:

يَا قَلْبُ دعْهُم فقدْ جربتَ غَدرهُمْ وفِي التَّجارُبِ بَعدَ الغيِّ مَا يَزَعُ

أكَفَر البُعدُ عنهُمْ مَا جَنوهُ أمْ الـ أيَامُ أنستكَ بَعدَ البيّنِ مَا صَنعُوا

وهبهُمْ أحسنُوا هَل يُرجعنّهُـــمْ إليّك وجـدُك أو يُـدْنِيهمُ الهَـلَـعُ

ألستَ بالأمْسِ فَارقْتَ الشّبابَ ولا أعـزّ مِـنْـهُ فَـلـمْ لاَ ردهُ الـجَــزعُ

رغم ما أصاب أسامة من نوائِبِ الدّهر إلا أنّهُ ظل قويًا شُجاعًا لم يضعف ولم يستسلمُ أبدا، بل كانت همتهُ معقُودة بالنّجمِ كما يقول لا تحُطُها الحوادث والمصاعب التي واجهتهُ، على العكس كل ما عاشه من إحباطات كانت تزيد من قوته وعزيمته فهو كالنّار إن انطفأ فيها قبَسٌ لا تخمد بل يبقى نُورها يُضِيئُ بقية الأرجاء، هكذا يقول[2]:

إنْ سَـرَّ أعْـدائِي أنْ عضّنِي دَهْـرِي بِمَـا أذْهَـبَ مِنْ مَالِـــي

فَهِمتِـــي بالنّجّمِ معْــقُـودةٌ مَـا حَطّهَـا مَـا حَالَ مِنْ حَالــِي

كَالنّارِ إنْ نكّسَهَا قَــابِسٌ لـمْ يَـتنكّــسْ نـُورُهَــا العَـالِـي

إن من أشدِ أنواع الظُلم والكُره سعادة الإنسان بما يُصيبُ غيره من سُوء وشرٍ والشماتةِ فيهِ ذلك بالضّبط ما تعرّض لهُ أسامة حينما عضّهُ الدهر بحوادِثِهِ المتتالية

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص: 132.

[2] المصدر نفسه، ص :292.

حينها فقط أدرك أسامة بن منقذ ما كان يُخفيهِ بعضُ الأعداء له من كُرهٍ وحقدٍ في الصّدور، ففي الشدة يتضح العدو من الصديق، يقول[1]:

مَا أئِنْ غَضّ دهرٌ من جِماحِي أو ثَنَى عِنانِي أو زلّتُ بِأخْمَصِي النّعْـــلُ

تظَــاهَــرَ قومٌ بِالشّمــاتِ جَـهالَــةً وكمْ إحنةٍ* في الصّدرِ أبرزها الجهلُ

ويصِفُ أسامة لحظة وداعِهِ لأهلِه حين قرّر الرحيل من شيزر والدُّموع تنهمِرُ وملامح الحزن والبُؤس قد خيّمتْ على وجههِ، لكن في المقابل هناك من هو سعيد ووجهُهُ ضَاحِكٌ طرُوبٌ بهذه اللّحظة الموجعة، يقول[2]:

ولمّـا وقَـفْنَـا للـودَاعِ عشِيـةٌ وطَـرَفِـي وقَلْبِـي أدْمُـعٌ وخُفُـوقُ

بكيّتُ فأضْحكْتُ الوشَاةَ شماتةً كَـأنِّـي سحـابٌ والوُشـاةُ بُرُوقُ

ولا يشكو " **أسامة بن منقذ** " من تلون أهلِهِ ونفاقهم ومجاهرتهم بالعداوة؛ لأنّ الشكوى منهم لا تنفعُ ولا تضُر فقط أصابهُ الملل واليأس من عتابهم الذي لا يُجدي نفعًا، فالشّاعر من كثرة طيبةِ قلبهِ لا يُبالي بإساءتِهِمْ ولا يُضْمرُ لهم الغدر ولا العداء كما قد أظهروهُ له بل يترك ذلك ليوم الحساب عند الله تعالى ذلك اليوم الذي تصفى فيه الأفعال عند مليكٍ مقتدرٍ لا تخفاه خافية وهو بكل شيء عليم، يقول[3]:

ومَـا أشكُـو تلَـون أهْلِ وُدِي ولَو أجــدَتْ شكيتُهُــمْ شكَـوتُ

ملِلْتُ عِتابَهمْ ويئِستُ مِنْهُمْ فـمَـا أرجـوهُــمْ فيمَــنْ رجَـوتُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:291.

*إحنةٍ: مفرد إحن معناها الحقد والكره. (ينظر: المصدر نفسه، ص:291).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:140.

[3] المصدر نفسه، ص: 165.

إذا أدْمَتْ قَوارِضُهُم فُؤادِي كظَمْتُ علَى أذاهُمْ انْطويْتُ

ولاَ واللهِ مَا أضمرتُ غَدرًا كمَا قَدْ أظهرُوهُ ولا نَويْتُ

ويوم الحشرِ موعِدُنا وتَبدُو صَحِيفةُ مَا جنوهُ ومَا جنيْتُ

ويرفعُ أسامة شكواه للملك الصالح الفاطمي وزير مصر لِمَا أصابهُ من جُورِ الزّمان عليه وتواليه بالمصائبِ والنّكبات التي أوهنت عظمهُ ولحّتْ عُودهُ وأنفذتْ موجودهُ وشتتَ شملهُ الذي كان مجتمِعًا، فهو يرجو مساعدتهُ خاصةً أنّه ذا جاهٍ ومالٍ وفي يديهِ العدلُ والخلفُ[1]:

أشكُو زمانًا قضى بالجُورِ فيَّ ولمْ يَزَلْ يجُورُ عَلَى مِثْلِي ويعْتسِفُ

لحّتْ نوائِبُهُ عُودِي وأنْفذَ مَوْ جُودِي وشَتَتَ شمْلِي وهُو مُؤتلِفُ

وقَدْ دعَوتُكَ مظلُومًا ومُرتَجِيًا وفِي يَديْكَ الغِنَى والعَدلُ والخلْفُ

ومن سُوءِ حظِّ الشاعر أنّ كل شيءٍ ضدّهُ فحتى الصديق الذي هو بمثابة الأخ الثاني جفَاهُ وصدّ عنهُ في وقتِ الضّيق لكن أسامة المتسامح لم يتخذ موقِفًا سلبيًا منهُ ذلك أنّه يتذكر ما رآهُ منهُ من جميل الصّنائعِ وطِيبِ الخِصالِ[2]:

صَدِيقٌ لِي تنكّرَ بَعْدَ وُدٍّ وأُمُّ الغَدْرِ فِي الدُّنيَا ولُودُ

وذمَّ اليّوم مَا حمِدْتُهُ مِنِّي تَجارُبُهُ وأمْسِ بِهِ شَهِيدُ

ولَسْتُ أُلُومُهُ فِيمَا أتَاهُ أسَاءَ فَرابَهُ الفِعْلُ الحَمِيدُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:230.

[2] المصدر نفسه، ص:298.

رغمّ ما تعرّض لهُ أسامة من شرٍ وكيدٍ ومكرٍ وتدبيرٍ من كُلِ الجهات إلاّ أنّ قلبهُ المتسامح والوديع الصّافي فرض عليه أنْ يترُك الحقد والضّغينة خلفهُ، والسّعي دومًا لربط أواصرِ المحبة والألفةِ والمودةِ ودحضِّ الفرقة والتّشتُتِ والكره والحقد وترك الخلقِ للخالق، فهذا ما تغذّتْ به روحهُ النبيلة منذ الصغر واستقاهُ من عائلتِهِ الطيبةِ الأعراقِ.

3- الغـربــة:

تمهـيـد:

أنّعم الله تعالى على عباده بنعمٍ عديدةٍ وفضائل جزيلةٍ من مودةٍ وتواصلٍ ومحبةٍ وجعل من عناصرِ الإنسانية العاطفة والإحساس اللّذينِ يُولِدانِ الرّحمة، وقد تتجلّى الرحمة في مسحِ دمعة يتيم أو إطعام فقير أو زيارة مريض، أو إسعاد قلوب نخرها الحزن، هذه الرحمة التي انبثق منها حبُ الإنسان للإنسان وحُبُهُ لوطنِهِ وبلدهِ الذي ترعرع فيه وصار شجنةً منه لا يستطيع الابتعاد عنه ولا التفريط فيه.

طالما كان الحديث عن الغربة والحنين من نصيب الشُّعراء؛ لأنّهم كانُوا إذا تغربوا عن أوطانهم حزنُوا وتألمُوا وبالتالي وجدوا في الشعر الملاذ والمتنفس لصدى أحزانهم وأوجاعهم على أوطانهم، والشاعر " **أسامة بن منقذ** " من الشعراء الذين قُدِر لهم أن يُنفوا ويقضوا حياتهم متغربين عن الوطن الحبيب، فعاش شِقًا كبيرًا من حياتِه خارج وطنِهِ الأول والأخير " **شيزر**" مُتنقلاً بين حواضِر الموصل والشام ومصر وهذا ما أرّقه وجعله يعيش الغربة غربتان الغربة **المادية** والغربة **النفسية**، وذاك ما أجَجَ الحزن بداخلهِ وساعده على كتابة قصائد يملؤها الحس الشاكي الأليم، هذه الظّاهرة لكثرة شيوعها في ديوانه حتمت علينا تسليط الضوء عليها باعتبارها دافعًا من العوامل المساهمة في ظاهرة الحزنِ في شعره.

3-1 مفهوم الغـربــة في اللغة والاصطلاح:

3-1-1 الغربــة لغــة:

استخدمت المعاجم العربية القديمة ألفاظًا كثيرة ذات دلالات متقاربة لتحديد مفهوم الغربة فقد جاء في " **لسان العرب** " في مادة **(غ ر ب)** " الغربةُ والغربُ: الذهاب

والتّنحي عن الناس، والتغريب: النّفي عن البلد، وغرَب: بَعُدَ، والتغرّب: البعد والغُربة: النزُوحُ عن الأوطانِ والاغترابِ..."[1]، كما ذكر " **الزبيدي** " **(1732م/1790م)** في "**تاج العروس**": " التغرُبُ: الذّهابُ والنّوى والبُعد والغُرْبَة: النّزوح عن الوطن، والتغريب: النّفي عن البلد " [2].

وفي جاء في " **مقاييس اللغة** ": الغين والرّاء والباء أصلٌ صحيح، والغُربةُ: هي البُعدُ عن الوطنِ و يُقالُ غَرَبَت الدّارُ: بعُدتْ [3].

إذا اتفقت المعاجم اللّغوية على أنّ الغربة هي النّزوح عن الوطن الأم والبُعدُ عن الديار والأهل والأحبة.

3-1-2 الغربة اصطلاحًا:

أمّا في الاصطلاح فالغربة في المراجع التراثية والحديثة لا تختلف عن المعنى المعجمي، **فأبو الفرج الأصفهاني ت(967 م)** في كتابه " **أدب الغرباء** " يقول: "الغريب من نزحتْ به الدار عن إخوانِهِ وأترابه" [4]، يقول " **التوحيدي** " في كتابه

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص:23.

[2] الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، ج3، مطبعة حكومة الكويت، الكويت،(د، ط)، 1393ه/1973م، ص:477،478.

[3] ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة،ج4، ص:420،421.

[4] أبي الفرج الأصفهاني: أدب الغرباء، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1972م، ص:21.

(**الإشارات**): " بأنّ الغربة نأيٌّ وطن بل الغريبُ من هو في غربتِهِ غريبٌ " [1]، ويقول أيضًا: " فَقْدُ الأحبة في الأوطان غربة فكيف إذا اجْتمعت الغربة وفقْدُ الأحبة "[2].

ويعرّفها الدكتور " **ماهر فهمي** " في كتابه "**الحنين والغربة في الشعر العربي**" بقوله: " الغربة هي النُزوح عن الوطن والابتعاد عن الأهل والديار" [3].

إذًا فالمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي للغربة الغربة والاغتراب والغريب كلّها تصُبُ في معنى واحد هو البعدُ والنُزُوحُ عن الأهل والأحبة، وقد تنوّعت مفاهيم الغربة إلاّ أن معظم الدراسات التي دارت حول مفهوم الاغتراب تُشيرُ إلى أنه حالة من القلق والتذمر والعزلة والإحباط والأرق والاكتئاب والقلق والشعور بالوحدة والضّياع.

3-2 الغـــربـــة في شعـــر أســـامـــة بن منقذ:

أسامة بن منقذ ممن امتُحِنُوا بالنّفي من أوطانهم وأُبعِدوا عن أهلهم، وقُدِرت له حياة الغربة والترحال فعاش متنقلا بين حواضر الشام، مصر، العراق ولم يستطع أن يتخلص من وطأةِ الغربة وظل شبحُها يطاردهُ دائما، هذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث الذي خُصص لتجليات الغربة في شعر **أسامة بن منقذ** باعتبارها سببًا أساسيًا فِي حـزنِـهِ.

قضى الشاعر " **أسامة بن منقذ** " فترة الصبا والشباب في شيزر، وكان موضع اهتمام عمه "**أبو العساكر سلطان بن علي**" محفُوفًا برعايتِهِ الخاصة؛ وكان أسامة في

---

[1] أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، تح: عبد الرحمن البدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د، ط)،1973م، ص:113،114.

[2] المصدر نفسه، ص:32.

[3] ماهر حسين فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، مطبعة الجبلاوي، مصر،1970م، ص:36.

نظر عمه هو أمل "**شيزر**" من بعدهِ ولم يكن قد رُزِق بالولد، ولمّا رُزِقَ من يخلفه على إمارة **شيزر** تحوّل عن ابن أخيه أسامة وصار يخشى على ولدهِ منه ويحسدهُ على ما أوتِي من قوة تثير خوفهُ وتذكي هواجسه وشعر" **أسامة بن منقذ** " بما كان يُعْتملُ في صدر عمّه من همٍ وغمٍ[1].

وعلى ما يبدو أنّ الحسَّاد قد نجحُوا في صدعِ علاقة أسامة بعمِّهِ وعملوا على قطع حبال الودّ التي تربط بينهما كما عملوا على تأكيد هواجس عمّه ومخاوفهِ منه وهذا واضح في قوله مخاطبا عمّه وهو **بشيزر**[2]:

أطاع ما قالهُ الواشي وما هَرَفَا فَعَاد يُنْكِرُ مِنّا كُلّ مَا عَرَفَا

وصدّ حتى استمرَّ الهَجْرُ منهُ فلو ألمّ بي منْه طيفٌ في الكرى صَدَفَا

يَجنِي وعِنْدي له العُتْبَى*فَوا عجَبًا من مُعْتِبٍ ما جَنَى جُرْمَا ولا اقْتَرَفَا

ويقول[3]:

أتَتْهُ عنِّي أحاديثٌ مُزَخرفةٌ مَا إنْ بها عنه وهو الألمعيّ خَفَا

لكنّهَا وافقتْ من قلبهِ مَلَلاً لَمْ يَسْتَبِنْ صحّةَ الدّعوى ولا كشفَا

---

[1] ينظر: محمد عدنان قيطاز: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، ص15. **ينظر**: ياقوت الحموي: بغية الطلب في تاريخ حلب، ص:1953، **ينظر**: عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي،ج3 ص:394.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:77.

*المعتب: طالب العتبى وهي الرّضا. (ينظر: المصدر نفسه، ص:77).

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:175.

ويحاولُ أسامة عبثاً أنْ يُصْلِح ما بينهُ وبين عمّه وأن يذكِرهُ بمحبتِه لهُ وعطفهُ عليه، وذلك في قوله[1]:

وبعدَ مَا نَالَنِي إن جُدتَ لي برضًا فَقَدْ غفرتُ لِدهري كُلَ ما سَلفَا

وذاكَ ظنِّي فإنّ يَصْدُقَ فأنْتَ لِما رَجَوتُ أهلٌ وإنْ يُخْفِق فو أسفَا

وجُنَتِي مِنْ زَمَانِي حُسْنُ رأيكَ بِي أكرِمْ بها جُنّةً لا البيضَ والزّغَفَا

أَلِفْتُ مِنْكَ حُنوًّا منذ كُنْتُ وَقَـــدْ فَقَـدْتُـهُ وشـديدٌ فقدُمـا أُلْفَـا

وغير مُسْتنْكِرٌ مِنْك الحنُّو علَـى مِثْلي ولو زاغ يومًا ضِلُهُ وهفَـا

فَعُدْ لِأَحسَنِ ما عوّدتَ مِنْ حُسْنٍ يا مَنْ إذا جـاد وفّى أو أذمّ وَفَى

وحين يئِسَ أسامة من عودة علاقتهِ كالسّابق مع عمّهِ، طلب من والدهِ أن يأذن له بالخروج من **شيزر** وبلادُ الله واسعة وفيها منتجعٌ للكريم[2]، يقول أسامة مخاطبًا أباه[3]:

لاَ تُلْـزِمَنِّـــي بالهَـوانِ وحَمْلِـــهِ إنّ احْتِمـالَ الهَـوانِ ثَقْـلٌ مُـرهِـقُ

دَعْنِي وقَطعَ الأرضِ دُونَ مَعَاشِرٍ كُـلٌ عَـلـيّ لِغيــرِ جُـــرَمٍ مُحَنّـــقُ

تَغْلي عليّ صُدُورُهُمْ من غيظِهِمْ فتـكَـادُ مـنْ غيـظٍ علَـيّ تُحَـــرَقُ

أعيَا على رِضاهُمْ فيئِستُ مِـنْ إدْراكِـهِ مَـا النّجْـمُ شـــيءٌ يُلْـحَقُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:176.

[2] ينظر: محمد عدنان قيطاز: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره (بمناسبة مرور تسعمائة سنة على ولادتهِ)، ص:15.

[3] المرجع نفسه، ص:178.

إنْ أغْشَهُمْ قالوا: خَلُـوبٌ ماذِقٌ أو أجْفُهُـمْ قـالُـوا عـــدوٌّ أزْرَقُ

قدْ أفْسَدُوا عيّشِي عليّ وعيْشهُمْ فـأنَـا الشّـقيُّ بهِمْ وبي أيضًا شقُـوا

فَاْسْمَحْ بِبُعْدِي عَنْهُمُ برضاكَ لي إنّ الـذِي تَرضَـــى عليـه مُوَفّـقُ

فَضْلُ الأقَـارِبِ بِرُّهُـم وحُنُّوهُـمْ فَـإذا جَفـوَني فـالأبـاعِـدُ أرفَـقُ

فكان إبعاده عن " **شيزر**" ونفيهُ منها غربةً مريرة، ومعاناة قاسية عاشها إثر ذلك إذْ نَزَلَتْ على رأسهِ كالصّاعقة، فقلبت كيانهُ النفسي الاجتماعي، حيث وجد نفسه وحيدًا في مكابدة الظروف الجديدة، بعيدًا رغمًا عنه عن الأهل والأحباب والوطن.

ونتيجة للظروف النفسية والاجتماعية التي عاناها أسامة بن منقذ فقد كثرتْ شكواه المريرة من أهله وأقرب الناس إليه، فراح يصور الواقع المأساوي الذي احتواه.

وما من شك أن الغربة القاسية قد أثرت في حياة أسامة وشعره إذْ انعكستْ آثارها فيه، ولذا فقد بدا لنا متبرّما شاكيًا من الغربة عن الوطن والأهل وعن كثرة التنقلُ والرّحيل يقول[1]:

إلـى مَتَـى أُمْسِـــي وأضْـ حِـــي بـالنّـوى *مـــروعَـــا

مُرْتَحِـلاً كُـرهَـا عَـن الـ أحْبَـــاب أو مُـــودّعَـــا

تُـــرى اللّيـالِـــي نَـــذَرتْ أَلاَّ نُـــرى يـــومًـــا مَعَـــا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:132.

*النّوى: البعد.(ينظر: المصدر نفسه، ص:132).

الشاعر " **أسامة بن منقذ** " منذ تغرب عن وطنه " **شيزر**" وفارق أهله وأحبابه لم يذقْ طعم الهُدوء والاستقرار حيث يقول[1]:

أهَكَذَا أنَا بَاقِي العُمر مُغْتَرِبٌ ... ناءٍ عنْ الأهلِ والأوطانِ والسّكنِ

لا تَسْتَقِرُ جيادي في مُعَرّسِهَا ... حتّى أُرَوِّعُهَا بِالشّدِّ والظّعَـــنِ*

تعددت المعاني التي عبّر من خلالها عن تجربة الغربة، من ذلك حديثهُ عن روعاتِ النّوى التي سلبتهُ الإحساس بجمال الحياة ونزعت من قلبِهِ السعادة والسُرور فعاش إنسانًا مسكُونًا بِهَمِ الغربة مشحونًا بانفعالاتِ الحزن والأسى[2] :

أينَ السُّرُورُ من المُرَوَّعِ بالنّوى ... أبـــدًا فَـــلاَ وطَـــنٌ ولا خُـلاّنُ

عِيدُ البَريـــّةِ موسِـــمٌ لِعويلِـــهِ ... وسُـــرورهُمْ فيـــهِ لَـــهُ أحْـــزانُ

وإذا رأَى الشّمْلَ الجميعَ تزاحمتْ ... في قـلْبِهِ الأمْـــواهُ والنِّيـــرانُ

وكان لكثرةِ الترحال أثرِهِ في شعر أسامة فكثيرًا ما شكا الفرقة والاغتراب وكثرة جوبِهِ البلاد وألم الشوق ونزوح الوطن والأهل الغائبين، وقد صور ذلك في قوله[3]:

أينَ السُّرُورُ من المُرَوَّعِ بالنّـوى ... أبَـــدًا فَـــلاَ وطَـــنٌ ولاَ خُـــلاّنُ

عِـيدُ البَريّةِ مَوسِـــمٌ لِعـــويلِـــهِ ... وسُـــرورُهم فِيـــهِ لَـــهُ أقْـــرَانُ

وإذا رَأَى الشّمْلَ الجَمِيعَ تزاحَمَتْ ... فِـي قَلْبِـــهِ الأمْـــواهُ والنِيّـــرانُ

---

(1) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:154.

*الظّعن: السّير والارتحال. (ينظر: المصدر نفسه، ص:154).

(2) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:154.

(3) المصدر نفسه، ص:154.

كان الرّحيلُ الدّائم مصدر ألم الشاعر وشقائه، فأرّقُ حياته وكدّر عيشه وكثر حديثهِ عن الوداع والفراق، وعادةً ما يُهيِّجُ أشّجان الغريبِ نوحُ الحمام فيذكرهُ بغربتهِ فيحِنُ إلى أهله ووطنهِ، يقول[1]:

تَبْكِـي لأنّتِكَ الحَمَـــامُ وطَـــالمَا هَاجَ الجَوى لأخِي الهَوى تَغريـدُهُ

يَا راقِدَ الأجْفَانِ عَنْ قَلَقِ الحَشَا ولْهَانَ أقْـذى*طرفَـــهُ تَسْهـيـــدُهُ

مَــاذا عَلَيْكَ إذَا بَكَــى أحْبَابَــهُ ذُو غُرْبَةٍ نَـائِــي المَحَــلِّ بعِيــدُهُ

ويرى أسامة أنّ البُعد عن الأحبة غربة والغربة موتُ في حدِ ذاتها فغربةُ الموت أشَدُ ما يُعانيه المرء ويقاسيهِ، فَرُبّ حيٍّ ميتٍ باغترابه عن وطنهِ وأهله، يقول[2]:

أَحْبَابَنَـا مَنْ غَـابَ عــمَّـنْ يـوَدُّهُ فَسيّـــان عِنْـدِي بُعْـدُهُ واقْتِرابُـهُ

إذا الميتُ وارى شخصَهُ عَفَرُالثّرى فَهَــلْ يُدْنِيَنْــهُ أنْ يَقِـلّ تُـرابُـــهُ**

وَكُلُّ غريــبِ الـدّارِ فالأرضُ دُونَــهُ وإنْ كَـانَ حَيًــا فالحِمَامُ اغترابُهُ

لو كانت مصر جنّاتُ الخُلدِ وفيها كلُ ما تشّتهي النّفس البشرية ممّا لذّ وطاب ما فائدتهـا إن كان حبيب النفس فيها مفقود؟ فالبعيد عن أحبائه بعيد عن روحه، ذلك حال

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:113.

*أقذى: أقذت العين: أخرجت القذى؛ أي ما تفرزُهُ من رمصٍ وعمشٍ. .(ينظر: المصدر نفسه، ص:113).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:104.

**عفر الثّرى: التراب. .(ينظر: المصدر نفسه، ص:104).

الشاعر فهو يعتبر نفسهُ معدودٌ مع الأحياء لـكنّ قلبه ليس في جسده بل مع من يحب، يقول[1]:

هَبْ أنّ مِصرَ جِنانُ الخُلدِ ما اشتهتِ النـ ـفُوسِ فِيهَا من اللّـذاتِ مَوجُـودُ

مَـاذا انْتِفـاعِـي إذا كَـانت زخـارفُـهَـا مَوْجُودةً وحَبِيّبُ النّفْسِ مَفْقُـودُ

وَمَـا الحَيـاةُ لمَـنْ بـَاتَـتْ أحِـبتـهُ رِضًا ولاَ هُو فِي الأحْيَـاءِ مَعْـدُودُ

يحاول الشاعر التكيف مع الوسط الذي انتقل إليه لكن دون جدوى؛ لأنّ الأيام برعت في تعذيبه، والغربة أدخلتْ عليه الهمّ من كل باب فصار منعزلاً تمامًا عن البشر رغم كثرتهم حوله لدرجة أنّ من يراهُ يحسبهُ أتى من قوم عاد " **عليه السلام** "، ذلك ما جاء في قوله[2]:

أنَـا فِـي أهْـل دِمشّـقْ وهُـمُ عَـدَدُ الـرّمْـلِ وحِيـدٌ ذو انْفِـرادِ

لَيّسَ لِـي مِنهُـمْ أليفٌ وشَّجَـتْ بيّنَنَـا الأُلْـفَـةِ أسبَـابَ الـوِدادِ

يحْسِبُـونـي إذْ رَأَونِـي وافِـدًا قَـدْ أتَـاهُـمْ مِنْ بَقَايـا قَـومِ عَـادِ

يتألم أسامة حينّما يتذكر أنّ أحِبتهُ ليسُوا معهُ أو من حولِهِ ويتأججُ الحزن بداخلِهِ لهذه الفرقة التي جاءت بعد ألّفة طالما اعتاد عليها، يقول[3]:

إذَا مرّ ذِكْراكُمْ بقَلْبِي تَضَايَقَتْ ضُلُوعِـي عَمَّا تَحْتَهُنّ مِن الوجْـدِ

وأعجَبُ مِنْ تشّتِيتِنَا بَعْدَ أُلْفَةٍ ومِنْ نَقْلِنَـا بَعْدَ الدُّنُـوِ إلَى البُعْـدِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:115.

[2] العماد الأصفهاني، خريد القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشام)، ج1، ص:546،547.

[3] المصدر نفسه، ص:114.

حين تتعالى أحاسيسُ الوحدةِ في نفسِية أسامة تزداد وحشتهُ وتفكيره في الموت، فيتمنى أن يقِرّ الله عينيه برؤيتهم قبل أنّ تأخذه المنية وهو مشتاقٌ لهم، يقول[1]:

لَـمْ يَبْـقَ مِنْ لِدَتِي وأتــر ... ابِ الصِّبَـــا خِـــلٌّ نصُـــوحُ

أنَا بَعْـدَهُـمْ مَيْـــتٌ ولِـــي ... مِـنْ جِسْمِيَ البَـالِـي ضَرِيـحُ

أفَـلا لِقَـــاءٌ يُـذهِـبُ الــ ... حَسِـراتِ أو مَـوتٌ مُـــرِيـــحُ

ولأنّ الأيّام أخذت منه أهله وفرقتهُ عنهم يُشبهُ الشاعر نفسه بالثّكلى التي أوجعتها الجنائز، يقول[2]:

تَخرّمَتِالأيّـــامُ أهْلَ مَـودّتِي ... فَنَفْسِي عَنْ أُنْسِ المسرّاتِ ناشِـزُ*****

وأُفْرِدْتُ مِنهُمْ فَارْتِيّاعِي لِفَقْـدِهِمْ ... كَـروعَةِ ثَكْلَى أوجَعتهَـا الجَـنـائِــزُ

يتأمل الشاعر " **أسامة بن منقذ** " مسيرة حياته فيجد أن الدهر استفحل في اختطافِ أحبته وذويه وفرّقه عمن يحب، فعاش وحيدًا يقهره الحزن حتى أنّه يرى الحياة بدون أحبة لا تختلف عن القبر، يقول[3]:

مَضَتْ لِداتي وإخْـوانِي وأفْردنِـي ... دَهْرِي فَعِشْتُ وحيـدًا ميتًـا كمَـدَا

والقَبْرُ أرْفَقُ مسـكُـونٍ ونَكْرَهُـــهُ ... إذا كَانَ يسْكُنُـهُ الإنسـانُ مُنْفَرِدَا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:109.

[2] المصدر نفسه، ص:350.

**تخرّمت: أخذتهم واسْتأصلتهم. ***ناشز: جفاها. .(ينظر: المصدر نفسه، ص:350).

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:299.

ولمّا كان أسامة في مدينة " **حلب** "وصَل إليه بعض أصحابه وأخبروه أنّ من كان له بمصر من الأهل والأولاد قد وصَلوا إلى دمشق، والمركب الذي كان يحملهم انكسر بهم في ساحل " **عكّا** "، فنهب الإفرنج كلّ ما فيه ولم يصلوا إلى دمشق إلاّ بأنفسهم وأنّ ملك الإفرنج أعطاهم خمسمائة دينَار توصلوا بها إلى دمشق، فأخذ أسامة يشكو إلى الله ما فعله به شوق اللّقاء بأغلى الناس هذا اللّقاء الذي باء بالفشل مرةً أخرى فشكا وبكى في هذه الأبيات حزنهُ المرير بقوله[1]:

إلى اللهِ أشكُــو فُـرْقَــةً دَمِيَتْ لهَــا جُفُوني وأذكَتْ بالهُمُـومِ ضَـمِيـرِ

تَمَادَتْ إلَى أنْ لاَذتِ النّفْسُ بالمُنَى وَطَـارتْ بِهَا الأشْواقُ كُـلَّ مَطِيـرِ

فلمَّــا قَضَى اللهُ اللّقَــاءَ تَعَرَّضَــتْ مَسَاءَةُ دَهْري فِي طَرِيقِ سُرورِي

حزن أسامة لا يختلف عن حزن " **الخنساء** " أو ربما أشد منها، فدمُوعه إذْ ما قارنّاها بالمطر تزيدُ عنهُ هكذا يقول[2]:

وَجَدَّدَ وَجْدي بعدما كان قَدْ عَفَا ورَاجَعَنِـي حُلْمِـي ووازَرَنِي صَبْـــرِي

هَتُوفُ الضُّحى مَفْجُوعةٌ بأليفِهَا تَهيِّـجُ أشْـجَـانَ الفُـؤَادِ ومَــا تَـــدْرِي

ولو أنّهَا إذْ أعَولتْ فَاضَ دَمْعُهَا لقُلتُ: هي الخَنْسَاءُ تبْكِي على صَخْرِ

ولكِنّها لمْ تَذْرِ دمْعًــا وأدْمُعِــي إذَا قُرِنَتْ بالقَطْــرِ* زادتْ علَــى القَطْــرِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:126.

[2] المصدر نفسه، ص:126.

*القطر: المطر. (ينظر: المصدر نفسه، ص:126).

زادت مشاعر الإحساس بالوحدة والفقد في نفس أسامة خاصة أنّ إخوتهُ الذين طُرِدُوا معه من **شيزر** لم يكونُوا قريبينَ مِنه ليُخَفِفُوا عنه، فمنهم من اغترب بالموتِ ومنهم من اغترب سعيًا وراء كسبِ لُقمةِ العيشِ وبذلك أصبحت غربته غربتان فاتجه يخاطب أحد أشقائه يشكو له مرارة فراقه لذلك يقول له[1]:

أشكُـو فِـــراقَـــكَ فـــهُـــو أو ... جَعُ مَا لقِيـتُ مِن الحَوادِثْ

شَكْـــوَى مَشُـــوقٍ يَسْتَرِيـــــ ... حُ إليكَ والمَصْـدُورُ نَـافِـــثْ*

وأَلُـــــومُ دَهْـــرًا جـــــدّ فِـــي ... تَشْتِيّتِ شَمْلِي وهُـو عَـابِثْ

وما هيّج مواجع الشاعر" **أسامة بن منقذ** " اشّتياقه لابنه " **أبا بكر**" الذي عجز كل العجز عن الصبر عليه مع أنّهُ يجد في قصة سيدنا يعقوب ويوسف عليهما السلام إسوةً حسنة، ولكن ما نفعُ الأُسى إن كان القلبُ قد تملّكهُ الأسى [2]:

مُواصَلَتِي كُتُبِـــي إليّـكَ تزِيّـدُنِـــي ... إليّك اشّتِياقًا بَلْ عليّـكَ تأسُـفًـا

ولِي أسوةٌ في الناسِ لو نَفَعَ الأُسَى ... فَمِنْ قَبْلِنَا يَعْقوبُ فَـارقَ يُوسُفَا

ولَكِنَّ نَفْسِي قَـدْ تَمَلَّكَهَـا الأَسَـى ... وقَلْبِي إذا سَكّنْتُـهُ بالأُسَـى هَفَـا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:167.

*نافث: كالمه وشوش في أذنيه. (ينظر: المصدر نفسه، ص:167)

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:174،175.

لقد تفرّد أسامة بحوادثِهِ وهمومِهِ فليس له أنيسٌ ولا طارقٌ يُساندهُ ويحكي له همّهُ فكأنّهُ خُلقَ من غير أهل فليّس له وطنٌ يؤوي إليه، فهو يَجُولُ كما جالت كتلة الوسخ الأبيضِ الجامد في مجرى الدّمع من العين[1]:

وقَدْ أفْرَدتْنِي الحادثاتُ فليّس لِي أنِيسٌ ولاَ فِي طَارقِ الخُطبِ أعْــوانُ

كَأنّي منْ غيرِ التّرابِ نبتْ بِي الـ بِلادُ فمَا لِي فِي البَسِيطَــةِ أوطَــانُ

أجُولُ كَمَا جَــالتْ قَذَاةٌ بمُقْلَــــةٍ وأَسْرِي وسَارِي النّجْمِ فِي الأفْقِ حَيّرانُ

مرة ثانية يُراسل الشاعر " **أسامة بن منقذ** " شقيقه يصفُ له شدة الشوقِ إليه ويَسردُ له الحالة التي أصبح عليها، فقد أضناه البعد وأبرحه الاغتراب رغم كثرة الخلان حوله؛ إلاّ أنّ حنينه كل يومٍ في ازدياد هذا الشّوق الذي أفصحتْ عنه دُموعه ولياليه الطويلة الشّديدة الأرق ورسائله الحزينة الكليمة، يقول له[2]:

يَــا مَــنْ هَــواهُ عَلَى التّنَــا ئِـــــي والتّــــدانِـــي فِـي ازْديــادِ

أصْبَحْــــتُ مُغْتــرِبًــا لِبُعْــ دِك بيْـن أهْــلِـــي فِـــي بِــلادِي

مُسْـتَــــوحِشًـا مع كثْـرةِ الــ خُـــــلانِ وحْــشَــةَ ذي انْــفِـــرادِ

شَـوقٌ إليّــكَ أبَـــاحَ فِيــ ضَ مَــدَامِـعِــي وحُمّـى رُقَــادِي

جسّد أسامة كل مشاعره في مقطوعاته الشعرية الصادحة، فتجلى شعورهُ بالغربة عن وطنِهِ الشّام في كل صور الفراق، فراق الوطن بمعاهدهِ ورُبُوعهِ وفراق الأيّام

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:155.

[2] المصدر نفسه، ص:167.

الجميلة بما تحمله من ذكريات لا تتكرر، وفراق العهد الجميل الذي قضاهُ بين إخوانِ الصّفا وفراقِ الحبيبة التي تتهالك نفسه شوقًا إليها، فطبع شعرهُ بمسحةِ الحزنِ والأسَى هذا الأسى الذي فسره وجلهُ من الفراق وتضعضُعِ قِواه النّفسية فهيّمنت مشاعر الكآبة والأرق والتوتر على شعره وأضّفت عليه الحسّ المأساوي والحزن المرير.

4- الحنيـــن:

تمـهـيـد:

الحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية، فالوطن هو تلك الروح الهائمة البعيدة التي تسكُنُنَا في كل المنافي، تعانقُنا في كل الدروب، وأرض الوطن مهما كانت بعيدة إلاّ أنّها تبقى مسكن الروح والجسد وموطن الحب والعاشقين، فإذا كان الشّقاء والضيّاع والألم من مفردات الغربـة فإن الحنين بكل طاقاتِهِ يعني حياة السُرور والبهجة والفرح التي تحلُ بالشاعر في لحظةٍ ما، وقبل الخوض في ذيُوعِ الحنين في شعر " **أسامة بن منقذ** " لابدّ من الوقوف على المعنى **اللغوي والاصطلاحي** لكلمة الحنين.

4-1 الحنين في اللغة والاصطلاح:

4-1-1 الحنيـن لغـــة:

جاء في لسان العرب **لابن منظور**: أنّ جذر كلمة " **الحنين** "، هو الفعل الثلاثي الصحيح " **حَ نَ نَ** " الذي طرأ عليه التّضعيف لغير زيادة فصار حنّ، حَنَنَ: الحَنّانُ: من أسماء الله عزّ وجلّ، ويقالُ حنّتِ الإبلُ تعني نَزَعَتْ إلى أوطانها [1]، ويعرفه "**الزّمخشري**" **ت (1144م) بقوله:** " الحنين للناقة والأنين للشاة، يُقَال ما له حانّة ولا آنّة " [2].

وقال " **الجوهري** ": **ت(1002م)** " ما أدري ما الحنان و لكنّ الحنَّانُ بالتشديد: هو **ذو الرّحمة** "، ويقالُ **حنّ يَحِنُّ حنانًا**[3]، قال تعالى:﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ ﴾ [4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص:129.

[2] الزّمخشري: أساس البلاغة، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان،(د، ط)،1979م، ص:145.

[3] الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5،1990م، ص: 2104.

[4] سورة مريم، الآيتان:12،13.

وفي " **القاموس المحيط** ": **(حَ نَ نَ)**: الحنينُ: الشوقُ، وشدةُ البكاء والحنان: الرحمة ورقة القلب، والحنّان: من يحنُ إلى الشيء وهو اسم **الله تعالى** ومعناه: **الرّحمانُ الرحيم** [1].

من ذلك يتضح أنّ " **الحنين** ": هو الشّوق وتوقان النّفس، أو هو: (صوتٌ، طربٌ، شوقٌ، رحمةٌ، وعطفٌ) هذا من النّاحية اللّغوية.

4-1-2 الحنين اصطلاحًا:

أمّا من النّاحية **الاصطلاحية:** " الحنينُ يعني حياة السرور والبهجة والفرح لأنّه يُجَسِدُ لحظة أمل يعيشُها الشاعر في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، وإذا كانت الغربة تعني البُعد والنّوى، فإن الحنين يعني القُربْ والعودة تفصل بينهما لحظة زمنية معينة، والحنين عاطفة سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل وهي إحساس وشوق لولاها لقعد الإنسان عن آماله ونكّص على نفسه" [2]، وهو أيضًا " رحلة في الزّمان وعودة إلى الوراء لمعايشة الماضي واسْترجاعه واستحضارِهِ على مستوى المكانِ والأهلِ والوقائِعِ" [3].

وهكذا فكلمة الحنين بكل مسمياتها ذات إيحاءات عاطفية تعبرُ عن شفافية ورهافة الإحساس، وتحمل في ثناياها الإشفاق وتَدُورُ حول البكاء والطرب والشوق والرّقة والحزن والفرح [4].

---

[1] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط8، 1426هـ، 2005م، ص:1191.

[2] عمر بوقروة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري(1945-1962م)، مركز جامعة باتنة أنجز طبعة على مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 1997م، ص:13.

[3] فاطمة طحطح: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م، ص:35.

[4] ينظر: عمر بوقروة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري (1945-1962م)، ص:18.

عمومًا **الحنين** في مفهومه الاصطلاحي لا يختلف عن المفهوم اللّغوي حيث يصُبُ معناه في قالب الشّفقة، الرّحمة، الشّوق، العطف، الرّقة، البكاء، الحزن، والفرح.

4-2 الحنين في شعر أسامة بن منقذ :

الحنين إلى الوطن فطرة في الإنسان تجذبه إلى وطنهِ ومراتع صباه؛ لأنّه منذ عرف الوجود وعرفهُ الوجود موصُولاً ببيئتهِ لا ينفصلُ عنها، حتى كادت هذه الصّلة تكون كصلتهِ بأسرته كيف لا تكون وطيدة بينه وبين وطنه وهو الأرض التي خُلِق على ظهْرها، وتنسّم هوائها العليل، ولعب فيها، وجرى فوقها، وأكل خضارها وفاكهتها، فحُبّ الوطنِ من الايمان وحُبُ الإنسان لوطنهِ من حُبِّه لِوجُودهِ.

إن الشّعراء الذين يُغربونَ عن أوطانهم ويُحرمُون من نعمة الاستقرار بها غالبًا ما تكثر في أشعارهم عبارات الحنين إلى الوطن والأهل من ناحية والتذمر من معاناة الغربة ومرارتها من ناحية أخرى، وهذا ما بدا عليه الشاعر " **أسامة بن منقذ** " في شعره فهو دائم الحنين إلى أهله ووطنهِ منذ اللّحظة التي افترق فيها عنهم، وذلك ما تجلّى في قوله[1]:

وإنّ إمْرَأُ أضْحَى" بإرْبِلَ*" دَارُهُ وفِي شيزرٍ أحبابُـهُ وشُجُونُـهُ

لَغيرُ مَلُومٍ فِي الحَنِينِ إليهِـمْ ومعْذُورَةٌ أنْ تَسْتَهِـلَّ جُـفُونَـهُ

رغم ما ناله أسامة من مجدٍ وعزٍّ وشُهرةٍ في مصر إلاّ أنّها لم تعوِضهُ عن " **شيزر**" فهي وطنه ومسقط رأسهِ، فيقول عن مصر[2]:

يا مِصرُ ما دُرْتِ في وهْمِي ولا خَلَدي ولا أجَـالَتْكِ خَلْواتِـي بِـأفْـكَـــارِي

مَا أنّتِ أوّل أرضٍ مسَّ تُربَــتَهَـــــا جِسْمِي ولا فِيكِ أوطَانِي وأوطَارِي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:201.

*إربـل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة من أعمال الموصل.(ينظر: المصدر نفسه، ص: 201).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:125.

لَكِــنْ إذا حمّتِ الأقْــدَارُ كَـانَ لَهَـا قُوىً تُــؤلفُ بين المَـاءِ والنّــارِ

لقد بقي الشّاعر أسامة بن منقذ مُتعلقًا بمن يُحبُ فهو دائم الحنين لِلقياهم رغم غيابهمْ عن عينيه إلاّ أنّهُم لم يغيبُوا عن فِكرهِ، يقول[1]:

يَا نَــازِحِينَ واصّطِبــارِي والأسَى يُجَـمُّ*ذا دَمْـعِــي وهَـذَا ينْـزِحُ

لاَ أسّألُ الأيّـامَ تَعْوِيضًــا بِكُــمْ لأنّهَــا بـمِثْلِـكُــمْ لاَ تسْمَــحُ

غبْتُــمْ وأشْبَــاحُكُمْ بنَـاظِـرِي كأنّهَــا إنْسَــانَــةٌ لاَ تَبْــرحُ

يتذكر الشاعر أسامة أهله فيتضايقُ ويشتدُ وجّدهُ ويتعجب من هذا التّشتت الذي آل إليه هو وأهله وكيف أصبحوا مُتفرقِينَ بعد ألفةٍ كانت تجمعهم، يقول[2]:

إذا مَرَّ ذِكراكُمْ بِقلبِي تَضَايَقَتْ ضُلُوعِي عمّا تحتهُنّ من الوجْدِ

وأعْجَبُ من تَشَتّيتِنَا بَعْدَ أُلْفَةٍ ومِنْ نَقْلِنَا بَعْدَ الدُّنُوِّ إِلَى البُـعْـدِ

ينادي الشاعر أحبابه ويخاطبهم متسائلاً إلى متى هذا البين والتشتت، فقد أصبح حاله كحال الحمامة التي تظل على غُصْنِ الشّجر دائما تنُوح، فيقول [3]:

أأحبابُنَا كم ذا يُشَتِّــــــ تُ شَمْلَنَــا البيّـنُ الطّــرُوحُ*

ماذا يُجْنِ من الحنـــــــ يـنِ إليكُــمْ القــلّبُ القريّــحُ

أنا بَعْدَكُمْ كالـوُرُقِفِــي أغْصَــانِهَــا أبــدًا تَنُــوحُ**

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:110.

* أجم الماء: تركه يجتمعُ. (ينظر: المصدر نفسه، ص:110).

[2] المصدر نفسه، ص:114.

[3] المصدر نفسه، ص:108،109.

*الطّروح: رماهُ وأبعدهُ.**الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة. (ينظر: المصدر نفسه، ص:108،109).

أسامة بِبُعْدِهِ عن أهله نسى طعمَ السُّرور؛ لأنّ الكآبة والحزن سيطرا على قلبهُ فلم يعُد فيه مكان للسّرور، وهذا حال كل من يعيشُ بعيدًا عن وطنه وأهلهِ دائما مشتت الكيان والرُوح، يقول[1]:

يا غَـائِبينَ رَجَـــاي طِيـــــ بَ العيّـشِ مُـذْ بِنْتُـمُ غُـــرُورُ

أَنْسَتْنِـي الأيّـــــامُ كيّـــــــ فَ يكُـونُ بَـعْـدَكُمُ السُّـــــرُورُ

يشّتاقُ الشاعر لأهله ووطنهِ الذي صار مُلْكًا لغيرهِ فهو يشتاق حتى لرؤية القبور؛ لأنّ العديد من الأحبة رحلوا إليها، وأصبحت الحياةُ لا طعم لها ولا لون من دونهم وصار اللّحاق بهم في رأيه أهونُ من البقاء وحيدًا تملأ قلبه الأشجان، يقول [2]:

أشْتاقُ أهْلِـي وأوطَانِي وقَدْ مُلِكَتْ دُونِي وأفْنى الرّدى أهْلِي وأحْبَـابِي

فأَسْتَرِيحُ إلى رُؤْيَـا القُبُور فَفِـي أمثَـالِـهَـا حَـلَّ إخْـوانِي وأتْـرابِـي

ولَسْتُ أحيَـا حَيـاةً اسْتَلَـذُّ بهَـا مِنْ بَعْدِهِمُ ولَحَاقُ القَومِ أَولَـى بِي

حين حرقت نيران الشّوق مهجة الشاعر أسامة بن منقذ، صار يبحث عن مرسولٍ يُوصِلُ شدة شوقهِ وجوى روحهِ لمن يُحِبُ فالكآبة والحزن أكلت فؤادهُ لولا أنّ الصبر من شِيمتهِ لمات من شدة الحنين، يقول[3]:

مَنْ مُبْلِغُ النّائِي المُقيمِ تَحِيـةً مِنْ راحِـلٍ شَـاكٍ جَـوَى أشْـواقِـهِ

لَهِجٍ مَعَ اليَأسِ المُبينِ بذكْـرِهِ قَـلِـقِ الحشَـا لبِعَـادِهِ خَفَـاقِـهِ

وهو الخليقُ بأنّ يَمُوتَ كآبةً لكنّ حُسْنَ الصّبرِ مِنْ أخْـلاقِـهِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:125.

[2] المصدر نفسه، ص:225.

[3] المصدر نفسه، ص:141.

يشبه أسامة تشتت شمله وغربته بالماء يسهل إهراقهُ لكن جمعه صعبٌ تلك الحالة التي أصبح عليها الشاعر فالعدو استفحل في تفريقه عن أهله وديارِه لكن عجز عن لمِ شملهم مرة أخرى في صورة بيانية رائعة، هذه الجمالية تجسدت في تشبيه البين بالإنسان الذي طالت يده في صدع شملهِ وأُلْفَتِهِ بمن يحب، لكنّ هذه اليد قصرت في جمع هذا الشمل مرة ثانية، يقول [1]:

طَالَتْ يَدُ البَينِ في تَفْرِيقِ أُلْفَتِنَا فَمَالهَا قَصُرَتْ عَنْ جمْعِ مَا افتَرقَا

كأنّنَا المَاءُ سَهْـلٌ حِينَ تُهْـرِقُهُ* وجَمْعُهُ مُعْجِزٌ مِنْ بَعْدِ مَـا انْهَرَقَـا

وَلمّا هاج شوقُ أسامة زاد وجده وصار كحمامة حزينة على غصن تسترجع أحزانها لكن خانتها دموعها ففاضت دموعه بدلا منها وبالاً ماطرًا، فإن كانت هي تشبه " **الخنساء**" في الحُزن واللّوعة فإنّ حزن الشاعر يشبه " **المتمم بن نويرة** " في بُكائِهِ يقول[2]:

وهَاجَ لِي الشّـوقَ القـديمَ حَمَامَــةٌ عَلى غُصُنٍ في غيضَــةٍ* تترنّــمُ

دَعَتْ شُجُوهَا مَحْزونَةً لَمْ تَفِضْ لهَا دُمُوعٌ وفَاضَتْ أدْمُعِــي مَزْجُهَــا دمُ

فَقُلتُ لها إن كُنْتِ خنْسَــاءَ لوعــةً وَوجدًا فَإنِــي فِــي البُكَــاءِ متمــــمُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه ، ص:142.

*يَهرقُهُ: يصُبُهُ بكثرة. (ينظر: المصدر نفسه، ص:142).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:149.

[3] المصدر نفسه، ص:151،152.

*الغيضة: مجتمع الشّجر في مغيض ماء. (ينظر: المصدر نفسه، ص:149).

وليتخلص أسامة من وطأة الغربة، ولكي يتغلب على نفسيتهِ المنهارة كان يُشارك ناقته همّه ومعاناته، ويأمرها بإظهار حزنها الخفي مادام همهم وحنينهم واحدٌ لماذا إذا كل هذا التكتم فالأسى وطول الحنين لن يغير شيئًا في غربتهم، يقول [1]:

يَا نَـاقُ شَطّـتْ دَارُهُمْ فحِنِّـي وأعْلِنِي الوجْـدَ الـــذِي تُجـــنِّي

أبْكِي اشْتِياقًـا وتَحِـنُّ وحْشـةً فَقَـــدْ شَجَـانِي حُزنُهَـا وحُـزنِـي

حَسْبُكِ قَدْ طَالَ الحَنِينُ والأسَى ومَـا أرَى طُـولَ الحَنِـينِ يُغنِـي

ولمّا توجّه أسامة إلى ديار "**بكر**" وتنقل بين حصونها ومدنها فتراه في **نصيبين*** وتارةً أخرى في " **آمد** "، لا يجدُ أنِيسًا يركنُ إليه، أو جليسًا يروق له سوى خزائنُ الكتبِ فكان يفرغُ إليها ويجدُ عندها المتعة والسلوة، ويحكي أسامة في ديوانه عن خيّاطٍ اسمه "**مهدي**" كان يُلازمهُ في **نصيبين** ولا يحدثه إلاّ حديث معاشه ومكسبه بعد أن كان أربابُ الفضلِ والنبل وأصحاب الأدب والرتب[2]، من ندمائِهِ ومريديه فيصور حالة الوحدة التي حلّت به وأبعدتهُ عن أهله وأحبائهِ في قوله[3]:

أحْبابُنَا مَنْ لِـــي لَـــو دامَ التّـــدانِـــي والجَـفَـــا

فَإنني أرَى النَّـــــوى مِـــنَ الـصُّـــدُودِ أتْـلفَـــا

شَتتَتِ الأيّام ظُلْـــــــ مًـــا شَمْلَنَـــا المُؤْتَـلِـفَـــا

وكدّرتْ من عَيْشِنَـــــا مَـــا كَـــان طَـــاب أوصَفَـــا

وصَـار بَعْـدَ البيّـنِ نَـــدْ مَـــانِـــي مَـهْـــدِي وكَـفَـــى

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:152،151.

[2] محمد عدنان قيطاز: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره ، ص:27.

***نصيبين:** مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قُراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان. (**ينظر**: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص:288).

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:134.

لقد كان أسامة كلّما تضايق من حياة الغربة التي حلّت به أو تعرض للإحباط والفشل في تحقيق ما يرنو إليه عاد به الحنين إلى طفولته البريئة التي عاشها في ربوعِ وطنـهِ حيث الذّكريات الجميلة فصور ذلك في قوله[1]:

وهُمْ الصِّبَا: أيامُهُ مَحْبوبةٌ وإنْ اعْتَـدَى فِـي غيّـهِ شيطَـانُـــهُ

وجَمَالُهُمْ كَفّـارةٌ لَمِلاَلِهِـمْ والهَجْـرُ ذَنْـبٌ يُـرْتَجَـى غُـفْـرانُـــهُ

لا نكاد نلمح في حنين " **أسامة بن منقذ** " حديثا عما عاشه في ديار الغربة غير مقترن بالحديث عن ماضيه الجميل الذي عاشه في ربوع وطنه قبل أن ينفى منه ومن أمثلة ذلك قوله[2]:

أحَبَابُنَـا دَعْوةً أُحِسُ لهَـا لَـوْ أسَمَعَتْكُـمْ بـردًا عَلَـى كَبِـدِي

آهٍ لِعيّشِي مَا كَـانَ أنْعَمَهُ بِقُربكُـمْ والـزّمَـانُ طَـوعُ يَـدَي

ولمّا يحن أسامة لابنه " **أبا بكـرٍ** " يصيرُ كالمخبُول الذي تاهَ في طريق عودتهِ إلى ديارِهِ، وجسدَ أسامة ذلك في قوله[3]:

لعلّ خَيَالاً مِنْكَ يَطْرُقُ مَضْجَعِي فأشْكُو إليهِ مَـا رمَـانِي بِه الدّهْـرُ

تُمَثِـلّـكُ الأفكَـارُ لِي كُـلّ لَيلَـةٍ وتُؤْنِسُنِـي أشبَـاهُـكَ الأنجُـمُ والزّهرُ

إذَا لَـجّ بِـي شَـوقٌ أتيتُـكَ زائِـرًا فَأَرْجَعُ كالمَخْبُـولِ دلّهَـهُ السَّحْـــرُ

ومَا القُربُ من قَبْرٍ أجَنّـكَ نافِعِـي إذَا كَـانَ فِيّـمَـا بيْنَـنَـا للثّـــرَى

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:153.

[2] المصدر نفسه، ص:112.

[3] المصدر نفسه، ص:348،349.

وبما أن قدرة الله عظيمة يتطلع الشاعر " **أسامة بن منقذ** " بأمل كبير وثِقَة عظيمة في أنّ اللهُ عزّو جل القادر على طيّ الظلام ونشر ضوء النهار، قادر على لمِّ شملهِ بمن يُحِب وزرع البسمةِ والسّرور في ووجهه وقلبهِ من جديد، يقول متفائلاً[1]:

لكنّ قُدْرةَ منْ يَطْوِي الظّلامَ عنْ الـ دُنيَا ويَنْشُــرُ فِي آفَــاقِهَــا الفَـلقَــا

يَرُدَّ شَمْليَ مجموعًـا وقَلْبِــي مَسْــ رُورًا ويَابِسَ عُــودِي كَــاسِيًـا وَرقَـا

كان لِلَحظاتِ الوداع دورًا كبيرًا في إذكاءِ لهيب شعر الحنين من خلال تصوير الشاعر " **أسامة بن منقذ** " لهذه المواقف بكلماتهِ التي تفيض شوقًا وحنينًا إلى وطنهِ **شيزر** وألمًا وحزنًا لفراقهِ لهذا الوطن الذي تنسّم هواءهُ وسار فيه خطواته الأولى باختصار هو رُوحهُ وكيانُهُ.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:142.

5- الـــزّلازل:

أحداث الــزلــزال:

وقعت الزلازل في شهر رجب سنة **(552هـ)** بالشام فخربت **(حماة وشيزر وكفرطاب وأفامية ومعرّة النّعمان وحمص وحصن الشّميمس عند سلمية)** وغير ذلك من بلاد الشام [1]، وما كادت عينُ أسامة تَقَرُّ برؤيةِ أهلهِ وأخيهِ حتّى اصّطكَتْ الأسماعُ بأخبار الزلازل التي شمِلتْ عددًا من المدن، ودمرت بعض القِلاعِ سنـة**(552هـ)** وأودتْ **بشيــزر** و" **آل مُنقذ** " جميعًا، فكان هلاكُ أهلهِ وبني قومهِ منعطفًا هامًا في مسيرة حياتهِ، فانْقلبتْ قلعة " **شيزر**" على صاحِبِها وأهلهِ فهُلِكوا كُلهم وكـان قـد ختنَ ولدًا لـهُ وعمِل وليمة وأحضر أهلهُ في دارِه وكان لهُ فرسٌ يُحِبُهُ ولا يكادُ يُفارِقُهُ، وإذا كان في مجلسٍ أُقيم ذلك الفرس على بابِهِ فكان ذلك اليوم على الباب فجاءت الزلزلة فقام النّاس ليخرجوا من الدار فخرج واحِدٌ من الباب فرمحهُ ذلك الفرس فقتلهُ فامتنع الناسُ من الخُروج فسقطتِ الدّار عليهم فهلِكُوا، وبادر" **نور الدين** " ووصـل إلى شيـزر وقـد هُلِك " **محمد بن سلطان** " ابن عم الشّاعر " **أسامة بن منقذ** "وأولادُه ولم يسلم منهم إلاّ " **الخاتون** " زوجة " **محمد بن سلطان** " ونُبِشتْ من تحت الرّدم سالمة[2]، أسامة آنذاك كان بعيدًا عن شيزر وإن سلم من الموت لم يسلم من الأسى والحسرة جراء هذه الفاجعة التي أودتْ بأُسرتِهِ وتركت في نفسهِ جرحًا عميقًا تعكِسُهُ قصائده التي بكى فيها واستبكى أهله وديارِه.

---

[1] ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1417هـ/1996م، ص:338،339.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص:338،339.

لمّا وقعت هذه الكارثة الطبيعية طبعا تزلزلت مدينة " **شيزر**" وذهب ملك أهله وذويه، فاتجه أسامة يبكيهم ويندُبُ حظّهُم ويرثِي منازلهم ويُسائلُ الزّمن عن ماضي مجدهم ويتألم لبقائهِ من بعدهم وحيدًا في قصيدة طويلة يصفُ فيها هذا الخطب الأليم ومدى شدةِ وقعه على نفسِه، فلولا اقتداؤُهُ بمن قبله لكان في عِدادِ الموتى أو المجانين، يقول مصورًا ذلك[1]:

مَا وَجْدُ صَادِحَةٍ فِي كُلِ شَارِقَةٍ تُرجِعُ النّوحَ في الأفْنَانِ ألحَانَا

كَمَا وَجَدْتُ على قَومي تَخُوّنَهُمْ رَيّبُ المَنونِ ودَهرٌ طَالَ مَا خَانَا

قَالُوا: تَأَسَ ومَا قَالُوا: بمَنْ وإذَا أفَردَتْ بالرّزءْ ما انْفَكّ أسوانَا*

مَا اسْتَدرجَ المَوتُ قَوْمِي فِي هَلاكهِمُ ولاَ تخرمَهُمْمَثنَى وَوُحدانَا**

فَكُنْتُ أصبرُ عَنْهُمْ صْبرَ مُحْتسِبٍ وَأحْمِلُ الخَطْبَ فِيّهِمْ عِزٌّ أوهَانَا

وأقْتَدِي بِالوَرى قبْلِي فَكَمْ فَقَدُوا أخًا وكَمْ فَارقُوا أهْلاً وجِيّرانَا

يقول " **أسامة بن منقذ** " في مقدمة كتابه " **المنازل والديار**": « وبَعّد فإنِّي دعاني إلى جمعِ هذا الكتاب ما نَالَ بِلادِي وأوطانِي من الخرابِ فإنّ الزَّمان جرَّ عليها وصرف إلى تعفِيتِها حولهُ فأصبحتْ كأنْ لم تُغنَ بالأمس موحشةَ العرصاتِ بعد الأُنسِ...إلخ، ولقد وقفْتُ عليها بعدما أصابها من الزلازل ما أصابها- وهي أول أرض مسّ جلدي تُرابها- فما عرفَتْ داري ولا دُورُ إخوتي ولا دُورُ أعمامي وبنِي عمِّي وأُسرتي، فَبُهِتُ مُتحيرًا ومُسْتعيذًا باللهِ من عظِيم بَلائِهِ وانْتِزاعِ مَا خوّلَهُ من نعمائه، وما

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:356.

* الأسوان: الحزين. ** تخرّمهم: استأصلهم.(ينظر: المصدر نفسه، ص:356).

اقتصرتْ حـوادث الزّمان على خَـرابِ الديـار دون هـلاك السُّكان بل كـان هلاكـهُم أجمــع كارتدادِ الطرف أو أسرع فاسترحتُ إلى جمع هذا الكتاب وجعلته بكاءً للديار والأحباب وذلك لا يفيدُ ولا يجدي، ولكنّه مبلغ جَهْدي »[1].

هذه المقتطفات من مُقدمة " **أسامة بن منقذ** " تلخص أحداث الزلزال الهائل الذي نكبَ الجزء الشّمالي من سورية سنة **(552هـ)**، ودمّرَ قلعة **شيرز** قاعدة ملك "**بني منقذ**" وأميرُها يوم ذاك ابن عمّ أسامة بن منقذ " **محمد بن سلطان** "[2].

وتذكر المراجع أن " **محمد بن سلطان** " قد أولمَ في ذاك اليوم المشؤُوم وليمةً، دعا إليها جميـع أسرتهِ، ليشهدوا ختان أحد أولادهِ، وفي أثنائِها وقعِ الزلزال، فقضى عليهم جميعًا ولـم ينجُ منهم إلاّ زوجة تاج الدولة وحدها [3]، وإننّا لنجدُ صدى هذه المأساة ووقعها في نفسِ " **أسامة بن منقذ** " في مواضع كثيرة من شعرهِ، نذكرُ من ذلك قوله يرثي أهله في قصيدة طويلة فيها فهو عاجزٌ عن الصّبر عليهم[4]:

وفَـاجَأَتْهُـم مِنْ الأيّــامِ قَــارِعَـــةٌ سَقَتْهُمُ بِكؤُوسِ المَوتِ ذَيْفَانَــا

مَاتُوا جَمِيعًا كَرجّعِ الطّرفِ وانْقرضُــوا هل مَا تَرى تَاركٌ للعَيّنِ إنْسَانَــا

لمْ يتْرُكْ الدّهرُ لِي مِن بَعْدِ فَقْدهِـــمُ قَلْبًا أجَشِّمُــهُ صَبْـرًا وسُلْـوانَــا

فَلَــو رأونِي لقَـــالُوا: مَـاتَ أسْعَـدُنَـا وعَاشَ للهَـمِّ والأحْـزانِ أشْـقَانَـا

---

[1] أسامة بن منقذ: المنازل والديّار، ص:04،05.

[2] ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص:338. **وينظر**: أسامة بن منقذ: المنازل والديّار، ص:07.

[3] شهاب الدين أبوشامة: الرّوضتين في أخبار الدولتين(النورية والصلاحية)،ج1، ص:352،353.

[4] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:357.

يتذمر الشّاعر ويلومُ الزلازل التي أخذت أهلهُ منه فجأةً وهدمت قصورهم وأحالتهم إلى المقابر وجعلته وحيدًا تعيسًا، يقول شاكيًا ساردًا مواجعهُ وحال دياره [1]:

لمْ يترْكْ المَوتُ مِنهُمْ مَنْ يُخْبرُني عَنْهُمْ فَيُوضِحُ ما لاقَوْهُ تِبْيَانَــا

بَادُوا جَمِيعًا وما شادُوا فوا عجبًا للخطبِ أهلك عُمّــارًا وعُمرانَــا

هَذِي قُصُورُهُمُ أَمستْ قُبُــورَهُــمْ كذاكَ كانوا بها منْ قَبْلُ سكّانَــا

ويّحَ الزّلازِل أفْنَتْ معشَـري فَـإذا ذَكَرْتُهُمْ خِلْتُني في القَوْمِ سَكْرانَا

بَنِي أبِي إنْ تَبيدُوا أنْ عَدَّا زمنٌ عليّكُم دُون هَذا الخَلـقِ عُدُوانَا

أفْسَدْتُمُ عُمْرِي البَاقِي عَلَيَّ فَمَا انْفَكَّ فِيهِ كثِيبَ القَلْبِ ولهَـانَــا

ويُعدِدُ **أسامة بن منقذ** خِصالهُم ومزاياهُم فقد كانُوا جناحَهُ الذِي يُساعِدهُ فِي الضِيق وسُيوفَهُ إذا ما اعّتراهُ خطبٌ أو حادثةٌ ثُمّ يدعُو لهم بالعفو والغفران[2]:

بَنُو أبي وبنُو عمّــي دَمِــي دَمُهُــمْ وإنْ أرَوْنِـي مُنـاواةً وشَــنــآنَــا*

كَـانُوا جَنـاحِي فحصَّتْـهُ الخُطُوب وإخّـواني فلَمْ تُبْقِ لـي الأيّـام إخـوانَا**

كَـانُـوا سُيـوفِـي إذا نازلْتُ حَـادِثَةً وجُنَّتِي حِين ألْقَى الخطبَ عَـريَـانَــا

فكيفَ بالصّبرِ لي عَنْهُمْ وقَدْ نَظَمُوا دَمْعِــي عَلَى فَقْـدِهِمْ دُرًّا ومَرجَـانَــا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:357.

[2] المصدر نفسه، ص: 35.

*شنآنا: الشنآن: البغض. **الحصّ: حلق الشعر. (ينظر: المصدر نفسه، ص:35).

وألْبـــسَ اللهُ هَا تيكَ العِظَـــامَ وإن بَلِينَ تحْت الثّــرى عَفوًا وغُفْــرانَــا

حين يقترب أسامة من ديار الأهل والأحبة ويرى الحالة التي أصبحت عليها تتغلب دموعه عليه معبرة عمّا بداخله من حرقة وغيضٍ، ما نفعُ هذه الديّار وقُربها إن أقفرتْ من أهلها واستوحشت من ساكنيها هكذا يقول أسامة[1]:

إذا أنَا شارَفْتُ الدِّيَـار تحدثَتْ بِمَكْنُونِ أسْرارِي الدُّمُوعُ الذّوارفُ

ومَاذا انْتِفَاعِي بالدِّيَارِ وقُرْبِهَا إذا أقْفَرتْ مِنْ كُـلِّ مَنْ أنَـا ألِـفٌ

ويصِف الدّار بعدما أقفرتْ من ساكنيها وتحولت إلى خراب[2]:

تقُولُ لِي الأشْواقُ: هَذِي ديّارهُمْ فَقُلْـتُ: نعَم لكنّهَـا مِنْهُمْ قَفْـرُ

ومَا كُنْتُ أهوى الدّار إلاّ أَهْلَهَا وبَعْدَهُمْ لا جَـاد سَـاكِنهَا القَطْـرُ

فَمَا الدّارُ تلْك الدّارُ بَعْدُ قطِينها ولا الدّهرُ فيها بَعْدَهُمِ ذلك الدّهْرُ

ويصفُ أسامة دياره وأيام الربيع كيف كانت قبل أن تَمسها الزلازل وتُحوِلُها إلى خرابٍ، يقول[3]:

ديّارَ الهَوى حَيَّ معالِمَكِ القطْرُ وإنْ لم يَدع إلاّ تَذَكُّـرَكِ الـدّهــرُ

عَهِدْتُكِ أُفْقًا للسّعُودِ وساكِنُــو رُبُوعَكِ في أرجائِكِ الأنْجُمُ الزُّهْـرُ

وعَصْرُهُمْ فَصْلُ الرّبِيعِ نَضَارةً فهل يَرْجِعَنْ لي ذلك الزّمنُ النّضْرُ

---

[1] أسامة بن منقذ: المنازل والديّار، ص:77.

[2] المصدر نفسه، ص:77.

[3] المصدر نفسه، ص:78.

تعود الذاكرة بالشاعر قليلا إلى الوراء مسترجعا تلك الأيام الجميلة التي قضاها مع أهله في تلك الرُّبوع والدّيار والبساتين الخضراء الواسعة، ويحزن كثيرا حين ينظر إلى الحالة السيئة التي أصبح عليها ذلك الجمال بعد الزلازل، فيشّتـدُ حـزنه وغضبه ويصير كالذي أصابه السحر أو المس خاصةً أن تلك الأيام لن تتكرر ثانيةً، فيقول عنهم[1]:

إذَا مرَّ في فِكْري الدّيارُ وأهْلُهَـا فَبَالِي مِنْ وَجْـدٍ يُجَـدِدُهُ الـذِكْـرُ

إذَا أوحَشَتْنِي وحْدَتِي بعْدَ فَقْدِهِمْ وَلِهْتُ كأنّي قَدْ أصابنيَ السِّحْـرُ

فكيفَ التَّسَلِّي والتَـأسِّي فِيهِـمُ ولاَ عَوضٌ مِنْهُمُ ولا عَنْهُمُ صَبْـرُ

ويبكِي أسامة أهلهُ وأوطَـانه ويأسف لبقائهِ وحيدًا من دونهم فليّس له دارٌ بَعدهـم ولا سكـنٌ، فالمـوتُ لم تتركْ لـه أحـدٌ منهم يشاركُهُ أفراحه وأتْراحهُ إن تكررت ثانيةً يقول[2]:

بَكِيّتُ أَهْلِـي وأوطَـانِـي وآسَفَنِـي أنْ ليّسَ لِي بعْدَهُمْ دارٌ ولا سَكَنُ

أخْنَى* الزّمانُ عَلَى قَومِي ومُلْكَ أو طَانِي سِوَاي فَلاَ أهْلٌ ولاَ وطَـنُ

وَلَمْ تَدَعْ لِي المَنَايَا مُشْتكَى حُـزْنٍ أبُثُّهُ كَمَـدِي إنْ عَـادَني حُـزْنُ

---

[1] أسامة بن منقذ: المنازل والديار، ص:78.

[2] المصدر نفسه، ص:78.

* أخنى: أفسد. (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ص:132).

يقول أسامة في كتابه **المنازل والديار**: " لمّا تأخر عنّا أخِي عزّ الدولة " **أبو الحَسَن عليُّ بن مُرشِد** " وخرجتُ أنا وأخواي إلى دمشقَ ثم مصرَ فكان يتأسّفُ لبُعدِنا عنّه وخُلو منازلنا مِنّا فهذا شيءٌ من شعري بعدما أصابنا من الزلازل ما أصابنا " [1] قلت[2]:

إلى اللهِ أشكُو رَوْعَتِي لمنَازِلٍ ... خَلَتْ، وجَوى قَلْبي لأهْلِ المنَازِلِ

سُيُوفِي إذَا مَا نازلَتْنِي مُلِمَّةٌ ... حُصُونِي إذا خِفْتُ الرّدَى ومَعَاقِلِي

مَضَوْا سَلَفًا قَبْلي فلَمْ أحْظَ بَعْدَهُمْ ... مِنَ العيّشِ والعُمْرِ الطّوِيلِ بِطَائِلِ

وقُلْتُ[3]:

هَذِي مَنَازِلُهُمْ عَفَتْ وتَفَرَّقُوا ... فَسَل المَنَازلَ عَنْهُمْ مَاذا لقُوا؟!

أرجُو اللّحاق بِهِمْ ودُونَ لَحَاقِهِمْ ... بابٌ منْ الأجَلِ المُؤَقّتِ مُغْلَقُ

رغم أنّ أسامة بن منقذ كان بعيدًا كل البعد عن شيزر وقت الزلزال إلّا أنّهُ وإن سلم منها لم يسلم من الأسى والحسرة اللّذينِ خلفتهما هذه الحادثة الأليمة وتركت في نفسهِ أحزانا وجراحًا عميقة انعكست في شعرهُ الذي بكى فيه واستبكى أهله وديارهِ التي أصبحت موحشة العرصاتِ، خالية، مهدمة، وصارت مغانيها قفرًا وآرامًا، ومسراتُها حسراتٍ وهمومٍ، فقد عظمت الرّزية حتى فاضت بوادرُ الدُّموع وتتابعت الزّفرات حتى أقامت حنايا الضّلوع.

---

[1] أسامة بن منقذ: المنازل والديّار، ص:26.

[2] المصدر نفسه، ص:26.

[3] المصدر نفسه، ص:26.

6- رثــاء الأمــوات:

تمهيــد:

منذُ بدءِ الخليقةِ والإنسانُ يتهرب من الموت فهي ظاهرة حتمية لا مفرّ منها ذلك وعدُ الله الذي جاء في **قوله تعالى:** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [1]، فالموت ظاهرة حتمية مقدرة على كل الأحياء، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يُؤرِقهُ أمرُها؛ لأنّها طالبٌ لا يملُ الطلب ولا يُخُلفُ الميعاد، ولاشك أنّ أي شخص منا حين يُفجعُ في شخصٍ عزيزٍ عليهِ يتأثر ويحزن كثيرًا عليه ويبكيه بحرقة ويُعَدِدُ خِصالهُ ومزياهُ، وبِما أنّ فاجعة الموت ليس لوقعتها كاذبة عبّر الشّعراء عنها ووصفُوها وعبرُوا عن حزنهم الشّديد عن طريق قصيدة الرثاء وبالغُوا في رِثائِهم فمنهم من بالغ حتى لامس حُدود الكُفرِ لشدةِ حُزنِهِ فرثوا أحِباءَهُم بحسرة ومرارة، والشاعر "**أسامة بن منقذ**" أيضا فُجِع في أهلِه وأحِبتِهِ وفلذة كبده فأفرد بابًا في ديوانِهِ لرثائِهم.

6-1 الـرثــاء في اللغة والاصطلاح:

6-1-1 الرثــاء لغــة:

ورد في **مختار الصحاح** : " رثيتُ الميت من باب رمى ومرثية أيضًا ورثوتُه إذا بكيتُهُ وعددتُ محاسِنهُ، وكذا إذا نظمتُ فيه شعرًا ورثى له رقّ " [2]، وفي " **تاج العروس** " "رثأتُ الرجُل بعد موتِه رثأً: مدحتُهُ بعد موتهِ" [3]، وفي" **لسان العرب** ": " رثأت المرأة زوجها، وقالت امرأة من العرب: رثأتُ زوجي بأبياتٍ وهمزاتٍ أرادتْ رثيتُهُ " [4].

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 34،35.

[2] الرّازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ط1، 1979م، ص:233.

[3] الزّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، ص:239.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص:102.

6-1-2 الــرثــــاء اصطلاحًا:

أمّا في **الاصطلاح:**" فهو تعبير الشاعر عن تجربةِ الحزنِ والأسى والتفجُع واللّوعة لفقدانِ ما هو عزيزٍ ومحببٍ إلى النّفسِ[1]، وهو من ألّصقِ الفنُونِ الشعرية بالنّفسِ الإنسانية ومن أصدقها تعبيرًا عن تجربة الحزنِ والأسى والألمِ " [2]، أو " هو النُّواح والبُكاء على الميت بالعبارات الشّجية والألفاظ الحزينة التي تصدعُ القلُوب القاسية وتُذيبُ العيون الجامدة، وله ألوانٌ شتّى منها؛ **النّدبُ*** و**التأبينُ** و**التّعزية** "[3].

يقول **مصطفى الرّافعي:** " يُعدُ الرثاء من الموضُوعات البارزة في شعرنا العربي التي حظيت بعناية فائقة من الشعراء عبر العصور المختلفة؛ لأنّ الموت قديم قدم الإنسان على هذهِ الأرض وما من شاعر إلاّ وجرفتْهُ مواكب الموت بين الأهل والأحباب والأصدقاء، ففجرت فيه ينابيع الشعر وأثرتْ قريحتهُ بما لا تجُودُ به في غير هذا الموقف " [4].

الرّثاء من أكثر الفنون صدقًا؛ لأنّهُ يصدر من أغوار النّفس الانسانية ويُعبرُ عن اللّوعة والحسرة التي تنتابُها عند فقدِ من أحبتْ ولا يملكُ الشاعر إزّاء هذه العاطفة الحارة الحزينة الملتاعة إلا أن يصدح في شعره بأحزانه وآلامه وهو من أصدق الأغراض الشّعرية وأكثرها تعبيرًا عن العواطف الصادقة [5]، ولهذا كان لكل أمةٍ مُنذُ القدم مراثيها وقصائِدها الباكية والأمة العربية من الأُمم التي تحتفظُ بتُراثٍ ضخمٍ من المراثي منذُ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحديث وهي عندهُم متعددة الألوان

---

[1] شوقي ضيف: الفن الغنائي (الرثاء)، ص:12.

[2] ينظر: يحيّى شامي: أروع ما قيل في الرّثاء، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان، ط1،1992م، ص:05.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:12.

* **النّدبُ:** هو بُكاء الأهلِ والأقارب والأصحاب حيثُ يعْصفُ بهم الموت عصفًا. (ينظر: المرجع نفسه، ص:12).

[4] مصطفى صادق الرّافعي: تاريخ آداب العرب،ج3، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ط1، 1359هـ/1940م، ص:104.

[5] ينظر: عبد الرّشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، وكالة المطبُوعات عبد الله حرمي، الكويت، ط1، 1982م، ص:07.

والغايات تبعًا لِتعدد المواقف والأحوال والاتجاهات، فمنها ما يرسله الشاعر بُكاءً وندبًا ونُواحًا على الرّاحِل يسْتذرفُ الدُموع ليُطفِئ لوعة الفراق ويُجسِّم عظم المأساة التي تركها هذا الأخير وغالبًا ما يكون هذا البُكاء والنّدبُ على الأقارب الذين تخترقُهُم المنية من أبناء وآباءٍ وإخوة يَبكيهم الشاعر بالدُمُوع الغزار ويبُثُّهم لوعة قلبهِ وحُرقة فُؤادهِ[1].

6-2 رثـــاء الأموات في شعـــر أسامــة بن منقــذ:

حفل الشّعر العربي على امتداد عصوره بألوان الرّثاء على اختلافها والذي لاشكّ فيه أنّ رثاء الأهل في الشعر العربي كثيرًا ونابضًا بالحياة ورِثاء الأبناء أشدُ لوعةً وألمًا وحُرّقةً، وقد كانت سيرة حياة " **أسامة بن منقذ** " سيرة الموت الخاطف واللاّمع في الأفق بالتّمام والكمال وتجلّى ذلك أكثر ما تجلّى في مرثياته لابنةِ شقيقهِ، وابنه، وأهلهِ حين داهمتهُم الزّلازل، ووطنِه، وديّاره.

6-2-1 رثـــاء ابنــة الأخ:

وكتب قصيدة من مصر إلى أخيه " **عـزّ الدولة** "، وقد ماتت له بنتٌ **بشيزر** وهو غائبٌ عنها بدمشق وأعمامها وأخواها غُيّبٌ، فأخذ يبكيها في هذه الأبيات الشّجية متحسرًا عليها؛ لأنّها ماتت وحيدة وغريبة مع أنّها تملك الوالدين والإخوة فصار ذكرها في الأرجاء يُدمِي القلوب قبل العيون، يقول[2]:

وَيّحَ الغَرِيبَةِ والدّيارُ دِيّارُهَـا ... لمْ تَرْتَحِلْ عنهـا ولمْ تتَغـرّبِ

مَاتَتْ غريبةً وِحْدةٍ مِنْ تِربهَا ... وشَقِيقِهَا ومن العُمومَـةِ والأبِ

فَهِي الوحيّدةُ والأقاربُ حَولهَا ... وهِي البعيّـدةُ فِي المَحَلِ الأقربِ

فإذا تضرّمَ في الجوانِحِ ذِكرُهَا ... قَالَ الأُسَى: بالله يا عيّنُ اُسْكُبِي

---

[1] عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم، ص:08.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:344.

6-2-2 رثـــاء الابـــــن:

قَد يتفاوت الشّعراء في درجة التأثر بالموت وذلك يرجع إلى حياة الشّاعر الخاصة ومدى تكرر الموت فيها لكن هذا لا يمنعُ أيّ شاعرٍ من أن يُعبر عن الحزن والألم الذي احتوى قلبهُ وسيطر عليه، فالشاعر أسامة بن منقذ لمّا توفي ابنه " **أبا بكر** " وهو صغير صار يتمنى لو أنّ الموت اختاره هو بدلاً من ابنه؛ لأنّ ألم الفقد حرقة وجرحة قرحة يصعب التئامها، فطال حُزن الشاعر وزاد حنينه إليه فأخذ يُصور حالته من بعده وحُرقةِ أحشائهِ لفقدهِ، يقول[1]:

إلى اللهِ أشْكُو رَوعَتِي ورَزِيتِي وحُـرقَــةَ أحْشَــائِـي لِفقْدِ أبِي بَكْـرِ

خَشِيتُ عَليّهِ اليُتْمَ لَكِــنْ ثكْلَــهُ ولَوعَتهُ لَـمْ يخطُــرا لي علَى فِكْــرِ

فَيَا ليّتَهُ لاقَى الذِي كُنتُ أخْتشِي عليهِ وأنّــي دُونَــهُ صَاحِـبُ القبــرِ

فمَا فِي حَيَاتِي بَعدهُ لي راحــةٌ فَيَا طُولَ حُزنِي إنْ تَطَاول بِي عُمـرِي

ويرسل الشاعر دموعه مدرارًا في رثائه لابنه خاصةً حينّما يزورُ قبره ويرى ما انْبسط فوقه من ترابٍ، مشبهًا دموعهُ التي لا تنضب بالماء الذي فاض من شدة غليانِهِ على النّار، يقول له[2]:

أزُورُ قبـرَكَ مُشتَــاقًا فيَحّجُبُنــي مَـا هِيلَ* فوقَـكَ مِنْ تُربٍ وأحْجَـارِ

فأنْثَنِي ودُمُوعِي مَنْ جَوىكَبِدِي تَفِيضُ فأعْجَبُ لماءٍ فاض من نَارِ**

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:347.

[2] المصدر نفسه، ص:350.

*هيل: صبهُ بتتابع. **جوى: شدة الحزن. (ينظر: المصدر نفسه، ص:350).

يُخاطب أسامة ابنه يُخبِّرُهُ أنّه لم ينس هذه الفاجعة التي حلّت به لطالما خشِي عليه اليتمِ من بعده لكن شاءت الأقدار أن يُرمى بسهام المنية ويثكل في ابنه، وحينّما فقدهُ صار يتمنّى لو اختاره الموت وترك ابنه؛ لأنّ حُرقة الثكل صعبة ومُرّة، يقول[1]:

لَعَمْرُكَ مَا يُنسِينِي الدَّهْرُ رَوعَتي بفَقْدِ أبِي بَكْرِ حَيّاتِي ولاَ يُسْلِي

خَشِيتُ عليهِ اليُتْمَ بعْدِي فليتنِي رُميتُ بِمَا أخْشَى ولمْ أُرِمَ بالثّكلِ

فَكُلُّ بعيدٍ يُرْتَجَى جَمْعُ شمْلِـــهِ وبُعْدُ المَنَايَا غيرُ مجْتمَعِ الشّملِ

شاءت الأقدار أن تختطف منه الموت ابنه وهو في عمر الزّهور فاحترق قلبه وعجز عن الصبر عليه فبكاهُ بحرقة في هذه الأبيات الصادحة بالأسى، يقول [2]:

رُزِئْتُ أبَـا بَكْـرٍ على شَغَفِي بِـه فيَا لهْفتَا ماذا جَنِـي الحَادِثُ البكْـرُ

لِسَبْعٍ مَضَتْ من عُمْرِهِ غالَهُ الرّدى وكُنْتُ أرجِى أنْ يَطُـولَ بِـه العُمْـرُ

يخاطب أسامة ابنه مرة أخرى يسأله كيف ينساه؟ وكيف يصبر عليه؟ وطيفُ خياله لا يفارق قلبه وعينه أيّنما اتجه وحلّ، يقول[3]:

كيفَ أنسَـاكَ يا أبَا بَـكـرٍ أَمْ كيـفَ اصْطِبَاري مَا عنْكَ صَبْرِي جَميلُ

أنْتَ حيّثُ اتْجَهّتُ فِي أسَوَدِي عَيّـ نِـي وقَلْـبِي مُمَثَـلٌ لا تَـــزُولُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:354.

[2] المصدر نفسه، ص:348.

[3] المصدر نفسه، ص:353.

6-2-3 رثـــاء الأهـــل والأحِبـــة:

لقد تعددتِ مظاهر الفقد في حياة " **أسامة بن منقذ** "، فتشعّبت يدُ الموت في النّيلِ من كل من يحتل مكانةً بقلبهِ، فقد نال من أهله لِيُشبعهُ ألمًا وحسرةً حيثُ فقدهم بالزلزال الذي ضرب **شيزر** سنة**(552هـ)**، فقام برثائهم بأبياتٍ مريرةٍ يقول فيـها[1]:

لَمْ يترُكْ الدهرُ لِي مَن بَعْدِ فَقْدِهِمُ قَلبًا أُجَشِّمُـه صَبْرًا وسُلْوانَـا

فلَو رأونِي لقالُوا: مَـاتَ أسعدُنَـا وعَاشَ للهمِّ والأحْزانِ أشقَانَـا

لَمْ يترُكْ المَوتُ مِنْهُم مَن يُخْبِرُنِي عَنْهُمْ فَيُوضِح مَا لاَقَوهُ تِبْيَانَـا

ويندبُ وطنهُ وأهلَهُ الهالكين بالزلازل التي حلّت بحصن **شيزر** بهذه المرثيات الحزينة التي احتار فيها أيبكِي وطنهُ أم زمانه الذي قضاهُ فِيها أم أهلَهُ وشبَابَهُ الرّاحل، يقول[2]:

حَيّا ربُوعُكِ من رُبًّى ومنازِلٍ سَارَي الغمـامِ بكُـلِّ هامٍ هامِلِ

أبْكِيكَ أمْ أبْكِي زمَانِي فِيّكِ أم أهْلِيكِ أمْ شَرْخَ الشبابِ الرّاحِلِ

مَا قَدرُ دَمْعِي أنْ يُقَسِّمَهُ الأسَى والـوجْـدُ بـيّـنَ أحِبـَةٍ ومَـنـَازِلِ

وقال يتَحسرُ ويبْكِي على فُقدانِ أهلِهِ وخسارتِهِمْ في الزلازلِ[3]:

ويّحَ الـزّلازِل أفنتْ مَعْشَري فَـإِذا ذَكَرتُهُمْ خِلتُنِي في القَومِ سَكْرانَـا

أرُدَ فيضَ دُمُوعِـي في مَسَالِكِهَـا فَتستَحِيلُ مِيـاهُ الدّمْـعِ نيـرانَـا

لاَ أُلْتقِي الدّهرَ من بَعْدِ الزلازِلِ مَا بَقِيتُ إلاّ كَسِـيرَ القَـلْبِ حَيْـرانَـا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:357.

[2] المصدر نفسه، ص:354،355.

[3] المصدر نفسه، ص:357،358.

يحاول الشاعر السّيطرة على حزنه اتجاه من فقد من الأهلِ والأقارب لكن دون جدوى، فقلبه متعلق بهم تعلقًا شديدًا كيف لا وهم سُيوفهُ إذا نزلت عليه مصيبة، فكيف التجشم؟ وفراقهم ترك في القلب نارًا تتلهب وفي العيونِ دموعًا لا تجفُ ولا تنضب يقول: [1]:

حَاولتُ كِتمَانَ بَثِّي بَعـدَ فَقْدِهِـــمُ فلم يُطِقْ قلبي المحزون كِتْمَانَـا

ومَا درَى أنّ فِي قَلْبِـي لِفقْدِهِـــمْ نارًا تلظّى وفي الأجفَانِ طُوفَـانَـا

بَنُو أبِي وبنُو عمِّي دَمِي دَمُهُـمْ وإنْ أرَوْنِـي مُـنـاواةً وشِـنـآنَـا

كَـانُوا سُيُوفِي إذَا نَـازلْتُ حَـادِثَـةً وجُنَتِي حِينَ ألْقَى الخَطبَ عَـريَانَـا

فَكيفَ بالصّبرِ لِي عَنْهُمْ وقَدْ نَظَمُوا دَمْعِي على فَقْـدِهِـمْ دُرًّا ومَـرجَـانَـا

6-2-4 رثـاء المنـــازل والديّـــار:

فطر الله تعالى الإنسان على الألّفة والحنين للوطن الأم أو السّكن الذي يأويهِ ويحميهِ من حرِّ الصيف وبردِ الشّتاء خاصةً عندما يكونُ هذا الأخير له ذكريات جميلة وفجأةً يصبحُ ما عهدهُ به للأنسِ واللّعب مع الأتراب صدًى خاليًا كلّما ناداهُ لبّاهُ، لذلك لا نستغرب بكاء الشاعر " **أسامة بن منقذ** " على وطنه وديّاره في هذه المقطوعة التي تصدحُ كلّها بالشّجن والألم، يقول[2]:

يُعَنِّفُنِي فِي الدّارِ صَحْبِي عَلَى البُكَا فيَا ويْحَ قَلْبِي مِنْ خَلِيٍّ وجاهِلِ؟

وقَـالُـوا: أتبْكِـي للمَنَـازِلِ قُلْتُ لاَ ولكِنّما أبْكِـي لأَهْـلِ المـنَـازِلِ

يقُولُ أسامة في كتابه " **المنازل والديار**": لمّا تأخر عنّا أخي عزّ الدولة " **أبو الحَسَن عليٌّ من مُرشِد**" وخرجتُ أنا وأخواي إلى دمشقَ ثم مصرَ فكان يتأسّفُ لبُعدِنا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:358،359.

[2] أسامة بن منقذ: المنازل والديّار، ص:27.

عنه وخُلو منازلنا منا، فهذا شيءٌ من شعري بعدما أصابنا من الزلازل ما أصابنا[1] قلت[2]:

إلى الله أشكُو رَوْعَتِي لمنَـــازِلٍ خَلَتْ وجَوى قَلْبِي لأهْلِ المنَـازِلِ

سُيُوفي إذا مَـا نازلَتْنِـي مُلِمَّـةٌ حُصُونِي إذا خِفْتُ الرّدى ومعَاقِلِي

مَضَوْا سَلَفًا قَبْلي فلَمْ أحْظَ بَعْدَهُمْ مِن العَيشِ والعُمْرِ الطّويلِ بِطائِلِ

ويصفُ أسامة للمنازل التي احتوت الأهل والأحبة كيف صارت خرابًا وخاويةً على عروشها بعدما أصابها الزلزال، ثمّ يصنع حوار مع المتلقِي حيثُ يأمرهُ بأن يسأل ويُسائل بقايا هذه الأطلال والدّمن والرّسوم التي خلّفها الزلزال ماذا لقوا؟ وكأنّ هذه الديّار ستجيب على هذه الاستفهامات بأنّهم فارقُوا هذه الدنيا وسكنُوا التراب ليبقى هو بعدهم متفردًا بحزنهِ وكآبتهِ، حتى أنّهُ صار يرى في الموتِ أعظم راحةٍ ليلحق بمن يُحِب يقول [3]:

هَذِي مَنَازِلُهُمْ عَفَتْ وتَفَرَّقُـوا فَسَل المَنَازِلَ عَنْهُمْ مَاذا لَقُـوا؟

تُخْبِرْكَ أنّ الأرْضَ قَـدْ وارتْهُـمُ وأبَتْ لَهُمْ أن يَسْمَعُـوا أو يَنْطِقُوا

وبَقِيّتُ بَعْـــدَهُمُ لِـهـمٍّ فَـادِحٍ وكآبَةٍ تُضْنِي وخَـطْـــبٍ يُطْـــرَقُ

أرجُو اللّحَاقَ بَهِمْ ودُونَ لحَاقِهِمْ بَابٌ منْ الأجَلِ المُـؤقتِ مُغْلَـــقُ

وقال أسامة يندبُ وطنهُ وديارهُ وأهلهُ الهالكين في الزلازل بحصن " **شيزر**" [4]:

حيّا ربُوعُـكِ من رُبًى ومنَـازِلٍ سَـارَى الغمـامُ بكُـلِّ هَـامٍ هَـامِلِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:26.

[2] المصدر نفسه، ص:26.

[3] المصدر نفسه، ص:26.

[4] المصدر نفسه، ص:334،335.

أبْكِيكَ أمْ أبْكِي زَمَـانِي فِيـكِ أمْ أهْـلكِ أمْ شَـرْخَ الشّبــابِ الــرّاحِـلِ

ما قدرُ دَمْعِي أنْ يُقسّمَهُ الأسَى والـوجْـدُ بـيـن أحِبَــةٍ ومَنَــازِلِ

يعد الرّثاء حديثُ القلب الجريح وتعبير العين الحزينة، فليس هناك مصيبة أعظم من الموت وفقدِ الأحِبةِ؛ لذلك كان شعرُ الرثاء متميزًا عن غيرهِ في جلبِ الأحزان للمتلقِي، فقد ظل الموت بالنسبة للشاعر " **أسامة بن منقذ** " بمثابة المأساة الخانقة والسّبب الرّئيسي في قلقهِ وحيرتهِ وضياعهِ فلم يستطيع الهروب منه؛ لأنّه أحد معطيات الواقع الاجتماعي الذي يعيشه، لذلك لا نستغرب إن وجدنا له لوحات رثائية معبرة عن مدى ألمِه وحزنهِ الشّديد، فقد عظمت الرّزية ففاضت بوادرُ الدُّموعِ وتتابعت الزّفراتُ معبِرةً عن ألمِ الفراق ولوعةِ الثّكلِ والوحدةِ.

7- الشّـكـوى:

تمهيـد:

الشّكوى غرض من أغراضِ الشعر؛ فهي صورة تعكِسُ ما يعلقُ في قلُوب البشر لِتُؤكد ضرورة فطرية صبغ اللهُ بها عبادهُ، فمن ذا الذي لا يتألم ولا يشكُو فحتى الأنبياء شكوا وكانت شكواهُمْ نبوية عظيمة؛ لأنّها كانت متجهةً لله تعالى فسيدنا " **يعقوب عليه السّلام** " شكا بثه وحزنه لله عزّ وجل في **قوله تعالى**:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1]، وأيّوب لمّا نادى ربّهُ وشكَا ضُرهُ إليه فقال بعد **قوله تعالى**:﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [2].

والشّكوى متأصلة في الشعراء؛ لأنهم شكو آلامهم وعبروا عن أحزانهم في أشعارهم، فالشاعر هو لسان حال محيطه ومجتمعه فإن واجه ضيّمًا أو كربًا تحرّك لسانه شاكيًا باكيًا عمّا اعتلج قلبهُ من حزنٍ وهمٍ وكربٍ، ولعلّ من بين هؤلاء الشّعراء الذين بكوا وشكوا شاعرنا الحزين " **أسامة بن منقذ** " الذي شرب من كأس المحن وويّلات الظلم والغربة، وهذه الأحزان تكاتفت مع احساس الشاعر المرهف وجعلته ينتج ديوانًا ضخما خلّد فيه كل أحزانه وشكواه.

---

[1] سورة يوسف، الآية: 86.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 84،83.

7-1 مفهـوم الشّكـوى لغة واصطلاحًا:

7-1-1 الشّكـــوى فـــي اللغـــة:

ورد في مقاييس اللغة " **ش كَ و** " الشّين والكاف والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ يدُلُ على الّتوجع من شيءٍ ما [1]، وعرّفها **الخليل الفراهيدي ت(791م)**: " **شكـو** "**الشكوى**" نقول: **الاشتِكاءُ، شَكا، يشْكُو، شكاةً،** ويستعملُ الاشتكاءُ في الموجدةِ والمرض، فهو شاكٍ: مريض قد تشكّى واشْتكى وشكا إلى فلانٍ فلانًا، و**الشّكُو**: المرض نفسُهُ [2].

7-1-2 الشّكوى في الاصطلاح:

" هي تأثرٌ عاطفي يعْكِسهُ الشاعر بألفاظ رقيقةٍ مشحونةٍ بخلجاتٍ وجدانيـةٍ وانْفعالات ذاتية، وتتنوع الشّكوى تِبعًا لتنوع هذا المؤثر فقد يشكو الدهر وتقلُباتهِ، ويتبرّمُ بالفقر والعَـوز ويَنْدُبُ الشّـباب ويَأسَـفُ على غَـدرِ الإخـوانِ ومَـوتِ الـوفـاء "[3].

أوهي" ميلٌ فطريٌ عند الإنسان يلجأُ إليهِ عند الشعور بالألم أو الحزن أو اليأس وما يُوافِق ذلك من إحساس بالاضطهاد أو الطُغيان أو الظُّلم أو الاضّطرابِ في الحياة الاجتماعية والسّياسية والفكرية "[4].

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة،ج3، ص:207.

[2] الخليل الفراهيدي: معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج5، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط2، 1409هـ/ 1989م، ص:388.

[3] الرّاغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، تهذيب إبراهيم زيدان، ج2، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر، (د، ط)،1902م، ص:438.

[4] المصدر نفسه، ص:439.

أمّا إذا عرّفناها باعتبار أنّها فنٌ من الفنون الشعرية أو من فنون الشعر الوجداني العميق فهي:" لونٌ من ألوان الشعر المتجدد لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجةً للحياة الاجتماعية القاسية في ذلك العصر وبخاصةً شكوى الزّمان أو الدهريات وهناك من فروع هذا الفن شكوى الأهل والأصدقاء ونُدرةِ الوفاء واختفاء المعروف بين النّاسِ" [1].

باختصار الشّكوى هي تعبيرٌ عن آلامِ الإنسان وأحزانه وانفعالاته الذاتية ومشاكله التي يُواجِهُهَا في الحياة نفسيةً كانت أو اجتماعية أو مادية أو سياسية أو صحية.

7-2 الشّكـوى في شعـر أسامـة بن منقـذ:

حين يتعرّض الإنسان في حياته للإهمالِ وسوء المعاملة أو إلى الغدر أو الظلم أو النّفِي، يحزن كثيرًا ويكتئب فيتجه بشكواه إلى الله تعالى أو إلى أقرب الناس إليه ليُعبر عن مواجع قلبهِ وأنينِهِ، وإن لم يجد خليلاً يشاركه أشجانه وشكواه يتجه إلى الشعر باعتباره متنفسًا ومنفذًا يعبر فيه ويفصح عن مواجعه.

الشاعر " **أسامة بن منقذ** " ممن اتخذوا من الشعر مطيةً لشكواهم وتدوين مآسيهم وقد نجح في ذلك إلى حدٍ ما وخير دليل على ذلك قصائده الشاكية الباكية، والتي من خلالها يفهم المتذوق لشعره أنه إنسان لم يسلم من نكباتِ الدهر وجُورِ الزّمان واضطهادِ الرجال بل لاقى ما لاقاهُ في حياته من الظلم و فراقِ الأحبة والنّفي والفقر والشقاء والموت، في هذا المبحث سنأتي للتفصيل في هذه النقطة باعتبارها أكبر دليل على حزنه وشقائه.

---

[1] مصطفى الشّكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانييّن، عالم الكتب، بيروت، لبنان،(د، ط)،1981م، ص:69.

7-2-1 شكـوى الظُـلـم:

إنّ من أشد الأمورِ حرمة وأسرعِها عُقوبةً وأعجلها مقتًا عند الله تعالى وعند المؤمنين ومن أشدِ ما يُؤثرُ في النّفسِ ويُذهِبُ إنسانيتها **الظُـلـم**، فالظُلمُ ظُلُمات يوم القيامة؛ لأنّهُ تعدٍ على حقوقِ الآخرين بالباطِلِ هو الظلامُ الذي يُخيّمُ على بعضِ النُّفُوس ويُخالِفُ الفطرة الإنسانية التي خلقها اللهُ والتي تقومُ على العدلِ والرّحمة بين البشر.

الشاعر " **أسامة بن منقذ** " تعرض للظلم من قبل عمِّهِ " **سلطان أبو العساكر بن علي** "، الذي نفاهُ من وطنِهِ **شيـزر** الوطن الذي ترعرع وشهد فيه مدارج طفُولتِهِ وملاعب صِباه، حينها اتجه يشكوه لوالدهِ ساردًا ما لحق بهِ من جورِ في قصيدةٍ حزينةٍ شاكيةٍ معبرة عمّا نالهُ من ضيقٍ وحسرةٍ وسُوءِ عيشٍ، يقول[1]:

أشكُو إِلَى عَلْيّاكَ همًّا ضَاقَ عنْ كِتمَانِهِ صَدْرِي ومَا هُـــو ضيــّقُ

وطَـوارِقًـا للهمِّ أُقَرِيّهَــا الكَـرى* وتَلظّ بِي صُبْحًـا فَمـَا نتفـرقُ**

ويُخبِرهُ بأسلُوبٍ شاكٍ أنّهُ صمّم على فراقِ أرض الوطن مادام الحقد والكره قد تسلل إلى قلوب أقاربِهِ فأفسدُوا عيّشهُ، وإن كان الحنان لا يأتي منهم فبُعدهُم أفضل بكثير من قُربهم، يقول[2]:

دَعْنِي وقِطَعُ الأرضِ دونَ معَاشِر كُـلٌّ عـلـيَّ لغيـرِ جـــرمٍ مُحنـــقِ***

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:177.

*الكرى: النعاس، **تلظّ: اشتدّ وألّح. (ينظر: المصدر نفسه، ص:177).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:178.

***محنقُ: الحنقُ: السخط والكره. (ينظر: المصدر نفسه، ص:178).

قَدْ أفْسَدُوا عيّشِي عَلَيّ وعيّشُهُمْ فأنَا الشّقِي بِهِم وبِي أيضًا شَقُوا

فَضّلُ الأقَـارِبِ بِرّهُمْ وحنُـوهُـمْ فَـإذَا جَفَـونِي فَالأباعِـدُ أرفَـــقُ

كما كان لِتبددِ ثرواتِهِ ونهبِها عقِبَ الحوادثِ التي جرتْ بعد مقْتلِ " **الظّافرِ**" وغرقِ بعْضها في البحرِ عند خروجِ أسرتِهِ من مصر أثرُهُ البالغ في نفسهِ فشكَا ذلك إلى "**الملِكِ الصّالحِ**" في قوله [1]:

أنَا أشْكُو إليّك دهرًا لَحَا عُـو دِي وأعّـراهُ فهُـو يَبْسٌ سَلِـيّبُ

وخُطُوبًا رمَى بِهَا حَادثُ الـدّ هـرِ سَـــوادِي وكلُّهُـــنّ مُصيّـبُ

أذهبـتْ تَـالِـــدي وطَـــارِفِي الطّـــاري فضَـــاع المَـوروثُ والمســكُـوبُ

فهُو شَطَرَانِ بينَ مصرٍ وبحْرٍ ذَا غَـرِيـــقٌ فِـيٌّ وذا مَنْـهُـــوبُ

7-2-2 شكـوى الغربـــة والحنيـن:

ما كادت عينُ " **أسامة بن منقذ** " تقرُّ برؤيةِ أهلهِ وأخيهِ، حتّى اصطكّتْ الأسماعُ بأخبارِ الزلازل التي شمِلتْ عددًا من المدنِ، ودمرتْ بعض القلاع سنة(**552هـ**) وأودتْ **بشيزر** وآلِ منقذ جميعًا، فكان هلاكُ أهلِهِ وبني قومهِ منعطفًا هامًا في مسيرةِ حياتِهِ[2]، فوقف أسامة على أطلالِ شيزر بعدما أصابها الزلازل فلم

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:213.

[2] محمد عدنان قيّطاز: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره (بمناسبة مرور تسعمائة سنة على ولادته)، ص:25.

يعرف دارهُ ودار أبيه وإخوتِهِ وبني عمومتِهِ، فبكى واسْتبْكى وسكب مشاعر الألم التي تجددت في قلبه في أبيّاتٍ خلّدها الزّمن عبر العصور، من ذلك قوله [1]:

بنُو أبِـي وبنُو عَمِّي دَمِّيّ دمُهُـمْ وإنْ أرَونِـي مُـنَـــاواةً وشِـنــآنَـا

كَانُوا سُيوفِي إذَا نَازلْتُ حَـــادثــةً وجُنّتِي حِينَ ألْقى الخَطب عُريانا

حَاولتُ كِتمَانَ بثِّي بَعــدَ فقْدِهِـمْ فلمْ يُطِـقْ قلبِي المحْزُونُ كِتمَـانَـا

فكيّف بالصّبرِ لي عنّهُمْ وقَدْ نَظَمُوا دَمْعِي عَلَى فقْـدهمْ دُرًا ومَـرجَـانَـا

يطيّبُ النّفْسُ عنْهُمْ أنّهُمْ رحلُـــوا وخلّفُـونِي عَلَـى الآثَـارِ عِجْــلانَـا

ولمّا كان بمدينةِ **حلب** وكان قد وصل إليه بعض الأصدقاء وأخبروهُ أنّ من كان لهُ من الأولاد والأهلِ بمصر قد وصلُوا وأنّ المركب تكسّر بهم في ساحلِ **عكّـا** ونهب **الإفرنجُ** كلّ ما فيهِ ولم يصلُوا إلى دمشق إلاّ بأنْفُسِهمْ وأنّ ملِكَ الفرنج أعطاهُمْ خمسمائة دينار توصلُوا بها إلى دمشق[2]، فما أشد شوق اللّقاء بمن نحب بعد طول غياب وما أسوء أن يتعرّض هذا اللّقاء للفشل الذّريع، ولهذا السّبب الشّاعر " **أسامة بن منقذ** " رفع شكواه إلى الله تعالى يبُثُهُ حزنهُ الشّديد حين فشل في لقائه بأهله، يقول[3]:

إلى اللهِ أشكُـــو فُرقةً دمِيّتْ لـهَـا جُفونِي وأذكتْ بالـهُمُومِ ضَمِيـرِي

تَمَادتْ إلى أنّ لاذتْ النّفسُ بالمُنَى وطَـارتْ بِهَا الأشْـواقِ كُـلِّ مَطْيـرِ

فلّمَا قَضَى اللهُ اللّقَــاءَ تعَــرّضتْ مَسَاءةُ دهْرِي في طَرِيقِ سُـرُورِي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:358،359.

[2] المصدر نفسه، ص: 125، 126.

[3] المصدر نفسه، ص:126.

ويشتكي أسامة شدةِ شوقِهِ لأخيهِ " **أبو المغيث منقذ** " فهو منقذه حين تطرقهُ الخطوب والرّزايا، والذّائد عنه إذا تردده البلاء، يقول[1] :

أيَا مُنْقِذي والحـادثـاتُ تنُوشُنِـي ودَافِعَ همِّـي إذْ تَـرادفَ بـعْثُـهُ

تحملّتْ عنِّي كُلُّ خطبٍ يؤودُنِي ونَاهَلَتْنِي عَيّشِي وقَدْ بَـانَ خُبْثُـهُ

ومَا أشْتكِي شَوقِي إليّكَ تجلّدًا عَلَى أنّـهُ بَلْبَـالُ قَلْـبِـي وبَـثَـهُ

طالما كان الرّحيل الدائم مصدر ألمٍ وشقاءٍ لأسامة بن منقذ يُنغِصُ حياتهُ ويرهق فكره، فطبع شعره بمسحةِ الحزنِ والأسى، فكثر الحديث عن الفراق والوداع والبُعد عن الأحبةِ.

7-2-3 شكـوى الشّقـاء والفـقـر:

نظرًا لما يُصادفُ الإنسان من مشاكلٍ وهُمومٍ ناتجةٍ عمّا يتعرّض لهُ من مشاكلِ الحياةِ الخاصة والعامة التي يُواجهها فينْفجرُ هذا الأخير مصورًا للآخرين مشكلاتهِ في قوالب شعرية فينطفِئُ غليلهُ ويقِلُ غليّان النّفْسِ الذي بداخِلِهِ.

إنّ الحياةَ قسَتْ على أسامة بن منقذ فتعاقبت عليه سلسلة من الأحزانِ والمصائِب غذتْ جرثومة الحزن التي تسللّتْ مُبكرة إلى نفسِهِ هذهِ النّفسِ الحزينة جفّتْ فيها الأماني، فالشاعر متبرمٌ من الحيّاةِ لا يكادُ يرى خيرًا فيها، إذ أنشد أبياتًا كثيرة، يُصورُ فيها **شقـاءهُ** في الحياة شاكيًا من سُوءِ الحظِّ الـذي يُطاردهُ، فيتوجّه بشكواه إلى الله في هذه الأبيات ساردًا أحوالهُ التي أفنتْها النّوائِب وحوادثُ الدّهرِ، يقول[2]:

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:291.

[2] المصدر نفسه، ص:106.

إلى اللهِ أشكُو عِيشَةً قد تنكدّتْ علـيَّ ودهْـرًا قـدْ ألحّتْ نوائِبُــهُ

تَكَدّر مِنْ بَعْدِ الصّفَـاءِ نمِيــرُهُ وأحْزَنَ من بعْدِ السُّهُولةِ جانِبَهُ

وقصُر كَفِّــي عنْ نوالٍ تُنيّلُــهُ وزَوَالُهَا عَنْ نيّلِ مَا أنَـا طالِبُـهُ

يبدو أنّ **الفقـر** عضّهُ حِينًا من الدهرِ فجعله يقول[1] :

تَوالَى إليّ والسّــائِلُـون وإنَنِّــي لآنِفُ ألاّ يُـدْرك السُّـؤْلُ سَـائِلِي

ولكِـنْ مستُورُهُمْ كَظَاهِرِ حَـالِهـمْ فَمَا حِيلتِي؟ والحظُّ حربُ الفضائِلِ

ولوَ بسَطَتْ أيّدي الحَوادثِ من يديّ تلَقتْـهُمْ قَبـلَ السُّــؤالِ بِنَـائـلِي

7-2-4 شكـوى الهـم:

الحياةُ أرجوحة مرةً تُعْطي ومرةً تمنع، والشاعر " **أسامة بن منقذ** " رسم حالة الهموم حينما توالت عليهِ بصورة جميلة لونها بألوان البيان حين شبه حاله مع همومه بالشّمعة ظاهرها مشرق وداخلها نيران تتلهب هكذا صار حاله عندما تعاقبتْ عليه الهموم، يقول[2]:

أمْسيّتُ مِثْل الشّمْعِ يُشرقُ نُورُهُ والنّــارُ فِي أحْشَـائِهِ تتلـهبُ

حيّـران وجْهِـي للتّجمُلِ ضَاحِكُ طَلِــقٌ وقلْبِــي للهُمُومِ مُقطِبُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:291.

[2] المصدر نفسه، ص:107.

وكتب إلى صدِيقٍ لهُ يشكُوهُ همًّا ضَاق به صدرهُ وأفنى جسمهُ، فصار كالداءِ المزمن الذي ليّس لهُ علاجٌ لولا لطفُ اللهِ لقضى عليهِ هذا الهم، يقول[1] :

يا مَنْ بِهِ سلْوتِي عَنْ كُلِ مُفْتَقِدِ ومنْ مـودّتُهُ أدنّى مِن النّسَـبِ

شكَوتَ همّكَ بِي لمّا اشْتكيّتُ فلا زِلْتَ المُـوقّى من الآلامِ والنّـوبِ

أبّلَ جِسْمِـي من أوصَـــابهُ وأرى قلْبِي من الهَمِّ لاَ ينْفكُ ذَا وَصَبِ

وداؤُهُ بَـاطـنٌ لا طِــبّ يبْلغُــهُ إنْ لمْ يُدارِكهُ لُطفٌ غيرُ مُحْتسَبِ

لقد أثقلتْ الهمُوم كاهل أسامة وزادت حُزنه وضيقه لكنّ استطاع أسامة بالإرادة والشّجاعة التي يمتلكها أن يعيش حينًا من الدّهر مع كل ذلك الكم الهائل من الألم والنّكبات.

7-2-5 شـكـوى مـوت الأحبة:

من مِنا لا يُصدِقُ بحتمية **الموت**، بل الإجابة معروفة كلنا نعلمُ أنّ هذهِ الحقيقة واردة لا مردَ لوقُوعها؛ لأنّها بين يدي الحيِّ القيُوم الذي يُحيِّ ويُمِيّتُ والذي قال في محكمِ تنزيلهِ: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾** ﴾[2]، **وقـال أيضًـا:** ﴿﴿٣٤﴾ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾[3]، فكأنّ الحياة الدّنيا جسرُ عبورٍ إلى الحياة الآخرة، فالموتُ حقيقةٌ بشعة خاصةً موتُ الأقرباء والأحبة فهي حدثٌ يهُزُ القلوب ويُؤلمُها.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:161.

[2] سورة الأعراف، الآية: 34.

[3] سورة آل عمران، الآية: 184.

وحين ابتُليّ " **أسامة بن منقذ** " بالموتِ في أبنائهِ وأقاربهِ صدحتْ قريحتُهُ وجادتْ بما تجودُ به قريحة أيّ شاعر سكن قلبهُ الحزن حيّث خصص بابًا كاملاً **لرثاءِ** الأحبةِ وخصَّ جزءًا كبيرًا منه لرثاء ابنهِ " **عتيق** "، فلا جرَم أنّه لم يتحمل خسارة ابنه لذلك مضى يشكُو مدى حُزنِهِ عليه، لاسيّما أنّهُ فقدهُ وهو كبيرٌ قد قارب سنّ الثّمانين فلا خلف بعدهُ، لذلك نجدهُ يرفعُ شكواه لله تعالى يبُثُّهُ حزنه والأضرار المعنوية التي حققتها هذه الفاجعة الأليمة، فيقول[1]:

إلى اللهِ أشكُو رَوعَتِي ورَزِيّتِي وحُرقةَ أحْشَائِي لِفَقْدِ أبِي بَكْرِ

فَلا نَاظِرِي منهُ وكَان سَوادَهُ ولمْ يخْلُ من حزنِي ووجّدِي بهِ صَدْرِي

خَشِيّتُ عليهِ اليُتمَ لكنّ ثكْلَهُ ولَوعَتِهُ لَمْ يخْطُرَا لِي عَلَى فِكْرِ

ولمّا وصلَهُ كتابٌ **بموتِ** صديقٍ لهُ عزيز عليهِ أخذ يشكُو حزنهُ بقوله[2]:

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إخْوانِي وفُرقتِهِمْ غدرٌ وأجملُ بِي مِنْ صبْرِي الجزعُ

وقَاسَمَتْهُمْ نوًى شَطّتْ بِهِمْ وردَى فالحيُّ كالمَيّتُ مَا في قربِهِ طمَعُ

7-2-6 شكوى الدّهر:

يقول الله تعالى: ﴿۞ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝﴾[3]، ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لا تسُبُوا فاعِلَ هذهِ الأشياءِ فإنّكُمْ إذا سببتُمُوهُمْ وقعَ السَّبُ على اللهِ تعالى لأنّهُ الفعّالُ**

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:347.

[2] المصدر نفسه ، ص:351.

[3] سورة الجاثية، الآية:23،24.

لِما يُرِيدُ لا الدّهْرُ»[1]، لكنّ الشُعراء يُبالِغُون في ذكرهِ وذمِّهِ ويُكثرون الشكوى اتجاههُ، ولعلّ الشاعر أسامة بن منقذ خيرُ دليلٍ على ذلك حين تكلّم في هذه الأبيات مُخاطبًا ومُعاتِبًا الدهر كأنّهُ كائنٌ بشري أساء إليه ولم يُنْصِفهُ، يقول له[2]:

يَـا دَهْـرَ مَـالَـكَ لا يصُـدُ كَ عَـنْ إسَـاءَتِـي العِـتَـابُ

أمْرضْـتَ مـن أهْـوى ويَـأْ بِـى أنْ أُمْـرِضَـهُ الحِجَـابُ

ولمّا تغرّبَ أسامة عن أهلهِ ووطنهِ أصبح كالسَجِينِ في ديارِ الغربة خاصة أن عيّناهُ لم تكتحِلُ برُؤيتهم، فصار الذّبحُ بالنِسبةِ لهُ أهونُ من عذابِ الغُربة، ويُحمِّلُ الشاعر **الدّهر** كلّ ما أصابهُ في قوله[3]:

عَلامَ يا دَهْرُ بالعُدوانِ تحْبِـسُنِي في غيرِ جِنْسِي ولمْ أفقِدْ ولمْ أغِـبْ

هَلاّ بِأدنَى العذّابِين اقْتنَعْتَ لنَـا فَالـذّبـحُ أروعُ من تعْذِيبِ مُغْتـربْ

وحين تنكدّتْ عيشةُ " **أسامة بن منقذ** " وأفنتْ نوائِبُ الدّهر عودهُ وقصرتْ يدهُ عن نيلِ ما تمنّاهُ، اتجه إلى الله سبحانهُ وتعالى ورفع شكواهُ إليه لعلّهُ ينظُر لأمرهِ يقول[4]:

إلى اللهِ أشْكُو عِيّشَةً قدْ تَنكّدَتْ عَلَـيّ ودهْـرًا قـدْ ألحَـتْ نَـوائِبُـهْ

تكدّر من بعْدِ الصّفَـاءِ نمِيّرهُ وأحزنَ من بعْدِ السُّهُولـةِ جَـانِبُـهْ

---

[1] عبد القادر الجيلاني: الفتح الرّباني والفيّض الرّحمانِي،ج1، دار الرّيان للتراث، للتراث شارع الأهرام، القاهرة، مصر، (د، ط)،(د، ت)، ص:243.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:105.

[3] المصدر نفسه، ص:106.

[4] المصدر نفسه، ص:106.

وقَصرُ كَفِيّ عن نوالٍ تُنِيلُــهُ وزَوالِهَا عَنْ نيّلِ مَـا أنَا طَـالِبُــهْ

ويُحمِّل أسامة **الدّهر** مرة أخرى روعة الفراقِ ولوعة الاشتياق فكأنّ هذا **الدّهر** ساخِطٌ عليهِ، يقول[1]:

ولستُ أشكُو اصّطِبارِي عِندَ نائبةٍ ولاَ فُــــؤادِي بخفّــاقٍ ولاَ قــلِــــقِ

وإنّمَــا أشْتكِـي دَهْــرًا يُكَلـفُنِــي مَا لاَ أُطِيّــقُ فِعالَ القــادِرِ الحنِــــقِ

يُروِعُنِي كُلّ يَـومٍ بالفِــراقِ ومَـا بَقَاءُ صَبْرِي مَعَ الرّوعَـاتِ والفَــرِقِ

كما كان لِتبددِ ثرواتِهِ ونهبِها عقِبَ الحوادثِ التي جرتْ بعد مقْتلِ " **الظّافِر**" وغرقِ بعْضها في البحرِ عند خروجِ أسرتِهِ من مصر أثرُهُ البالغ من نفسهِ وأثرِهِ القوي في شعرهِ شكَا ذلك إلى الملِكِ الصّالحِ في قوله[2]:

أنَا أشكُو إليّك دهرًا لَحَا* عُــو دِي وأعْـراهُ فهـو يَبْــــسٌ سـليّــبُ

وخُطُوبًا رمَى بِهَا حَادثُ الـدّ هــــرِ سَــوادِي ** **وكلُّـهُــنّ مُصيّــبُ**

7-2-7 شكـــــوى الـــزّمـــــان:

مضتْ قصائِدُ أسامة تحْمِلُ الثّناء على الملك الصالح، فكان الصالح يبرهُ ويُرسِلُ إليهِ خيرهُ ولم يكُنْ أسامة يجدُ حرجًا في سُؤالِهِ ولا الشكوى إليهِ[3]، فكتب إليّهِ مرة يشكوهُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:139.

[2] المصدر نفسه، ص:213.

*لحا: قشّره. **السّوادي: الشّخص. (ينظر: المصدر نفسه، ص:213).

[3] المصدر نفسه، ص:30.

جُور **الزّمانِ** الذي لحتْ نوائِبهُ عُودهُ وشتت شمْلهُ المُؤتلفَ، يطلُــب منهُ المســاعـدة والعدل والخلف، يقول[1]:

أشْكُو زمانًا قَضَى بالجُورِ فِيَّ ولمْ يَزَلْ يجُورُ عَلَى مِثْلِي ويعْتَسِـفُ

لحَّتْ نَوائِبُهُ عُـودِي وأنفَــدَ مَــوْ جُودِي وشَتَتَ شَمْلِي وهُو مُؤتلِـفُ

وقَـدْ دعَـوتُكَ مظْلُـومًا ومُرتجِيًــا وفِي يـَدَيّكَ الغِنَــى والعَــدلُ والخلـفُ

يبدو أن الزّمان أثقل كاهل الشّاعر حتى صار لا يشتكي من الحوادث والخطوب بقدرِ ما يشْتكِي من جورِ الزّمان، يقول [2]:

أصبَحْتُ لا أشكُو الخُطُوبَ وإنّمَا أَشْكُـو زَمَـانًـا لَـمْ يَـدعْ لِـي مُشْتَكَـى

أفْنَى أخِــلاَئِي وأهْـلَ مَــوَدتِي وأبَــادَ إخــوانَ الصّفَــاءِ وأهْلَكَــا

الشّاعر " **أسامة بن منقذ** " من شدة ما عاناهُ وكابدهُ في حياتهِ تعبتْ نفسيتهُ كثيرًا، فصار يُلقِي باللّوم والعتاب على الدّهرِ والزّمانِ ولعلّ هذه أحد أساليب الشاعر المبتكرة في التّنفيس عن وجعهِ وغضبهِ.

يعد الشاعر " **أسامة بن منقذ** " شاعر الشكوى بلا منازع؛ لأنّ المحركات الأساسية لشكواه ترجع إلى الظروف الاجتماعية والنفسية والطبيعية والسياسية التي عاشها دون انقطاع.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:220.

[2] محمد بن مكرم، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن العساكر ، ج4، ص: 259.

8- الشّيخوخــة:

تمهيــد:

تُشكِّلُ مرحلتا الشباب والمشيب في حياة الإنسان ما يُسمى بالثنائية الضديّة؛ فحياة الإنسان في مرحلة شبابه تختلف تمامًا عن حياته في مرحلة شيخوخته، ففي الأولى يكون بكامل طاقتِهِ الجسمية والعقلية، ويكُونُ مقبلاً على الحياة ساعِيًا لتحقيق أهدافٍ سعى لها وسطّرها للوصول إلى المتعة والبهجة والسّعادة، ولكن سرعان ما يتحولُ هذا التّخطيط إلى ذكريات حين يُداهِمُهُ الهرم والمشيب، والقرآن الكريم صَوّر هذه الأطوار والمراحل خير تصوير وذلك في **قوله تعالى:** ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [1].

يلخصُ أسامة شبابه وشجاعته في مقطوعة شعرية يفخر فيها ببطولاته وأمجاده راصِدًا كُلّ مراحل حياته من صحةٍ وقوةٍ وبسالةٍ وخفةٍ وبطولة في هذه الأبيات[2]:

لِخَمْـسِ عَشّـرةَ نَـازلتُ الكُمـــاةَ إلى أن شِبْتُ فِيهَا وخيرُ الخَيلِ مَا قرحَـا*

أخُوضُهَـــا كَشِهَـابِ القَـذّفِ مُبْتسِمًا طَلِقِ المُحيّا ووجْهُ المَوتِ قدْ كلحَـا

بِصَـارِمٍ مِـــن رآهُ فِـــي قِتَـــامٍ وغًـ ى أُقري بهِ الهام ظنّ البرقَ قَدْ لمحَـا**

أغْدُو لِنَارِ الوغَى فِي الحَرْبِ إنْ خَمَدتْ بِالبِيضِ في البِيضِ والهَاماتِ مُقْتَدحَا

---

[1] سورة الرّوم، الآية :54.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:259.

* قرحا: قرح الفرس انتهت أسنانه. **الهام: الرأس .

فَسَلْ كُماةً الوغَـى عنِّي لِتعْلَمَ كَـمْ كَرِبٍ كَشَفتْ وكمْ ضِيقٍ بِي انْفسحَـا

طالما تكررت سنُ السّبْعين في شعر أسامة وهذا طبيعي؛ لأنّها السِن التي أخذتْ منه كلّ شيءٍ جميل الشباب وصحة البدن والسّمع والبصر والحركة حتى أنه صار يتثاقل في خطواته ويعجز عن النهوض إذا أراد، باختصار الشاعر تمنى لو أنّ الله رزقه ميتة الشهداء في تلك الحروب التي شهدها ولا الوصول لهذه الحالة المزرية يقول[1]:

لَمْ تَتْرُكْ السّبْعُـونَ فِي إقْبالِهَـا مِنِّي سِوى مَالاً عَليهِ مُعَـولُ

حَطّمَتْ قُوايّ وأوْهَنَتْ مِنْ نَهْضَتِي وكَذَا بِمَنْ طَلبَ السّلاَمَـةَ تفْعَـلُ

كَمْ شهِـدتُ مِنَ الحُـرُوبِ فَليّتنِي فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبلِ نَكْسِي أُقْتَـلُ

والقَتْلُ أحْسَنُ بالفَتَى مِنْ قَبْلِ أنْ يَبْلَـى ويَفْنِيـهِ الـزّمَـانُ وأجمَـلُ

وإذا صار جسمُ المرءِ ضعيفًا باليًا ودبّ فيه الضّعفُ والوهن من بعدِ قوةٍ، وملّ تكاليف الحياة وطُولها، صار يرى في الموت أكبر راحة وأمنًا من التعب والشّقاء الذي سيلحقُهُ حين يصيبُ جسمه الهزال والشيخوخة، يقول أسامة[2]:

إذَا عَادَ ظَهرُ المَرءِ كَالقَوسِ والعَصَا لهُ حينَ يمْشِي وهي تَقْدُمُهُ وتَـرْ

ومَـلّ تكَـالـيفَ الحيـاةِ وطُـولَهَـا وأضْعَفَتـهُ مِنْ بَعدِ قوتِـهِ الكِبـرْ

فإنّ لهُ في المَـوتِ أعْظَـمِ راحَـةٍ وأمنًا من الموتِ الذي كان يُنْتظَـرْ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:320،321.

[2] المصدر نفسه، ص:319.

حين يدبُ الضعف في جسمِ الإنسان يجعله بطيئًا في السير والحراك، فتتثاقل خطواته وتكثر عثراته ويصير مشيه كالأسير المقيّد بالسّلاسلِ، يصور ذلك أسامة في قوله[1]:

إنْ ضَـعُفَـتْ عَـنْ حمْـلِ ثِقْلِـــي ورابَنِـي عِـثارُهَـا فِـي السّـهْـلِ

أمْشِي كَمَا يمْشِي الوجِي في الوحَلِ مَشْـيَ الأَسِـيـرِ مُثْقَـلاً بالكبْـلِ

فَلِلْعَصَـا عِنْـدِي عُـــذْرُ المُبْلِـي إنْ عَجزتْ أو ضَعُفَتْ عَنْ حَمْـلِي

ويرعوي " **أسامة بن منقذ** "عن الحياة نتيجة إحساسه بألم الضعف لما عجز عن آداءِ فريضة الصلاة التي هي عمادُ الدين، يقول[2]:

تَنَاسَتْنِي الآجَالُ حتّى كَـأنَنِّي رَذِيّـةُ*سَفَـرٍ بِالفُـلاةِ حَسِيـرُ**

ولمّا تدْعُ مِنِّي الثّمانُونَ مِنّـةً كَـأنّنِـي إذَا رُمْـتُ القِيّـام كَسِيـرُ

أُؤَدِي صَلاَتِي قَاعِدًا وسُجودُهَا عَلَـيَّ إذَا رُمْـتُ السُّـجُـودَ عَسِيـرُ

وقدْ أنْذَرتْنِي هِـذِهِ الحَـال أننّي دنَـتْ رحْلَـةٌ مِنِّـي وحَـانَ مسِيـرُ

في ظل الأحزان والمآسي التي ترادفت على الشاعر "**أسامة بن منقذ**" والشّيخوخة التي داهمته مبكرة لم يبق له فسحة أملٍ في الحياة، فلخص مسيرة حياته وشيخوخته في هذه الأبيات الشاكية ساردًا كُلّ ماحلّ به، فقد علتْ سنهُ، ووهن عظمه واشتعل رأسه

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:322.

*الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة . ** الرذيّة: النّاقة التي أنهكتها السّفر.(ينظر: المصدر نفسه، ص:322).

[2] المصدر نفسه، ص:319.

شيبًا، وضعف بصره، وثقل سمعه وخطاه، وأصابهُ الأرقُ فقلّ نومهُ وكثر وجعُهُ فصار يتمنّى الموت، مستنتجا من رحلةِ شقائهِ أنّ الإنسان مهما طال بِه العمر سيضعف ويصير كالطفل الصغير، أو كشكل الهلال وحجمه في بداية الشهر وفي نهايته لا فرق بينهم، يقولُ أسامة [1]:

لمّا بلغتُ مِنَ الحَياةِ إلَى مَدى قَــدْ كُــنْــتُ أهْــــواهُ تمَنيّتُ الــرّدى

لمْ يبقِ طُولُ العمْرِ منِّي مِنّةً أُلْقِي بهَــا صــرفَ الــزّمانِ إذا اعْتَـدَى

ضَعَفُتْ قُواي وخَانَنِي الثِّقَتَان مِنْ بَصرِي وسَمْعِي حِينَ شَارفتُ المَـدَى

فَإذا نَـهَضتُ حسِبْتُ أنِّي حامِلٌ جَــبَــلاً وأشِــي إنْ مَـشَـيّـتُ مُـقيـدَا

وأدبُ في كَفِي العَصَا وعهْدتُهَا فِي الـحَـربِ تحمِـلُ أسـمـرًا ومُــهنـــدَا

وأبيّتُ في لينِ المِهَادِ مَشّهَـدَا قَــلِقًــا كَـأنَنِــي افْتــرشّــتُ الجُـلـمـدَا

عاش أسامة بن منقذ حياة طويلة ومريرة، ملأت الأحزان جانبًا كبيرًا من حياتِهِ وعتّمتهُ حتى صار ساخطًا من طول عُمرهِ ويتمنّى الموت.

[1] أسامة بن منقذ: الديوان، ص:260.

9- الزهـــــد:

تمهيـد:

لمّا كان شعر الزُّهد يتوجّه إلى اللهِ سبحانه وتعالى حبًّا وشوقًا إليّه ورجاءً وطمعًا في رحمتِهِ، وحول الآخرة وما يرتبطُ بها من الموتِ والقبر والحساب والعقاب، وما دام الشاعر كائنًا اجتماعيًا له علاقاتهُ وروابطُهُ مع الآخرين فهو يعيش الحياة بكل تناقُضاتها، والشّاعر" **أسامة بن منقذ** " قد تعرّضَ في حياته لنكبات متوالية خلقت أثرًا واضحًا في نفسيته وقلبت له موازين حياته، فلا غرو إن زهد الشاعر في هذه الدنيا.

ظهر لون الزهد في بعض قصائد أسامة بن منقذ يحملُ أفكارًا ونظرات في القضايا الإنسانية وفي الدنيا والحياة والموت والبعث والحساب وغيرها من القيم الرُّوحية والمشكلات الاجتماعية والإنسانية، لذلك كان حريٌ بنا النظر في هذه الظاهرة ورصدها.

9-1 الـزهــد في اللغـة والاصطـلاح:

9-1-1 الـزّهــد لغـــة:

ورد في المعجم **الصّوفي:** أنّ أصل حروف كلمة **زهد** الزّاء والهاء والدّال تدلُ على قلّة الشيء [1]، ويُقالُ زهد في الدنيا أي ترك حلالها مخافة حسابِهِ وترك حرامها مخافة

[1] سعاد الحكيم: المعجم الصّوفي(الحكمة في حدود الكلمة)، دار إحياء دندرة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص:552.

عقابهِ، وتَزَهَّدَ: أي صار زاهدًا، والزاهد " **العَابِد** "[1]، وورد في **الصحاح**: "الزهدُ خلاف الرّغبة في الشيء"[2].

9-1-2 الزّهد اصطلاحًا:

عرّفه **ابن الأنباري** هو: " الانصراف عن الشيء احْتقارًا له وتصغيرًا لشأنِهِ للاستغناء عنه بخيرٍ منه " [3]، أمّا **أبو سعيد بن الأعرابي** فعرفه: " وهذا على قيل في الزهدِ لأن يكون همُهُ همًا واحدًا لله عزّ وجل وحده ليس ذكر دنيا ولا آخرة وهو غاية الزهد " [4]، في حين عرّفه **أبو سليمان الداراني**:" بأنه ترك ما يشغلُ عن الله " [5].

لقد أجمعت هذه التعاريف على أن الزهد هو الإعراض عن الدنيا وتركها وعدم الرُّكُون إليها طمعًا في الآخرة ورغبةً في ثواب الله وثقةً بما عنده، فلا يفرح بشيء منها أقبل ولا يحزن على شيءٍ منها أدبر.

9-2 الـزهـــد في شعـــر أسـامــة بن منقـــذ:

كانت حياة أسامة بن منقذ إثر نفيه من ربوع وطنه " **شيزر**" شاقة وأليمة؛ فقد عانى الكثير ليُثبِتَ وجُوده بعيدًا عن وطنه وأهله، لكن الأعداء والحساد كانوا يَحُولُونَ دون تحقيق آماله وأحلامه فقد تعرض في غربته للعديد من الأزمات والنّكبات؛ حيث ظلّ مُشردًا بين حواضر الشام ومصر وخَطفَ الموتُ منه والده وأحد أبنائه قرّة عينهِ

---

[1] ينظر: أبو الفداء بن كثير: البداية والنهاية، تح: علي شيري، ج2، دار إحياء التراث العربي، (د، ب)، ط1، 1408هـ/ 1988م، ص:03،08.

[2] محمد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص:481.

[3] عبد الله محمد البغدادي: الزهد، دار ابن الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ب)، ط1، 1999م، ص:05.

[4] أحمد البيهقي: الزهد الكبير، تح: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص:24.

[5] ابن القيم جوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبُدُ وإياك نستعين، ص:1362.

وأحد إخوته كما كان لضَياع ماله وكتبهُ كبير الجلل، إلى أن قضى الزّلزال على أهله وأبناء عمومته بموطنه "**شيزر**" ولا شك أنّ الظُّروف الصّعبة التي عاشها الشّاعر أسامة والنّكبات المتوالية التي جابهها أفقدتهُ طعم الحياة وقلبتها رأسًا على عقب، بحيث صارت الحياة بالنسبة له لا معنى لها مادام أهله ومن يُحب ليسُوا فيها فبقِي وحيدًا يتجرّعُ مرارات الوحدة ولذلك رغم ما ناله من عزٍّ ومجدٍ ورفعة في مصر وغيرها إلاّ أنّهُ زهد في هذه الدنيا وتركها ولم يعد يرغبُ فيها.

وهذا ما لمسناهُ بعد اسْتِقرائِنَا لنصوص الزهد في ديوان أسامة، فتجلت لنا مضامين وموضوعات **زهديــة** بارزة في شعره وسنعرضُ لها بالشرح والتحليل فيما سيأتي ذكـره.

9-2-1 التحذير من الدنيا والدعوة إلى تركها:

ولأنّ العمرِ مهما طَال قصيـرٌ يُحذّر أسامة من الاغترار بالدنيا بتوظيفه أسلوب النّهي والتحذير وذلك في قوله (**احذر، ولا تغتر**).

فيقول [1]:

احْــذَرْ مِــنْ الـدّنْيـا ولاَ تَغْتَــرْ بالعُمْــرِ القَصِيــرِ

وانْظُــرْ إلى آثَــارِ مَــنْ صَــرَعَتْــهُ مِنّــا بالغُــرُورِ

ويقولُ زاهدًا الدنيا وملذّاتِها مُوجِهًا وناهيًا من يتأسف على ما كان مرجوًا وفات دون أن يتحقق، كما يُوصي بالصّبر على المكاره؛ لأنّه لا منجَى منها ويختم بحكمة ونصيحة مفادها أنّ الدنيا وما فيها كظلٍ زائلٍ والعيش فيها كحلم النّائم[2]:

---

[1] أسامة بن منقذ : ديوانه، ص:331.

[2] المصدر نفسه، ص:310.

لاَ تَـأسَفَـنَّ لِذاهِـبٍ أو فَـائِـتٍ يُرْجَـى ولاَ تَتبعُهُ زفْـرةُ نَـادِمِ

وأصْبُر على الحدثانِ صبرَ مسلِمٍ متيقِـنٍ أنّ ليس مِنْهُ بسـالِمِ

فَغُضَـــارةُ الـدُّنيَـا كَـظِـلٍّ زائِـلٍ والعيّشِ فيهَـا مِثلُ حُلم النّائِـمِ

ثم يُعطِي مثالاً آخرًا ليُؤكد حقيقة هذه الدنيا التي آخرها الرّحيل وأنّ كلّ من عمّر وشاد وسكن القصُور ففي النهاية رحل كغيره من البشر وسكن القبور هذا حالها فالموتُ لا يختار ولا يميّز بل هو حقُ الجميع [1]:

عَمَّـــروا وشَـــادُوا مَـــا ترا هُـ: مِنْ المنَازِلِ والقُصُـــــورِ

وتحوّلُـــوا مِنْ بعدِ سُكْـــــــ نَـاهَـا إلـى سَكَـنِ القُبُـورِ

9-2-2 ذمّ الدنيـا وذم السّعـي وراء ملذاتـهـا:

يبدو أن الشاعر " **أسامة بن منقذ** " أنهكته الدنيا بما حملته له من همومٍ وأحزانٍ، فقد عجز وتعب منها فصار لا يهتم بها؛ لأنّه لم ينل منها ما يوّد بل على العكس شقا فيها كثيرًا، لذلك توجه للمولى عزّ وجلّ بالتّضرعِ والتذلل والدعاء علّهُ يُساعده ويُقدِّرُهُ على تركها فهو من يهدي سُبل الرّشاد[2]:

عَجِزْتُ عَنْ الدُّنيا فَمَا لِي مَنْ يدٍ بهَا ولِيَ الأيـدُ المساعـدُ واليّـدُ

ولكنّنِي لَـمْ أُسْـلُ عَنْهَا فأرعَـويّ ولا نِلْـتُ منهَـا مَـا أوَدُّ وأقْصِـدُ

شَقِيتُ بمَا أحْـــرَزتُهُ مِنْ فضائِـلٍ بأيّسرِهَـا يحْظَى الشّقِيُّ ويَسْعَـدُ

وفِي النّفْسِ إنْ نَاجَيْتُها باطّراحِهَا وبالـزّهْـدِ فيهَـا فَتْـرةٌ وتَـــردَدُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:331.

[2] المصدر نفسه، ص:328.

فيَا ربُّ أَلْهِمْهَا الرّشَـادَ بتركِـهَـا فإنّكَ تهْـدِي مَنْ تَشَـاءُ وتُـرشِـدُ

ويستّغربُ الشاعرُ من تعلُقِ بعض البشر بالدنيا رغم تقلُباتها وفتكِها بمن كان يظُنُ الخلود فيها، فكم نسفتْ جبلاً وكم حوّلتْ من غنِي إلى فقيرٍ معدمٍ وكم صيّرت أبا أولادٍ إلى وحيدٍ مفردٍ فهي تتلون وتتأرجح ككفتي الميزان لذلك يجب الحذر منها؛ لأنّها ظلٌ زائلٌ ولكن رغم ذلك إلا أنّ الكلُ يجري وراءهُ جهـلاً وطمعًا [1]:

أمَّـــا رأوْا تقلّـبَ الدُّنيـا بِنَـــا وَفَتْكَـــهَـــا بمَـــنْ إليها أخْلَـدَا*

كَمْ نَسَفَتْ أيْدِي الخُطوبِ جَبَلاً وصَيّـــرتْ لُجَـــةَ بَحْـــرٍ ثَمَدَا**

وَكَمْ أعَـادتْ ثَـــراءٍ مُعْدَمًـــا وذَا قَـبِـيـــلٍ وعَـديـدٍ مُفـردَا

فمَا رأيـتُ غـيـرَ ظِـلٍّ زائِـلٍ كُـلٌ يَمُـدُ نَحْـوَهُ جَهْلاً يَـدَا

ويضّجر " **أسامة بن منقذ** " من الدنيا؛ لأنّهُ لا سلامة ولا عافية من أذاها ومصائبِها فهي تخدع البشر بأباطيل الكذب وتُزيّنُ لهم ما هو في الحقيقة شَرٌ لَهُمْ فيتّبِعُونَها ويسِيرونَ وراء هذا المزيف الذي هو سوءٌ في الحقيقة وهي تأمرُ بالمعاصي والذنوب وبذلك تُؤدي إلى طريق النّار التي ويح من يصلى لظاها فلا يفلحُ فيها إلاّ من زهدها وعصى أوامرها وترك وعودها الكاذبة والملغمة وأتى الله بقلبٍ سليمٍ ثم في الختام يتبرم الشاعر ويتحسر على الانسياب وراءها والاشتغال بها عن فعل الخير والطّاعات التي هي أساسُ وجودنا والواجب الأساسي الذي كلّفنا الله بتأديته، فيقول متأسِفًا متذمرًا على التفريط في الآخرة التي هي دار القرار [2]:

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:329.

*أخلدا: مـال. **الثمد: الماء القليل. (ينظر: المصدر نفسه، ص:329).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص: 342،343.

أُفٍّ للدُّنيا فما أوبَا*جَنَاهَا لَيــسَ يَخْلُو مَنْ رآهَا مِنْ آذاهَــا
خدعَتْنَـا بأبَـاطِيلِ المُنَـى فارتَكَسْنَـا**في هَـوانَـا لِهـَواهَــا
واسْتَمَالتْنَـا بِوعْدٍ كَـاذبٍ فتمـَسّكْنَـا بِـوَاهٍ***مِـنْ عُــرّاهَـا
وعَدَتْنَـا باللُّهَـى لاَهِيــةً فَـاشْتَـغَلْنَـا بتقَـاضِينَـا لُهَــاهَـا
أوردتْنَا النّار لاَ مَأْوى لنَا مِنْ لَظَاهَا ويّحَ مَنْ يَصلَـى لَظَاهَــا
أمرتَنَا بالمَعَـاصِي فَـإذا وفّـقَ اللّـهُ أمــرأٌ مِنّــا عَصَــاهَــا
آهٍ مِنْ تفْرِيطِنَا شُغْلاً بِهَا عنْ فِعَـالِ الخيّـرِ والطّــاعَــةِ آهَــا

9-2-3 الــدعوة إلــى تركِ الــدنيا والصبر على الابتــلاء:

لذلك ينهى الشاعر غيره عن الاغتباط بسرور الدنيا؛ لأنّ نعيمها وجحيمها زائلٌ لا يدوم؛ ولأنّ كل ما فيه الأنامُ آخره فرشُ التُرابِ ونُزلُ القبور، والدّنيا بما فيها من أفراحٍ وأتراحٍ لا تدومُ أخذ أسامة يحثُ على عدم التعلق بها في قوله [1]:

لا تَغْتَبِـطْ بسرورِ دُنْـــ ـيّا مَــا يَــدُومُ بِهَــا سُــرُورُ
وكــذاكَ لا تجْــزَعْ لِحَــا دِثَـــةٍ تَضِيـــقُ بِهَــا الصُّــدُورُ
فَجميعُ مَــا فيــه الأنّــا مُ أليّــسَ آخِـــرَهُ القُبـــورُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:331.

*أوبا: وبثْ الأرض كثر فيها المرض. **ارتكس: انتكس. ***بواهٍ: تافه.(ينظر: المصدر نفسه، ص:331).

9-2-4 الثّقة بالله تعالى والحث على الصبر:

أصاب أسامة بن منقذ نصيبًا من الثقافة الدينية التي تتجلى أكثر ما تتجلى في الدعوة إلى الصّبر والتَفاؤل بأنّ فرج الله ولطفه قريبٌ وأنّهُ سبحانه من يُنجِّي الغريق من الهلاكِ فيدعو إلى ترك اليأس والقُنُوطِ والتوجه إلى الله تعالى والثقة به[1]:

يا آلِفَ الهَـمِّ لا تَقْنَـط فأيّـأسُ مَـا تكُـونُ يأتيكَ لُطْـفُ اللهِ بالفَـرَجِ

ثِقْ بالذي يَسْمَعُ النّجوى ويُنْجي من الـ بَلْوى ويسْتَنْقِذُ الغَرَقَى من اللُّجَجِ

وفي دعوةٍ أخرى للصبر عن المكاره وعدم الجزع عند الأهوال يعطي الشاعر مثالاً من الواقع المُعاش مُمِثلاً في صبر الجنين في بطن أمِّه، هذا الصبر الذي أفضى به إلى النّور يقول مصورًا ذلك في هذين البيتين[2]:

اصْبِـرِ على ما كَرِهْتَ تحْظَ بِمَـا تَهْـوَى فَمَـا جَـازِعٌ بِمَـعّـذُورِ

إنْ اصْطِبارَ الجنينِ في ظُلَـمِ الـ أحْشَـاءِ أفْضَـى بِـهِ إلَى النُّـورِ

ويقولُ حاثًا على الصبر أيضًا مُمثلاً بمثالٍ آخرٍ بسيطٍ على جزاء الصّابر وهو اصّطِبارِ ابنة العُنقُودِ (**العنب**)، حين تُوضع في براميل ضيقة ومظلمة أفضى بها ذلك الصبر لتكون لذّةً للشّاربين، والإنسان الصابر حتمًا سيدركه فرج الله، يقول[3]:

اِصْبِرْ إذا نَابَ خَطْبٌ وانْتظِرْ فرجًا يأتِي بِهِ اللهُ بعدَ الرّيْثِ واليَـأسِ

إنّ اصّطِبارَ ابْنَةَ العُنْقُودِ إذْ حُبِسَتْ فِي ظُلْمَةِ القارِ أدّاها إلى الطَّاسِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:296.

[2] المصدر نفسه، ص:301.

[3] المصدر نفسه، ص:302.

ويُؤكِدُ الشاعرُ على الصّبر؛ لأنّ ما يأتي به الدهر من حوادثٍ لا محالة زائِلٌ فلا داعِي للجزع، يقول[1]:

إذا مَا عَرا خَطْبٌ من الدّهْرِ فاصْطَبِرْ فإنّ اللّيالِي بالخُطوب حَوامِلُ

فكلُّ الذي يــأتي بِه الــدّهْرُ زائِــلٌ سَريعًا فلا تجزع لِمَا هو زائلُ

والشاعر أسامة مِمن يُؤمِنون بالقضاءِ والقدر، فيرى أنّ الرّزق ممدودٌ لامحدودٌ بل مَقْسُومٌ لا حيلة في تقسيمهِ وما على الإنسان إلاّ أنْ يُفوِّض أمرهُ لله فهو خيرُ الرازقين وأقسطهم[2]:

فَــوّض الأمْــــر راضِيًــــا جَــفّ بــالكَــائِـنِ القَلَــمْ

ليّــسَ فِـي الــرّزقِ حِيلــةٌ إنّمَــا الــرّزقُ بـالقَـسَــمْ

دلّ رزقُ الضّــعـيفِ وهُــو كَـلَـحْمٍ عَــلَـى وضَــمْ

أنّ للخَــلْــقِ خَــالِـقًــا لاَ مَــردّ لِمَــا حَكَــمْ

وبما أنّ الشاعر " **أسامة بن منقذ** " مُتشبع رُوحيًا بالإيمان والوازع الديني عندهُ لا يزال حيٌّ ويقِظٌ، فنجدهُ يُقدِمُ باقةً من النُصحِ والإرشاد للفئة التي تعرّضت لأهوال الحزن ولنوائبِ الدهر فيُوصي بالصبر على الأموات، فالإنسان لن يَرُدَ فقيدهُ بالبكاء عليه لأنّه لا حيلة له في دفع الموتِ فلو كانت سِهام الموت تدفعُ أو تُرَدُ لردهَا داوود عليه السلام أو ابنهُ سليمان بمُلكهِ والحشدِ من جُندِهِ، فالموت عدلٌ تساوى فيه الخلقُ فليس هناك فرق بين القوي والضّعيف إلاّ بالصّبر[3]:

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:306.

[2] المصدر نفسه، ص:340.

[3] المصدر نفسه، ص: 329،330.

مَثُوبَةُ الفَـــاقِـدِ عن فقْـدِهِ بِـصَبْـرِهِ أنْـفَـعُ مِـنْ وجـدِهِ

يَبْكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عليــهِ فَهَـلْ يَطْمَعُ في التّخلِيدِ مِنْ بَعْـدِهِ

ما حيلَةُ النّاسِ وَهَلْ مِنْ يـدٍ لَـهُـمْ بِدفْـعِ المَـوتِ أوصَدِّهِ

وُرُودُهُ لابُـدّ مِنْــهُ فَلَــمْ تُنْكِرُ مَــا لابُدُ مِــن وِرْدِهِ

سِهَامُهُ لَمْ يسْتَــطِعْ ردّهَــا دَاودُ بالمُحَكَـمِ مِنْ سَــرْدِهِ

ولاَ سُليمَــانُ ابْنُــهُ ردّهَــا بمُلْكِهِ والحشَـدِ مـنْ جُنْـدِهِ

عَدْلٌ تساوى الخلقُ فيه فَمَا يُمَيَّزُ المَـالِكُ عـنْ عبْــدِهِ

تجمَعُنَا الأرض فَكُل امْــرئٍ فِي لحدِهِ كَالطِّفـلِ فِي مَهْـدِهِ

ويُذّكِر" **أسامة بن منقذ** " بالعودة إلى الله والثّقةِ به لأنّهُ لا مفرَّ منهُ إلاّ إليه، كما يُوصي أيضًا بالتحلِي بالصّبر فللصّابرين الأجر والثواب والأمن من العذاب والفوز في خُلْدِ الرّحمن وذلك وعدُ الله والله لا يخلفُ الميعاد والذي جاء في محكمِ تنزيله **قوله تعالى:** ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١١ ﴾ [1]، **وقال أيضًا:** ﴿ ۝١٢ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٣ ﴾ [2]، فذلك وعدُ الله سبحانه وتعالى فعلينا العودة إليه دومًا[3]:

فَارْجِعْ إلَى اللهِ وثِقْ بالذِي وافَاكَ فِي الصّادِقِ مِنْ وَعْدِهِ

---

[1] سورة هود، الآية: 10،11.

[2] سورة الإنسان، الآية:11،12.

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:330.

للصّابِرينَ الأجــرُ والأمـنُ مِنْ عـَذابِــهِ والفــَوزُ فِــي خُلْــدِهِ

وإذا واجه أسامة مالا يطيقُ دفعهُ من ألمٍ وضُرٍ نادى الذي ناداهُ موسى لدفع كيدِ فرعون عنه، والذي ناداه يونس عليه السّلام واثقًا بأنّه سيُنجِّيهِ من بطن الحوت ومن لُجَجِ البحر وعن ثقتِهِ بالله يقول[1]:

إذا ما عـَرَا مَــالا أُطِيــقُ دِفَاعَــهُ وأرْمَضَنِي الفِكرُ المُسَهِّدُ*والهَــمُّ

دعَوتُ الذِي نَاداهُ مُوسَى لدَفْعِ مَا يُحَاذِرُ مِنْ فرعونَ فانْفَرقَ اليّــمُّ

ونَاديتُ مَنْ نَاداهُ ذُو النُّونِ واثِقًا بِه في ظلامِ البّحرِ فانْكَشَفَ الغَمُّ

9-2-5 التــوبــة والابتهــال إلى الله:

ويتقربُ أسامة إلى الله بهذا الدّعاء والابتهال والمناجاة، ودلّ هذا على تركِه الدنيا بحذافيرها والهرُوب إليه سبحانه وتعالى فهو الملجَأ والملاذ الوحيد الذي يَفِرُ إليه المرءُ المتعبِدُ الزاهدُ الطّاهرُ العفيفُ التّقي الذي يُحسنُ الظنّ به: [2]:

يا رَبِ حُسْنُ رَجائي فيكَ حَسُنَ لي تضييعَ وقْتِي في لهوٍ وفي لعِــبِ

وأنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أضْحَى عَلى ثِقَــةٍ بِحُسْنِ عَفْوِكَ: إنِّي عند ظنك بِــي

كما يمدح الله تعالى ويُثنِي عليه ويصور عظمته وقدرته جلّ وعــلاَ بقولــــه [3]:

تَبَارِكَ اسْمُكَ كَمْ مِنْ آيــةٍ شهِـدَتْ بأنّك الواحِــدُ المُسْتعْـلِي الصَّمَدُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:339.

*المسهد: المؤرق. (ينظر: المصدر نفسه، ص:339).

[2] المصدر نفسه، ص:226.

[3] المصدر نفسه، ص:330.

مَا يصْبَغُ الأسُودَ الغَربِيّبَ غَيرُكَ مُبْـ يّضًّا ولا يتعَـاطَـى صِبْغَـهُ أَحَـدُ

وكتب على حائِطِ مسجد "**سَبْرِينَ**" بظاهر مدينة حلب أبياتًا يحمدُ الله تعالى ويشكره؛ لأنّهُ وفّقهُ وقدّرهُ على تأدية فريضة الحج والتخلص من الذّنوب والخطايا التي جناها في حياته، فيقول[1]:

لكَ الحمْـدُ يا مَوْلاي كَـمْ لَـك مِنّـةً عليّ، وفَضْـلاً لا يَقُـومُ بِـهِ شُكْـرِي

نَزلتُ بهذا المسّجِـدِ العَـامَ قَافِـلاً من الغَـزْوِ موفُورَ النّصِيبِ من الأَجْرِ

ومِنْهُ رَحَّلْتُ العيسَ في عَامِي الذِي مَضَى نحو بيتِ الله ذي الركن والحجرِ

فأديّتُ مفْروضِي وأسْقَطْتُ ثِقلَ مَـا تحَمّلْتُ مِنْ وِزْرِ السنينَ علَى ظَهْـرِي

وكتب على حائطِ مَسْجِدٍ بظاهِرِ " **مَنْبَجَ** " وهو متوجِهٌ إلى الحجاز متضرعًا لله آمِلاً في العتقِ من نيرانه وأن يُعيذهُ ويحفظهُ من خيبة القصد في قوله [2]:

نَزَلْنَا بِهِ حتّى إذا يومُنَا انْقَضَى رحَلنَا عَلَـى العِيـسِ*النّجَـائِبِ والجُـرْد

نَؤُمَ بِهَا البَيتَ العَتِيقَ ونَبْتَغِـي مِنَ النّارِ عِتْقًا جَـاءَ فِي سَابِـقِ الوَعْـدِ

فَيَا مَنْ قَصَـدْنَ بيتَـهُ ونبيّـهُ بِكَ العَـوْذُ يَا مَـوْلاَي مِنْ خَيْبَـةِ القصْـدِ

لقد عُنِي أسلوب " **أسامة بن منقذ** " بالحكمة والوعظ والإرّشاد الديني، وهذا النّوع من الشعر يتّجِهُ إلى النّفْسِ أو إلى الغيرِ واعظًا ومرشِدًا أو يقصد الله تعالى مناجِيًا ومبْتَهِلاً ومردُّ هذا التأثير إلى أن الشاعر كان ابن بيئةٍ متشبِعةٍ **بالدينِ**، فكان أبُوهُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:332،333.

[2] المصدر نفسه، ص:328.

*العيّس: الإبل البيض يُخالِطُ بياضُها شقرة. ** الجرد: فرس أجرد قصير الشعر رقِيقُهُ. (ينظر: المصدر نفسه، ص:328).

حَافظًا ناسخًا لكتاب الله تعالى، وهو أيضًا كان حافظًا لكلامه سبحانه وتعالى، وهذا من الإشارات الدّالة على ثراء ثقافة الشاعر الدينية خاصةً لذلك فلا غرو إن تكلّلت **زهدياته** بطابع النّصح الديني والحكمة والموعظة الحسنة.

9-2-6 بث الحكمة من خلال الــزهــد:

ونجدهُ أيضًا يوجه النُّصح من خلال هذه اللّوحة الزهدية التي تحمل في طيّاتها حكمة مفادها أن الأنام مآلهم الرّحيل ونُزُلُهُم القُبور فما على المرءِ أن لا يجزع لحوادثِ الدهر وملِماتهِ [1]:

لا تَغْتبِطْ بِسُــرُورِ دُنــ ـيَا ما يَدُومُ بِهــا سُــــرورُ

وكَذاكَ لا تَجْــزَع لِحَــــا دِثَةٍ تضِيقُ بِهَــا الصُّــدورُ

وَجمِيعُ مَا فيــهِ الأنَــــا مُ أَلَيْسَ آخِــــرَهُ القُبُــورُ

كما يوجّهُ أسامة نداء لأصحاب القلوبِ النّائمة والغافلة عمّا هو آتٍ، فينصح المرء بمخافة الله والسّعي للعمل الصالح؛ لأنّه ليس لمن مات وسكن اللّحد من رجوع إلى هذه الدّنيا أبدًا، يقول[2]:

أيّهَا الغَافِلُ كَمْ هذا الهجوعُ* أعْلَنَ الدّاعِي فَهَلْ أنْتَ سَمِيعُ

أنْت عَمَّــا هُـو آتٍ غَافِــلٌ وكَأنّ قَدْ فَاجَأ الخَطْبُ الفَظِيعُ

بَادِرِ الخَوفَ وقَدِمْ صَـالِحًـا مَا لِمَنْ مَاتَ إلى الدّنيَا رُجُوعُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:331.

[2] المصدر نفسه، ص:336.

*الهجوع: السُّبات والخمول. (ينظر: المصدر نفسه، ص:336).

9-2-7 التذكيـر بالمـوت وحسـاب الله:

برع " **أسامة بن منقذ** " في زهدياته في التذكير بالموت فكان يلجأ لأسلوب النّداء مخاطبًا كافة البشر كي لا ينسوا هذه الحقيقة التي لا هروب منها إلى إليها، فيطلبُ من أيّ إنسانٍ عاقلٍ التروي والتمهل في حياته وخطواته؛ لأنّ من جاوز سنّ السّبعين كم عساه سيعيش؟ أم هل أمّنهُ الله النّجاة والسّلام من النّار؟!فحذاري، لذلك ينصحهُ بعدم الاغترار بلذة العيش فالعمر مهما طال فهو قصيرٌ فيقولُ[1]:

أيّهَـا المغْـــرُورُ مَهْـــلاً ... بَلَـغَ العـُمْـــرُ مَـــــدَاهُ

كَمْ عَسَى مَنْ جَاوزَ السّبــ ... ـعِيـنَ يَبْقَـــى كَـمْ عَسَـاهُ

أَنَسِيـتَ الله أمْ أمّـــــــــ ... نّـــــكَ الـلّـــهُ لـظـــــاهُ

ويرسم أسامة صورة الموت الخاطف الذي يتغذى على أرواح البشر بألوانٍ تشبيهية ليوضح هذا الحدث الرّهيب الذي بقدر ما يهول النّاس ويزرع الرّعب في قلوبهم بقدر ما هم غير متعظِين، فيشبه الناس بالطير والدنيا شِباكهم والموتُ قناصهم، حيث يأتيهم بمختلف الطرق(مذبُوحٍ أو معْتبط)، لكن رغم هذه الحقيقة إلاّ أنّهم مشغولون بهذه الدنيا وزخارِفها ولا يُعطوُن الموت أيّ اهتمامٍ[2]:

النّاسُ كَالطّير والدُّنيا شباكُهُـمُ ... وَهُمْ بها بَينَ ركَّاضٍ ومْختَبِـطِ*

والموتُ قَنّاصُهُم يأتي على مَهَلٍ ... لِهُلْكِهِمْ بَيْـنَ مَـذْبُـوحٍ ومُعتَبـطِ**

وقَدْ شُغِلْنَا بدُنْيانا وزُخْرُفِهَـــــا ... فالخلقُ ما بين محزونٍ ومُغْتبِطِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:342.

[2] المصدر نفسه، ص:333،334.

*الخبط: السّير على غير الهدى. **اعتبط الذبيحة: نحرها من غير علة وهي سمينة فتية. (ينظر: المصدر نفسه، ص: 333،334).

ويوجه أسامة نداء لأصحاب القلوب اللّاهية عن حقيقة الموت، فيذكرهم أن الموت إذا أتى لا يترك في الحلق ريقٌ كي يسْتيقِظُوا ويستفيقُوا من غفلتهم، يقول [1]:

أيُّهَا الغَافِلُونَ عن سَكرةِ المَـو ... تِ وإذْ لا يَسُوغُ في الحلقِ ريقُ

كَمْ إلى كَمْ هَذَا التّشَاغُلُ والغفـ ... ـلَةُ حَارَ السّار وضَلّ الطّريـــقُ

إنّمَا هزّتِ الزّلازِلُ هَذِي الـــ ... أرضَ بالغَافلِينَ كَيّ يسْتفِيقُـــوا

ويعود الشاعر مرة أخرى للتذكير مع الجزم المطلق بأنّه ليس بعد الموتِ سوى الجنة أو النّار والموعد المحدِد لذلك هو يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا ريب فيه ففيه يجزي الله عن الأعمال وتكون الحسرةِ والنّدامة يومئذ لمن جزاه الله بالغبنِ والسخط وهو نفسه اليوم الذي يُنصفُ فيه المظلوم ويعاقبُ الظالم ويستوي الغني والفقير وينتصر الحق على الباطل يوم تشخصُ الأبصارُ للّحيِّ القيوم [2]:

فليّسَ بَعَدَ المَـوتِ دارٌ سِـوَى ... جنّةِ عَدْنٍ أو لظًى تَضَرمُ

والموعِدُ الحشرُ ويُجزَى عن الـ ... أعْمَـالِ والغَبْنُ لِمنْ يَنْـدَمُ

ويُنْصَفُ المظلُومُ من خَصْمِـــهِ ... ويسْتَوِي السُّلـطَانُ والمُعْدَمُ

ويَشْخَصُ الخلقُ إلى حَـــــاكِمٍ ... يَحْكُـمُ فيهم بالـذِي يَعْـلَـمُ

9-2-8 النّهِي عـن الظـلم:

ويلومُ أسامة ويُعاتب الإنسان الظالم عَمّا ارتكب من مآثمٍ وخطايا في حق نفسه وغيره، فلا المال يبقى ولا الملك دائم لذلك يحذرهُ وينهاهُ عن التعلق بالدنيا؛ لأنّها كحلم

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:337.

[2] المصدر نفسه، ص:339.

النّائم والظّلِ الزّائلِ لذا يجبُ أخذ الحِيطة والحذر فغدًا يلقى حسابَهُ على كل كبيرة وصغيرة من الملك العادل الذي تُناجيه القلوبُ بما تخفِي من الذنوب وتكاتِمُ الذي يعلمُ خائِنة الأعيُنِ وما تُخْفِي الصُدور[1]:

أوَيَقْتَ*نَفْسك يا ظلُـو ... مُ بِمَا احتقَبتَمن المَظَالِمْ**

أظنَنْـتَ أنّ المَـال لا ... يَفْنَـى وأنّ المُـلْكَ دائِـمْ

هيهات أنتَ وما جَمَعْـ ... تَ كِـلاَكُمَـا أحْـلامُ نَـائِمْ

تَفْنَـى ويَفْنَـى والـذِي ... يَبْقَـى الخَطـايَـا والمـآثِـمْ

وغدًا يُنَاقِشُكَ الحِسابَ ... عَلَى الحَقِيـرِ مِنَ الجَـرائِـمْ

مَـلِكٌ تُنَـاجِيّهِ القُلُـو ... بُ من الذّنُوبِ بما تُكَاتِـمْ

عَدْلُ القَضَاءِ بكُلِّ مَـا ... تُخْفِي صُدُورُ الخلقِ عَالِـمْ

لمّا كان شعر " **الزّهد** " يتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى والتمسك به، وتركِ الدنيا ومتاعها، وحول النّفس وما يتصلُ بها من قناعة وتقوى، وحول الآخرة وما يرتبط بها من الموت والعقاب والثّواب، كان من الطبيعي أن يدُور المعجم الشّعري الزّهدي للشّاعر أسامة بن منقذ حول تلك المضامين والمعاني المتصلة بها، كما كان لأسلوب الحكمة والوعظ والخطابة التأثير الكبير على معجمه الشّعري، خاصةً الشعر الذي يتجهُ إلى النّفسِ أو إلى الغيرِ واعِظًا وناهيًا وآمرًا ومُرشِدًا ومُصلحًا، أو قاصدًا الله مُناجيًا ومبتهلاً وهذا مرجعهُ لِكونِ الشاعر عاش في بيئة دينية بحتة، كما كان حافِظًا لكتاب الله دارسًا لأصول الفقه والدين، لذلك فلا غرّو إن وجدنا زهدياته قد توشحت بالكثير

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:340،341.

*أوبقت: أهلكت. **احتقبت: ادّخَرتَ. (ينظر: المصدر نفسه، ص:340).

من أساليب النّداء وصيغ الأمر والنهي والتحذير وما إلى ذلك مما يُقوّي التأثير وينهض بمهمة الترغيب والترهيب وصولاً إلى ما يهدي إليه من التقويم والتهذيب والإصلاح.

لقد تشعبت مواضيع الحزن في شعر" **أسامة بن منقذ** " وتعددت أسبابه ودوافعه بتعدد المآسي والهموم، واختلاف الأحداث الأليمة والجسيمة التي عاشها الشاعر وكابدها في حياته والتي كان وقعها شديدا على نفسيته، وكان حضورها قويًا أيضا في قصائده، فلم يترك الشاعر حدثا أثر فيه إلاّ وعبر عنه، فالشّعر هو المتنفس الوحيد الذي لجأ إليه لتخطي هذه المآسي، وبذلك يكون الشاعر " **أسامة بن منقذ** " هو المرآة العاكسة لمجرياتِ حياتهِ وواقعهِ ومجتمعهِ الذي يفرحُ لفرحهِ ويحزنُ لحزنه من خلال قصائده الحزينة.

الفـصـــل الثـــالـث

الفـــصـــل الثّـــالـث

شعـــر أســامة بن منقـذ -" دراســة أسلــوبية فنيـــة "-

أولا: الخصائــص الأسلـوبية

1- اللّغـــــة.

2- الأسلوب.

3- الخيـــــال.

4- الموسيقى.

5- التـــنـاص.

ثانيا: الخصـائــص الفنيـــــة.

1- التشبيـه.

2- الاستعارة.

3- الكنايـــة.

4- الجنـاس

5- الطبـاق

6- التصريـع

7- التطريـز

تمهيد:

سنتطرقُ في هذا الفصل إلى الخصائص الأسلوبية والفنية التي ميّزت شعر " **أسامة بن منقذ** "، من حيّث اللّغة والأسلوب والخيال والموسيقى الشّعرية، والتناص، والصورة البيانية ومدى أثرها في التشّكيل الفنّي البلاغي، وأخيرًا الصورة البديعية.

أولاً: الخصـــائـــص الأسلـــوبيـة:

1- اللّغـــة:

طالما تكونت اللّغة من جملٍ وألفاظٍ، هذه الألفاظ هي وسيلة الشّاعر التي بها يخرج لنا فنًا عظيمًا وجميلاً، ونجاحه في نقل التجربة الشّعرية مرهون بحسن استخدامه للأدوات اللّفظية، وعلى هذا الأساس فإذا ما أراد باحِثٌ ما التعرف على بيئةِ شاعرٍ ما من النّاحية السّياسية أو الاجتماعية أو الدينية أو الثقافية أو الشّخصية، لابُدّ لهُ من الانطلاق من لغتهِ وذلك بسبب رابطةٍ خفيةٍ بينه وبيّنها، وهذه العلاقة تتجسد في انقيادهِ إلى اللّاوعي اللّغوي أكثر من كونِهِ يملكُ إحساسًا مُرهفًا، ومما لاشكّ فيهِ أنّ لغة الشعر قد حظِيت باهتمام كبيرٍ من لدن النقاد والباحثين القدامى والمحدثين فكانت موضوعًا لكثيرٍ من مؤلفاتهم وبحوثهم ورسائلهم الجامعية كونها عنصرًا مهمًا وأساسيًا في عملية بناء النّص الشّعري وإبرازهِ للمتلقي بشكلهِ النهائي النّاضج، فهي وسيلة الشاعر للتعبير عمّا يدُورُ في خلجاتِ نفسهِ من مشاعر وأحاسيس، كما أنّها ركيزة أساسية في العملية الإبداعية أو التجربة الشّعرية، فهي من أهم أساسيات ومكونات البناء الفنّي للقصيدة الشّعرية وبذلك يمكن أن تكونُ اللغة بمثابة الوسيلة أو الأداة المطواعة التي يستعملها ويُوظِفُها الشّاعر كيفما يشاء وهي أيضًا " أداة يستعملها الشّاعر استعمالاً خاصًا وبها

ينقُلُ إلى النّاس خبرة جديدة مفعمة بالحياة "[1] ، أو " هي المادة الأولى للأدب والخطاب، فإذا كانت اللّغة عنصرًا من عناصر الشّعر المهمة فلابدّ للشاعرِ أن يسلك فيها مسلكًا خاصًا ليستطيع أن يؤدي المعاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول، ومعنى هذا أنّ عليه أن يختار الجميل المناسب والأنيق الحسن "[2]، وتحدث عن لغة الشعر الأديب " **عباس محمود العقاد** " حين قال: " إنّما نريد باللغة أنّها بُنِيت على نسقِ الشعر في أصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فنٌ منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعـر في كلام تألف منه، ولو لم يكن من كلام الشعراء "[3].

الشاعر " **أسامة بن منقذ** " كغيره من الشّعراء لهُ معجمُهُ الشّعري الخاص بهِ والذي يجعلهُ ينفرد عمّن سِواه، وذلك بطريقة صياغتِهِ لألفاظِهِ وكثرة تكرارها في قصائدهِ، والقارئ لديوانهُ يجد أنّ لغته الشّعرية تباينت فأحيانا نجدها تمتاز بالسُّهولة والنّقاء والرّقة، وأحيانا أخرى تصادفنا ألفاظ غريبة ومعقدة تحتاج إلى معجم لشرحها وفهمها فمثلا في غزله يختار أسامة الألفاظ الرّقيقة التي تناسب غرضه الشعري، فحين يتغزل بحبيبته يقول[4]:

قَمَـرٌ إذَا عَـــاتَبتُـــهُ كَـــانَـتْ قَطِيـعتُـــهُ جَـــوابِـــي

مُتجـــرّمٌ أبـــدًا يُجـــــ ـــرِّعُنِـــي مَـــــرارَاتِ العِتَـــابِ

---

[1] امحمد بن لخضر فورار: الشّعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية دراسة موضوعية فنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، (د، ط)، 2009م، ص:200.

[2] إبراهيم السّامرائي: لغة الشّعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د، ط)،1998م، ص:09.

[3] عباس محمود العقاد: اللّغة الشّاعرة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص:08.

[4] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:53.

كَـمْ سهْـلَـتْ عيّـنَـاهُ لِـي مِـن وصْـلِـهِ وعْـرَ الطِّـلابِ

حتّـى وقعْـتُ ولَـمْ يكُـنْ هَـذا التـلَـونُ فِـي حِسَـابِـي

كما أنّ ألفاظه جاءت في باب الغزل رقيقة ناعمة، خاصة حين يقرن وصف حبيبته بالخمرة على نهج القدماء، يقول[1]:

منْ زيّنَ الأُقْحُوانَ الرّطبَ بالشّنَبِ ونَظْـمَ الـدُّرَّ بيّـنَ الـرّاحِ والحـبَبِ

نَارُ الحيّـاءِ بخَـديّهِ بِـلاَ لهَـبٍ قَـدْ مَـازجتْ ماءَ حُسنٍ غير مُنْسكِبِ

ويقول[2]:

مُهفْهَفٌ يُخْـجلُ بَـدرَ الـدُّجَـى فَـإنْ رآهُ اكـتَـنَّ فِـي السُّحْـبِ

قِـوامُـهُ يـُزْرِي إذا مَا انْثنَـى مِـن لِينـِهِ بـالغُصـنِ الـرّطـبِ

يبْسِـمُ عنْ دُرٍّ تعَـالَـى الـذِي نَـظْمِـهُ فِـي البَـارد العـذبِ

فألفاظ (**مهفهف، بدر، ليّنِه، الغصن، الرّطب، درٍّ، العذب...**)، كلّها ألفاظٌ جميلة ناعمة كنعومة المرأة، محببة إلى السّمعِ، وتكرار الفاء في كلمة " **مهفهف** " يعطي السامع بعدًا إيقاعيًا ممتلئًا بالموسيقى، وهذه الألفاظ في مجملها عذبة تعبرُ عن معانيها، ويصف الشاعر أسامة الحبيبة مُتتبِعًا منهج القدماء في وصفهِ وغزلِه، إذ يقول[3]:

غَـرّاءُ أبْهَـى من ليالِي البَدرِ بعيّـدةُ القُـرطِ هَضِـيـمُ الخُصْرِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:55.

[2] المصدر نفسه، ص:56.

[3] المصدر نفسه، ص:68.

أحْسَـنُ مِـنْ شمْسٍ بغبِ قطْرِ تفعَـلُ بالألبَـابِ فِعْـلَ الخمْـرِ

تَبْسِمُ عنْ مثـلِ نظِيـمِ الـدُّرِ كَـأنّـهُ لألِـئٌ فِـي نحْـرِ

إذَا انْثَنتْ قَـبْـلَ نـمُـومَ الفجْـرِ تنفسَـتِ عَـنِ مثـلِ ريَّـا الـزّهْـر

كَأنّ فَـاهَـا جُـونَـةٌ لِعطـرِ وإنْ مشَـتْ مُثقـلَـةً بالبُهْـرِ

مَشِـي النّسيمُ بمـيّاهِ الغُـدْرِ رأيْتَ سحْـرًا أو شبيـهَ سِحْـرِ

وصف الشاعر " **أسامة بن منقذ** " كل ما شاهدهُ في هذه المحبوبة فهي؛ بيضاء، صافية اللّون طويلة العنق، ضامرة البطنِ، ناصعة الأسنان، زكيّة الرّائحةِ...، كُلّها صور تنزع إلى تصوير الجمال الحسي والمعنوي الذي يراه الشاعر في حبيبته، وألفاظه سلسة ناعمة منها؛ (**الدر، لألئ، ريا، الزهر، نسيم، البهر، مياه...**).

وقد أحب الشاعر أسامة حبيبته واستمر في غزلها متتبِعًا النمط الوصفي الرّقيق العذب المعنى، الشّيق التصنيع، الحلو البديع خاصةً حين ينبضُ قلبه بالحب، يبدع قلمهُ في وصف حالتهِ الجنونية اتجاهها، يقول[1]:

منْ عَذِيرِي من شَادنْ لمْ أُطِقْ عنْـ ـــهُ مـع النّسْـكِ والتحلُـمِ صـبْرًا

أهِيّـفٍ أنْبَتَ الجمَـالُ بفِيِّـهِ الـ عَـذْبِ دُرًّا سقَـاهُ مِسْكًـا وخمْـرًا

فَأعَـارَ الغـزالَ عيْنًا وغُصْـنَ الـ ـبَـانِ لِيّنًـا والأُقْـحُـوانَـةَ ثغْـرًا

أجْتلِـي مِنْهُ ضُحَى اليَومَ شَمْسًـا وأرَى مِنْـهُ فِـي دُجَـى اللّيـلِ بـدْرًا

فِيـهِ أنسٌ ولِلْملاحَـةِ فِـي عيّـ ـنيّـهِ مَعْنًـى تخـالَـهُ العيّـنُ ذعْـرًا

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:72.

إنّ الشاعر " **أسامة بن منقذ** " في هذه الأبيات المفعمة بالحب يبُثنا قولاً رطبًا نديًا، فالقلبُ ينبُض بالحب، ويعشق الحسن والجمال بجنون المحب الذي لا يعرفُ قيودًا ولا قانونًا، كما أن لغة الشاعر جاءت عذبة رقيقة، فلم يترك شيئًا جميلاً لم يقربه من صورة حبيبتهِ ليوصل مدى حسنها وبهَائِها؛ فهي من يُعيرُ الغزال عينًا، وغصن البانِ لينًا، والأقحوانة ثغرًا، باختصار هي الشّمس في الضّحى والبدر فِي الدجى، وأمّا عن الحوادث والخطوب والحزن الذي خلّفته في نفسيته هذه الحبيبة، يقول[1]:

كَفَـى حُـزنًا أنّ الحَــوادث قصّــرتْ يَـديّ ولسَـانِي عـنْ نوالٍ وعن أمْرِ

فَمَا يخْتشِي الأعْداءُ بأسِي وسطَوتِي ولاَ يْرتجِي الإخوانُ نفْعِي ولا نصْـرِي

ولاَ خيرَ في الدّنيا لِمثْلِي ولو صفتْ إذَا كَـانَ لا يُـرجَـى لنفـعٍ ولاَ ضُـرِ

وعن السّعي وراء كسّب الرّزق، وإرادة الله في تقسيمه، يقول [2]:

لــو كَـانَ رِزْقُ الفتَى بِقُوتِـــهِ نَـازلْتُ ضَـارِي الأُسُـودِ فِي الأجَـــمِ

لكنّــهُ عَــنْ مشِيّتَــةٍ سَبَقَــتْ فِي الخَلْقِ تجْــرِي فِيهِم عَلَـى القَسَمِ

أمّا عن ذمّهِ للشّيب وطُول العمر، يقول[3]:

أيَرْجَعُ لِي شرخُ الشّبابِ وعصْرهُ وكيّفَ رُجُـوعُ اللّيلِ قَـــدْ لاَحَ فجْـــرُهُ

رِداءٌ قشيبٌ حالَ حالكُ لونــهِ وأنْهجَــهُ طَـيُّ الــزّمَــانِ ونَشْــرهُ

وكُنْتُ بهِ كُلُ الضّنِينِ فبـزّهُ الـ مشِيِّــبُ فَــويّـح الشّيــبِ لاَ درّ دُرُهُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:300.

[2] المصدر نفسه، ص:339.

[3] المصدر نفسه، ص:66.

أسامة شاعر بارعٌ في اختيار ألفاظه ودقيق في معانيه خاصة في زهدياته حين يُؤكد على أن حقيقة الدنيا رحيل وفناء، فالموتُ لا يختار ولا يميّز بل هو حقُ الجميع، يقول[1]:

عَمَّــرُوا وشَــادُوا مَــا تَــرا هُ: مــنْ المنَــازِلِ والقُصُــورِ

وتحوّلُـوا مِـنْ بعْـدِ سُكْـــ نَــاهَــا إلَــى سَكَــنِ القُبُــورِ

وتشيع ألفاظ الحكمة في زهد الشّاعرُ خاصة حين يستغربُ من تعلق بعض البشر بالدنيا رغم تقلُباتها وفتكِها بمن كان يظُنُ الخلود فيها، فكم نسفتْ جبلاً وكم حوّلت من غنيٍ إلى فقيرٍ معدمٍ وكم صيّرت أبا أولادٍ إلى وحيدٍ مفردٍ فهي تتلون وتتأرجح ككفتي الميزان لذلك يجب الحذر منها؛ معلِلاً ذلك بحكمة مفادها أن الدنيا عبارة عن ظلٍ زائلٍ والكُل يجري وراءهُ جهـلاً وطمعًا[2]:

أمَا رأوْا تقـلُّبَ الـدُّنيـا بِنَـا وفَتْكَهَـا بمَـنْ إليّهَـا أخْلَـدَا

كَمْ نَسَفَتْ أيّدِي الخُطوبِ جَبَلاً وصَيّـرتْ لُجَـةَ بَحْـرٍ ثَمَـدَا

وَكَـمْ أعَـادتْ ثَـراءٍ مُعْدَمًـا وذَا قَبيـلٍ وعَـديـدٍ مُفـردَا

فَمَـا رأيتُ غيـر ظِـلٍ زائـلٍ كُـلٌ يَمُـدُ نَحْـوَهُ جَهْـلاً يَـدَا

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:331.

[2] المصدر نفسه، ص:329.

لكلِ تجربة شعرية طبيعتها الخاصة، فاللّين والرّقة كانت من نصيب النّسيب والرّثاء، بينما القوة والمتانة والجزالة سمة الفخر والحماسة، وتتجلّى جزالة ألفاظِه وفخامتها في قوله مفتخرا بنفسه[1]:

أنَا تَاجُ فُرسَـانِ الهيّاجِ*، ومنْ بهـمْ ثبِـتْ أواخِـي مُلـكِ كُـلّ مُتـوجِ

قـومٌ إذا لبِسُـوا الحَـدِيدَ عجِبْتَ منْ بحْـرٍ تدافـعَ فِـي لظًـى متَـوهـجِ

صُبُـرٌ إذا مَـا ضَـاقَ مُعْتـركُ القنَـا فَـرجتْ سيُـوفهـمُ مضِيّـقَ المنْهـجِ

ويقول أيضا مفتخرًا [2]:

لِخمْسِ عَشّـرةَ نازلتُ الكُمـاةَ إلـى أنْ شِبْتُ فيها وخيّـرُ الخيـلِ مَا قَـرحَـا

أخُوضُها كشِهَـابِ القـذْفِ مبْتسِمًـا طلِقِ المحيّا ووجـهُ المَـوتِ قَـد كَلحَـا

بصَـارمٍ، منْ رآهُ فِي قَتـامِ وغًـى أُفْرِي*** به الهامُ****، ظنّ البرقُ قَـد لمحَا**

أغْدُو لنارِ الوغَى في الحَربِ إن خمَدتْ بالبِيّضِ فِي البِيّضِ والهَاماتِ مُقْتدِحَا***

فسَلْ كُماةَ الوغى عنِّي، لتعلمَ كَـمْ كَربٍ كشَفتُ، وكمْ ضيّـقٍ بِي انْفسَحَـا

استّهلّ الشّاعر هاتين المقطوعتينِ بالافتخار بنفسهِ في ميدانِ الوغى، موظفًا من الألفاظ القوية والفخمة ما يناسب الغرض الذي يقول فيه منها؛ **الهياج، الحديد، متوهج، سيوفهم، شهاب، قتام، الحرب، الهامات، نار....**إلخ.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:259.

*الهيّاج: القتال.(ينظر: المصدر نفسه، ص:259).

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:259.

قتام: الغبار. * أفري: أشق. ****الهام: جمع هامة وهي الرّأس. ***** اقتدح: رام الإيراء.(ينظر: المصدر نفسه، ص:259).

بما أن عنوان البحث " **تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ** "، واللّغة من مقومات القصيدة الشّعرية بل هي وسيلة الإبداع لدى الشاعر؛ لأنّ بها تتجلى الخبايا والمكنونات النفسية لدى أي شاعر، كان لزامًا علينا إحصاء الألفاظ التي وظفها الشاعر أسامة بن منقذ، والدالة على الحزن موزعةً على شكل حقول دلالية مع ذكر موضع تكرارها في الديوان، موضحة في الجدول التالي:

وبعد دراستها توصلنا إلى أنّها في الغالب سهلة ممتنعة، ربما طابع الليونة والبساطة في خاصية شعر الوصف والملح، الرثاء، الزهد، الأمثال والحكم، الوعظ، ومن جهة أخرى تكون الصعوبة ميزة الغزل، شكوى الفراق ووصف الحنين، المكاتبات والمعاتبات، المدح، الفخر، والحماسة، لكن أكثر ما ميز هذه الألفاظ أو اللغة هو ظاهرة الحس المأساوي الذي طغى على جل قصائد الديوان، نتيجة الظروف القاسية والضربات الموجعة التي تلقاها الشاعر ابن منقذ، فهو شاعر لم يهنئ في حياته أبدا بل عاش حياةً تعيسةً حزينة لفتها الأوجاع والمحن والنّكبات من كل جهة، لذلك قمنا بدراسة إحصائية للألفاظ الدالة على الحزن والتشاؤم في ديوانه الشّعري.

معجم الألفاظ الدالة على الحزن

"مع بيانات إحصائية"

ألفاظ الحزن والهـمّ

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
بَكَى	تبْكِي	تَبْكِي لأَنْتِكِ الحمَامُ وطَالمَا هَاجَ الجَوى لأَخِي الهَوى تغْرِيدُهُ	113وتكرر ت في: 184،186، 204.
	بَكَى	مَاذَا عَليكَ إذَا **بَكَى** أحْبَابَـه ذُو غُـــربةٍ نَـائِي المَحـلِّ بَعيـدهُ	113 وتكررت في: 352.

	البُكاء	إلى اللهِ مِن جوىً لمْ أجِدَ لَهُ	مُساغًا ولاَ طُولُ **البُكَاءِ** يُميطُهُ	131وتكرر ت في: 140، 142،149، 348.
	يبْكِي	هذا يُسرُّ بحال لا تدومُ وذا	**يَبْكِي** على الفوتِ من دُنياهْ والفَرط	334، 352.
	أبْكِي	**أبْكِي** اشْتِياقًا وتَحِنُ وحْشَةً	فَقَد شَجَانِي حُزنُهَا وحُزنِي	151وتكرر ت في: 355،365.
	أبْكَانِي	ومَا نظَرتُ إلى مَا كَان يُبْهِجُنِي	إلاّ شَجَانِي وآسَانِي **وأبْكَانِي**	359.
	بَاكٍ	حُتّام قَلْبِي بالكآبةِ مكمدٌ	**بَاكٍ** ووجهِي للتّجمُلِ مُسفِرُ	72.
حزن	حُزنها	أبْكِي اشْتِياقًا وتَحِنُّ وحْشةً	فقَدْ شَجَانِي **حُزنُهَا** وحُزنِي	151.
	حُزنًا	أدَمَى جَراحَاتٍ بِقلْبِي للنّوى	ومَا عَلِمتُ نَاحَ **حُزنًا** أم شَدَا	117وتكرر ت في: 137،300.
	الحزن	تَهادَى تَهادي الظّلِ كأنّمَا تَخافُ	عِثارَ **الحُزنِ** في الدّهسِ السّهْلِ	87 وتكررت في: 341،355.
	حُزنِي	أبْكِي اشْتِياقًا وتَحنُّ وحشّةً	فَقَدْ شَجَانِي حُزنُهَا **وحُزنِي**	151وتكرر ت في:347.
	حزن	تَدانَتْ بِنَا الأهْواءُ والبُعدُ بَيّنَنَا	ومَا حُرقةُ الأحبَابِ **حزنٌ** ولا سهبٌ	104وتكرر ت في:152.
	أحْزانِي	فَلِي كُلّ يومٍ من جَوى الهَمِّ صاحِبٌ	يُجدِدُ **أحْزَانِي** عَلَى فَقْدِ صَاحبِ	107وتكرر ت في:324، 360.

دمع	بِدَمعِ	لَيّسَ طَرْفِي جَارًا لِقَلْبِي ولَكِنْ	دمُ هَـذَا **بِدمْـعِ** هَـذَا مَشُـوبُ	54 وتكررت في: 88،154.
	دَمَعٍ	وَأفْرغَ فِيهَا قَطْرَ **دمْعٍ** يُغيـرُهُ	إذَا جَادَهَا مَنْ صيّبِ الغَيّثِ قَطْرُهُ	67 وتكررت في: 109،346.
	دُمُوعٌ	أيّنَ **دُمُـوعٌ** كُلّمَـا غَيّضْتُهَـا	تـدّفّقَـتْ ومَـازَجَ الـدّمْـعَ دمُ	96 وتكررت في: 149،233.
	الدّمْعُ	لمّا رَأى كِتمَانَ مَا يَنْطـوِي	عَليهِ لا يُغنِي إذَا **الـدمْـعُ** بَـاحْ	60 وتكررت في: 96،98، 108،130، 124.
	مَدَامِعٌ	عَونِـي عَلَيّهِ **مَدَامِعٌ** سُفْـحٌ	وزفْـرةٌ دوّن حَـرِّهَـا النّـارُ	71 وتكررت في: 105.
	الدُّمُوع	وأنّ **الدّمُوعَ** إذَا مَا سُفحْـنَ	أثَـرنَ لَظًـى فِي الحشَـا يُشعَـلُ	84 وتكررت في: 96 ،108،109 ،147،304 ،372.
	دمعًا	ويُثيرُ ذِكْرَاكُم زفيرًا صَاعِـدًا	مُستَنْبِطًـا بِلظَـاه **دَمْعًـا** سَـاقِطًـا	75 وتكررت في:368.
	أدْمُعِي	ولكِنّهَا لمْ تُذر دمْعًا و**أَدْمُعِـي**	إذَا قُرِنَتْ بالقطْرِ زادتْ عَلَى القَطْـرِ	126وتكرر ت في: 131،145، 149،358.
	دمْعُكَ	تَحْكِي الغَمَامَ زَفِيرُ شَوقِكَ بـرقُه	ونَشِيـجُ **دَمْعِـكَ** وَبلُـهُ ورُعُـودُهُ	113 وتكررت في:182.
شَجَنَ	أشّجَان	هتُوفُ الضُّحى مَفْجُوعةٌ بِأَليفِهَا	تُهيِّـجُ **أشّجَـانَ** الفُـؤادِ ومَـا تَدرِي	126.
	شَجَانِي	أبْكِـي اشّتِيَاقًـا وتَحِنُ وحّشَـةً	فقَـدْ **شَجَانِي** حُـزنُهَـا وحُزنِـي	151 و تكررت في: 359.
كأبَ	بالكآبة	حُتّـام قَلْبِـي **بـالكَـآبَـةِ** مُكمَـدٌ	بَـاكٍ ووجْهِـي للتجمّـل مُسفِـرُ	72.

	كئيب	نَافَقْتُ دَهْرِي فَوجهِي ضَاحِكٌ جَذلٌ طلِـقٌ وقَلْبِـي **كَئِيـبٌ** مُكمَدٌ بَـاكِي	.144
	كآبة	وهُو الخلِيـقُ بأنْ يمُـوتَ **كآبَـــةً** لكِـنّ حُسّنُ الصّبـرِ منْ أخْلاقِـهِ	.141 وتكررت في: .355،357
كَمَدَ	كمدٍ	فَكَاتِمُ الحبِّ إن لمْ يقضِ منْ **كمَدٍ** فَإنّـهُ لإصابـاتِ الـرّدى هـدفُ	.136
	مُكمدِ	حُتّـــام قـلْبِـي بِالكَـآبــةِ **مكَمــدٌ** بَـاكٍ ووجْهِـي للتجمُّـل مُسفِــرُ	.72
	بالكمدِ	والوجدُ لو أجَدى عَلَى ذِي لوعةٍ مَا مَــاتَ **بِالكمَـــدِ** القَـديمِ مُتمَمُ	149 وتكررت في:.169
	كَمدَا	فلنْ ترى واجدًا في النّاسِ فَارقَ منْ يهْوى فَأجَدى عَليهِ أنْ قَضَى **كمدَا**	114 وتكررت في: .144،299
	الكمدِ	فَهَلْ لِي فِي هَذِي المواعِظَ واعِظٌ يُبـرِّدُ ما يُخْفِـي من **الكمـدِ** الصّـدرُ	.350
نَوحَ	نَاحَ	يَسْتَخْبِرُ الدّارُ عنّهُم صَبوةً فَإذا أعْيَـتْ عليـهِ جَوابًـا **نَـاحَ** أو نشَجَا	108 وتكررت في:.117
	تَنُوحُ	أنَـــا بَعْـدكُـــمْ كَالــورقِ فِـي أغْصَـانُـهَـــا أبَـــدًا **تَنُـــــــوحُ**	109وتكرر ت في:.141
هَمَمَ	هُمُومِي	تُسَـاورنِي **هُمُومِـي** بَعَـد وهْـنٍ فَتَـرمِـي كُـلّ جَـارِحَـةٍ بِـوهْـــنِ	97 وتكررت في:.127
	الهُمُوم	يَا ويّحهُ من جوىً يَغْدُو عَليهِ ومنْ جَـوَى يـرُوحُ إذا لَيـلُ **الهُمُـومِ** دَجَ	108 و تكررت في: .147،188، .367،204

	بِالهُمُومِ	مَالهُ **بِالهُمُومِ** عَهْدٌ ولا اضّطَرّ إِلَـى الصّـبرِ باقْتِصَـارٍ وقَهْـرِ	127 و تكررت في:334.
	هُمُومُهُ	تَأْوِي إليّهِ مَعَ الظّلامِ **هُمُومُهُ** وتَـذُودُهُ عَـنْ نَـومِـهِ أشّجَـانَـهُ	200 وتكررت في:369.
	الهَمِّ	فَمَا رَقّ لِي فيّها نَسِيمُ أصَالِي ولاَ رَاقَ لِي فيّهَا منْ **الهَمِّ** مشّربُ	161 وتكررت في:107، 173،20
	همٌّ	وهَأ نَـذَا لبُعـدِكِ إلفُ **هَـمٍّ** تفِيضُ لَـهُ النُّفُـوسُ مِنَ المَآقِـي	187 وتكررت في: 189،189، 314.
	همًّا	**أُكَـابِـدُ** دَهْـرًا يُشيِّـبُ الوليـدَ و**هَمًـا** يشُـبُّ بِأحشَـايّ نَـارًا	318 وتكررت في:357.

ألفاظ الغربـــة والحنيـــن

الأصل	المفردة	الشّاهد	الصفحة
بـان	البين	لا صَبرَ لِي عنْ بدرٍ تمٍّ مُشْرقٍ أضْحَى لـهُ **البيّـنُ** المُشـتُ سَـرارَا	71وتكررت في: 108، 105،112،128،132، 134،142،187،151، 271،278،317،318.
حَنَنَ	حنين	كَـأنِّي أمّ البـوّ تُنكـرُ شَخْصُهُ ويَعْطِفُهَا وجـدٌ بِهَـا و**حَنِيـنُ**	98 وتكررت في:336.
	الحنين	مَـاذا يُجِـنّ من **الحنِـ ـيـنِ** إليّكُم القلْـبُ القريـحُ	109 وتكررت في:117 ،152، 157.
	حنِينِهَا	تَشْكُـو إليّـنَا شَـوقَهَـا **وحَنِينِهَا** ولَـركبُهَـا مِنْهَـا أحَـنُ وأشّـو	138.
بـعُـدَ	البعدِ	لمّا جَعَلْتَ الهجر يا مَوْ لاَي قَبـلَ **البُعـدِ** بُعْـدًا	64 وتكررت في:104،114، 115،129،132، 135،140،172،162، 222،337.
	بعيدُ	أسَاكِنٌ قَلْبِي والمَهَامِهُ بيّنَنَا وإنسـانُ عيّنِـي والمُـزَارُ **بَعِيـدُ**	168.

	بعيدًا	فَمَا بَـالِي أرَى ما أبتغيّـهِ **بَعِيـدًا** عَـنْ مُنْقَـطِـعِ السّـرابِ	164 و تكررت في: 171.
	البعيدُ	بِأبِي شَخَصُكَ الذِي لا يَغِيبُ عَـنْ عِيّانِي وهُو **البعيدُ** القريبُ	135،57.
رَحَلَ	راحِلٍ	مَـنْ مَبْلِـغُ النّائِي المُقِيمِ تَحِيةٌ مِنْ **راحِلٍ** شَاكٍ جَوَى أشّواقِهِ	141.
	التِرّحالُ	إذا زَادنَا **التِرّحالُ** بُعدًا فمَا الذِي يُقـربُنَـا إنْ كَـانَ ثَـمّ لقـاءُ	159 و تكررت في:381.
	ارّتحلتُ	ترّحلَ غَربًا **وارّتحلتُ** مُشرِّقًا وخَلفَ ارّتِحَالِ الظّـاعِنِينَ عَنَـاءُ	159.
	ارّتِحَالاً	حَتَـى لقَـد رامَ الأعَـا دِي مِـنْ ديَّـارهِـم **ارّتِـحَـالاَ**	264.
	ترْحَالُ	وكم فُجِعتُ بِروعَاتِ الفَراقِ ولاَ كَهَذهِ لـمْ يُرعَنِي قَـطّ **ترحَـالُ**	189.
شَتَتَ	شَتَّتِ	**شـتَّـتِ** الأيّـام ظُلْـ ـمًـا شَمـلُنَـا المُـؤْتلِفَـا	134 وتكررت في: 228،289.
	بالشّتَاتِ	هِي النّوى فَمَا غنَاءُ الإشفاقْ تقسَّمتْنـا **بالشّتَـاتْ** والآفـاقُ	142.
	شَتَتَ	لَحَّتْ نوائِبُهُ عُودِي وأنفدَ مَو جُودِي **وشتَّتَ** شمْلِي وهو مُؤْتلفُ	230.
	تَشّتِيتْ	وألُـومُ دَهْـرًا جـدَّ فِـ **تَشّتِيتِ** شَمْلِـي وهُـو عَـابثْ	164.
	بالتّشَتُّتِ	فَـرَمـتْ جُمُـوعُهـمْ اللّيـا لِـي **بـالتَـشتُّـتِ** والبَعَـادِ	167 وتكررت في:351.

	تَشَتّيتَا	وأَعْجَبْ منْ **تَشَتّيتِنَا** بَعْدَ أُلفةٍ ومِن نقلِنا بَعَد الدُنُو إلى البُعدِ	.110
شوق	الأشّواقُ	يدنُو وهَجْرُكَ يُقصِيهِ ويُبعِدُ وتَنْثَنِي عنْهُ و**الأشْواقُ** تدنيّكَا	83 وتكررت في: 93،104،126،142، 168.
	الشّوقُ	مَا هَاجَ هَذَا **الشّوقُ** غيرُ الذِّكْرِ وزَورةُ سَرَى مِنْ مِصْرِ	67 و تكررت في: 148،149،150،153، 171.
	شوقٍ	بِقَلْبِي منْ **شَوقٍ** إليّهِ ولوعةٍ عليهِ غلِيلٌ ليّسَ يُبرِدُهُ الوِردُ	115 وتكررت في:124 167،160،137،132، 172،171، 185،232،349.
	المشَوقِ	يا لاَئِمَ المُشْتَاقِ تعْـ نِيفُ **المُشَوَقِ** الصّبِ عُنْفُ	134وتكررت في:186،187.
	شَوقِي	حَنِينِي إلى من خلُب قلبي دارهُ و**شَوْقِي** إلى من ليّس عَنِّي بِغائبِ	52 وتكررت في:166.
	أشواقِهِ	من مُبلِغُ النّائِي المُقِيِّم تحيةً مِن راحِلٍ شاكٍ جَوى **أشْواقِهِ**	141 وتكررت في:153.
	أشواقٌ	ثمّ اعْتَرَتْنِي **أشواقٌ** تُجهِّلُنِي كيّفَ اطمأنّتْ بِقلْبِي بَعْدَكَ الحالُ	189 وتكررت في:138.
غرب	مُغْتَرِب	هَلاّ بِأَدنَى العَذّابِين اقْتَنعْت لنَا فَالذّبْحُ أرّوحُ من تعْذيب **مُغْتَرِب**	.106
	اغْتِرابِي	ولا تحْمِلي هَمَّ **اغْتِرابِي** فلمْ أزلْ غَرِيبَ وفَاءٍ في الورى وبيانِ	.278

	التغرب	يا دهــرُ كمْ هـذا التفـرُّ قُ و**التّغـــــــرُب** والشّتَـــاتُ	.346
نَأَى	نَـأوا	**نَـأَوْا** فأدَنَتْك منهمُ الذكــرُ ومثــلتــهُــم لقلبـــكِ الفِــكـــرُ	127 وتكررت في: 148،152،157.
	نَأتْ	خَلِيلِيّ مَا أَلَتذَّ عيشًا ولاَ لَــهُ إذَا مَا **نَأتْ** عَنِّي رُويقـةُ رونَقُ	143 وتكررت في: 51، 189،316.
	التّنَائِي	فيَا قَلبُ مَهْلاً لاَ تُرَعْ إنّ قُرْبَهِم إذا هَجَــرُوا مِثَــلَ **التّنَائِـي** إذَا شَطُــوا	129وتكررت في: 160،167،171،187، 188،278.
	تَنَاءُوا	**تَنَاءُوْا** ومَا شَطّتْ بِنَا عَنْهُمْ الدّار ومَـالـتْ بِهِمْ عنّـا خُطُوبٌ وأقْدارُ	.119
	نَأيتُ	فَـارقتُـهُ و**نَـأيتُ** عنـهُ ومَـا نَـأَى وجْـدِي بِــهِ وهَــوى الكرِيـم كريمُ	150 وتكررت في:152.
	تَنَاءَتْ	**تَنَاءتْ** بنَا عن نجّـدٍ وَ أهْلِــهِ نَوى غُربةٍ كالصّدعِ في الحَجَرِ الصّلْدِ	115 وتكررت في:120.

ألفــاظ الظــلم والشّــر

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
سوأ	ساءنِي	يَأتِي بمَا **سَاءنِي** عَمَدًا فأعْذرهُ ويظْهَرُ الغَدرُ لِي منـهُ فأنكُــرهُ	72 وتكررت في: 77،120 181،188.
	المُسِيء	ومَا بالُهُ يَلقَى البَريءُ مَن الضّنَى جَريـرَةَ مَا يأتِي **المُسِيءُ** من الذّنبِ	52 وتكررت في:89،152، 232.
	الإساءة	وليّس يقصــدُ إلاّ أنْ يَعرّفنِي أنّ **الإسَاءَة** عمـدٌ لَـمْ تكُـن غَلـطَـا	75 وتكررت في:375.
	إساءتهُ	إذا عرضتُ علَى قلبِي **إسَاءتَهُ** هَفَا وأنكَـر منهَـا كُـلّ مَـا عَـرفَـا	79 و تكررت في:266.

	سُوءُ	بالعَــذْلِ فيهـم وشقْـوتِي بِـهـمُ وسُـوءِ حظِي منْهُم جَـرى القلــمُ	91 و تكررت في:122،179.
	سَاءَ	إذا تجاهلتُ عما **ساء** منهُ أتى مِنَ الصُّدودِ بذنبٍ غيرِ مجهُولِ	86 وتكررت في:151،334.
	ساءنا	**ساءنا** مَا صِرّنا من عيِّشنَـا بعدمَـــا راقَ لنَـا مرآى ومَجنَـــى	150 وتكررت في:157،170، 289.
	مساءة	أبَا حسنٍ في طَيِّ كُلِ **مسَاءَةٍ** مِـن اللّهِ صُنعٌ للعبَــاد جمِيـــلُ	239 وتكررت في:256.
جور	الجائِر	حتى تعود إلى الرضا و يصُدّك الـ خُلُقُ الكريمِ عنْ الطّـريقِ **الجائـرِ**	86 وتكررت في:89.
	جَار	مَا حِيّلتِي في المــلُولِ يظْلُمُنِــي وليّس إنْ **جَـارَ** منــهُ لِـــي جَـــارُ	374.
	جَارُوا	هُمْ مجَال الكَرى من مقلتيّ ومنْ قلْبِي محلّ المُنَى **جَارُوا** أو اجْترمُـوا	201.
ظلم	ظالمًا	هجْركَ لِي **ظالمًا** وخوفُـكَ منْ دُعَــاي يا ظَـالمِـي هــو العَـجَـبُ	56 و تكررت في: 60،95،100.
	ظلمُوا	تبَـدلُـوا بِـي ولاَ أبغِي لَهُمْ بَدلاً حسْبِي هُمْ أنْصفُوا في الحكم أو **ظلمُـوا**	91.
	ظَالِمِي	هجْرُكَ لِي ظالمًا وخوفُكَ منْ دُعَـايَ **يَا ظَـالِمِي** هُـو العَجَـــبُ	56 و تكررت في:310.
	ظَلَمَتْنِي	**ظَلَمَتْنِــي** دولـــةُ العـــدْ لِ فمـــنْ يكْـشِـــفُ ظُـــلْـمِـــي	311.
	المظْلُوم	يُجمعُ الظّـالـــمُ و**المظْـــ ـلُـــومُ** بعْـــدَ المَـوتِ حشـــرُ	333 و تكررت في:340.

عدو	الأعَادِي	وأطَاعَ الوُشَاة فيَّ وصعـبٌ أنْ يُطِيعَ الحبيبَ قَولَ **الأعَـادِي**	66 وتكررت في: 114،197، 264،270،291.
	العدو	وَبِحكْمِ **العَدُوّ** تحكُـمُ ألَحَـــا ظُـلكَ فِي قَلْبِنـا وأنْتَ الحَـبِيّــبُ	58 وتكررت في: 273،278،301، 308.
عذّبَ	تعذيب	هَلاّ بِأدنَى العَذّابينَ اقْتَنَعَتَ لنَا فَـالـذّبحُ أرْوحُ مِن **تَعْذِيبِ** مُغتَرِبِ	106 وتكررت في:214،133، 333.
	التّعذيبُ	وكَذَا الصّبّ يُحْسِنُ الجُـور في الحُـ ـبّ لـديّـهِ ويعَــذبُ **التّعْـذِيّبُ**	58 وتكررت في: 109،319.

ألفاظ المصائب والمحن

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
رزأ	لرزايا	وَلستُ أُنكِر مَا يأتِي الزّمانُ بِـه كُلَّ الـورى **لرَزايَا** دَهْـرِهِم هَــدف	135.
	الرّزايا	ألـقى **الـرّزايـا** رابِطَ الجَأشِ فِي أحْـدَثِـهَـا مُجتـمِـــــعُ اللُّـــبِّ	258 و تكررت في: 278،294، 381.
	للرّزايَا	بَينَـا الفتَـى تعْلُـو بِه جُدودُهُ إذْ أسلمتُـــهُ **للـــرّزايَـــا** فــهَبَــط	334.
	رزيتي	إلى اللهِ أشْكُو روعتِي ورَزِيتِي وحُـرقَــةَ أحشَــائِــي لفقْـدِ أبِــي بـكْـرِ	347.
	رُزِئْتُ	رُزِئتُ أبَا بكْرٍ عَلَى شَغَفِي بِه فَيَا لهفتَـا مَــاذا جنَى الحَــادِثُ البِكْــرُ	348.
ثـكلَ	ثاكلاً	مَا رأيْنَا **ثَاكِـلاً** من قبــلِهَا مَا لهَـا فِي إثْـــرِ مفْـــقُـودٍ دمُـــوعُ	336.
	ثاكلٍ	ثكُولٌ ولاَ دَمْـعٌ لهَـا إثْـــرَ هَـالِكٍ وكُـلُ رقُـــوبٍ **ثَـاكِـلٍ** دمْعُهَـا هَـمْـــرُ	349.

	ثُكلِهِ	خشِيّتُ عليهِ اليُتم لكنْ **ثُكلـــهُ** ولَـوعتَـــهُ لَـمْ يَخْطُـرا لِي علَـى فِكْـــرِ	.347
	ثَكْلَى	وأفْرِدْتُ منْهم فَارتِياعِي لفقْدِهِـم كـرَوعَـةِ **ثَكْـلَـى** أوجَعَتْـهَـا الجَنَـائِـــزُ	.350
	ثَكُولٌ	كأنَنِي عَجُولٌ أو **ثَكُـولٌ** إذَا جَرى بسَمْعِي عَـنْ غيـر اعْتِمَادِ لَكُمْ ذِكْـ	126، .353.349
خطب	الخُطوب	وَأقُــولُ: تُصْلِحـكَ **الخُطُــو بُ** وأنْتَ مِــن بعْـضِ الخُطُـوبِ	52 و تكررت في: 192،117، 222،201، 278،281، 286،333، .339،345
	خطوب	وأنَا الدّهر في **خطوبٍ** زمَــانٍ أشْـربُ الصّبْـرَ فِيّهِ من حُسّنِ صبْرِي	127 وتكررت في:135، 215،323، .348
	خُطَبُ	أَحبَابَنَا **خُطبُ** التفــرّق شــاغــلٌ عَنْ العُتبِ لكِــنْ جَــاشَ بالكمَدِ الصّدْرُ	169 و تكررت في:260، 300،280، .306،302
	الخطب	قد كُنْتُ أخضعُ في الخطبِ المكّمْ فمُذْ وليّت يا نصر عَـاد **الخُطب** يخْضَعُ لِي	240 و تكررت في:241،258 262،261، 281،269، 356،289، .359
	لخطبٍ	لم أسْتكِــن أبــدًا **لخطــب** نـازلٍ إلاّ لبُعْـدِكَ فـهُــو غيـر مُطـاقِ	183 وتكررت في:280،288
حدث	الحوادث	تشاغلتُمُ بالهجرِ ولوصلٌ ممكنٌ وليّس إليّنَــا فِي **الحَــوادثِ** مُرّتقَــى	180 و تكررت في:198،228 260، 286،288، 300،356
	حادثٍ	فمَا هُو في خطبٍ و إن راعَ جَازِعٌ مُــروعٌ، ولاَ فِــي **حَــادثٍ** متــلبـدُ	260 و تكررت في:300.
	حادثاتُ	**وحـــــادِثَـــاتُ** اللّيـــالِـــــي مملّـــــةٌ، مَـــا تُغِـــــــــب	.280
	الحادثات	أيا مُنْقِذي، و**الحَادثَاتُ** تنُوشُنِي ودافِـعَ هَمِّـي إذ تَـــرادف بعـثَـــه	165 و تكررت في: 166،177، .266

حمَمَ	فالحِمَام	وكلّ غريب الدّار فالأرضُ دونهُ وإن كَانَ حيًّا **فالحِمَـــامُ** اغتِـرابُـــهُ	.104
	الحمام	إمّا السّلوّ أو **الحمامُ** و مَا سِوى هَــذَيــنِ قِســـمٌ ثَــالِــثٌ تخْتَـــارُهُ	120 و تكررت في: 139،261، .363
	حِمامٌ	وإن أتَانِي **حِمــامٌ** أستريـــحُ بِـهِ فَيالَهَــا منّةً للمَــوتِ فِــي عُنُقـــيُ	.139
	حِمَامُهُ	فعاجَلَهُ قبْلَ التّمامِ **حِمـامُـــهُ** ولا عجبٌ قد يُخضَـدُ الغُصنُ النّضـرُ	.348
قبر	القبْر	فمَا خير مُلكٍ أنتَ عنهُ محاسِبٌ ومَملكةٍ من بعْدهَـا المَوتُ و**القبـــرُ**	256 و تكررت في:347،299
	القُبور	وتَحـولُـوا من بعْـــــدِ سَكْـــ ـنَـاهَـــا إلَـى سَكـــنِ **القُبـــورِ**	.331
	قبـر	أو مَا يَنْهَـاك عــنْ ظُـلْـــ ـمِــك مَـــوتٌ، ثُـــمّ **قــبْـــــرُ**	333 و تكررت في:349.
	قبرك	أزُورُ **قبْرَكَ** مُشْتاقًا فَيحْجُبُنِي مَــا هِيّـلَ فَـوقـكَ من ترب وأحْجَــارِ	.350
قتل	القتلْ	وهَلْ نَال منْهم آلُ حربٍ وغيرهُمْ من النّاس فوقَ **القتـلِ** والسّبِي والنّهْبِـي	163 و تكررت في:248.
	قاتله	فأرداهُ فردُ الحُسنِ فـردًا وإنّـــهُ ليُـرهَبُـهُ مِـنْ رهْطِـهِ **قَاتلـهِ** الـرهْـطُ	.130
	بقتل	هدر الهوى دَمُهُ لأنّ لحـاظُــهُ أرّدتْــهُ أمُّ الفتَــى **بِقتْـــلِ** القَــاتِــلِ	.88
	بقتلهم	ولكنّ شفينَا النّفْسِ من لاعِجِ الأسَى **بـقَتْـلِـهِـم** إن كَــان منْـــهُ شِـفَـــاءُ	.258

	قتيل	وقَسّمتُ الفرنْجَ بالغزوِ شطْـريــــ ـــنَ: فهَـذا عـــانٍ وهـــذا **قتيـــلُ**	.241
	القتالاَ	وعلَـــى الوعـيـــرةُ معشـــرٌ لـــمْ يَعْهَـــد وافيـهَـــا **القِتَـــالاَ**	264 و تكررت في:266.
مَنِيَ	المنَايا	يعْـــلُـــو بهَـا هـــذا ويهْـــ ـبِـطُ ذَا وقصـــرُهُـــمْ **المنَـــايَـــا**	293 و تكررت في:344،336 ، 354،357.
	المَنِيـة	إذْ الصِّبا عنْدَ التّصَابِي عُذْرِي وغَـايـــةُ **المَنِيـــــةِ** أمّ عَمـرو	68 و تكررت في: 27،245،268 1،284 ،350.
	المنّيات	طَوالِعُ الشّيبِ إنْ راقتكَ واضحةً طَـلائِـــعٌ قـدّمتـهُـــنّ **المنِيـــاتُ**	.316
مـوت	يَمُوتُ	مَا هِـــي إلاّ السّـراب يتبعُـهُ الظّمْـآنُ حتَى **يمُـوتَ** بالعَطَـشِ	73 و تكررت في: 141.
	الموت	غَطّى الجَمَالُ علَى ذمِيمِ فِعَالِهِ و**الموتُ** يَسْـتُرُهُ صِقَالُ المُرهَـفِ	78وتكررت في:122،256 ،259،319 ،324،329.
	مَيِّتْ	أنَا بعْـــدهُـــمْ **ميّـــتٌ** ولِـــي مـــنْ جِسّـــمِي البَالِـي ضَرِيـحُ	109 وتكررت في: 201، 345.
	الممات	وقد كَان **للبَيّنِ** المُشتّ أوائلٌ ولَيّـس لـــهُ حتّـــى **المَمَات** أواخِـرُ	.124
	الأموات	وفِي تمِيمٍ ومَنْ وَالاَهُ مَوْعظةٌ إنذارُهَا يَسمَعُ **الأمـــواتَ** في الرَّجـــمِ	.244
	مَاتَ	فِي زُمْـرةِ الشُّهَـــداء يُحْـــ ـشَـــرُ فِي غَـــدٍ إنْ **مَـــاتَ** عِشقًـا	140 و تكررت في:269،334 ،336، 357.

	ماتُوا	**مَاتُوا** جميعًا كرجْعِ الطّرف وانْقرَضُوا هَـلْ تـرى تَـاركٌ للعيّـنِ إنْسَـانَـا	.357
ندب	نُدُوب	وبِكُـلِ قلـبٍ مـن حـوا دِثهـا وأسّهُمِـهَـا **نُـدوبُ**	345 و تكررت في:178.
	نُدُوبُهُ	وَبحَسبِ قَلْبِك مَا بِه منْ حُبِّهِمْ فعَلامَ تقْرفُ بالصُّدودِ **نُـدوبُـهُ**	.55
نَوب	النّوائبِ	إلى كَمْ أُعنّى بالسّرى والسّباسِبِ ويُصّدعُ شَمْلِي بِالنّوى وَ**النّوائِـبُ**	.107
	نوائبُهُ	إلَى اللّهِ أشْكُو عِيّشَةً قدْ تنَكّدتْ علَيّ ودهْـرًا قَـدْ ألحّتْ **نَوائبُـهُ**	106 و تكررت في:230،281
	بنوائب	وَقَصـدْنَنـي **بِنَـوائـبٍ** وألِيـنُهُـنّ بِـلاَ اقْتِصَـادِ	.111
	نوائبٌ	مَا كَفّ كفِّي عن جُودي بموجودي **نَـوائـبٌ** ومُلِمّاتٌ لحّـتْ عُـودِي	285 و تكررت في: 345،346.
	نائباتٍ	أرُوحُ من **نائباتٍ** لاَ تُغِبْ ومِنْ هُمُوم عيّشٍ كمَا لا أشْتهِـي غَرضَا	.288

ألفاظ الضّجر والشكوى

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
شكو	أشكو	وإليّكَ أشّكُـو برحَ هَـمٍّ كُـلّ يـومٍ فِـي ازْديّـادِ	111 و تكررت في:116،118، 167 176،213،253.
	الشّكوى	وتَزيدُهَا **الشّكوى** إليها قسوة ولقلّمَا يَشْكِـي الظّلُـومُ القَادرُ	118 و تكررت في: 143،245،276.

	أشتكي	أأحبابنا ما **أشْتَكِي** بعد بُعدِكم سِوى أنَنِّي بَاقٍ ولُبِّيَ حاضِرُ	.124
	شكوتُ	لِمَنْ أُلُومُ ومَنْ ذَا لِي يرقُّ إذَا **شكَوتُ** بثِّيَ أو أردانِي اللّهْفُ	137 و تكررت في:141.
	شَاكٍ	منْ مُبْلِغَ النّائِي المُقِيمُ تحيّةً مِنْ راحِلٍ **شَاكٍ** جَوى أشّواقِهِ	.141
	شكوى	وأُلاَمُ فِي **شَكْوى** جَوايَ وقلّمَا يحْظَى المفَارق بالرّفيقِ الرّافِقِ	141 و تكررت في:155، 167،311
	بالشّكوى	وإذا الدّمُوع نَزحْنَ فَالـ ـزّفراتُ **بالشّكْوى** تبُوحُ	109 و تكررت في:141.
مـلـل	ملّ	وهُو مِنْ نَاظِري وقَلْبِي وإنْ **مَـ ـلّ** وأبْدى القِلَى مكَانُ السّوادِ	66 و تكررت في: 307،319،311 .359
	ملولاً	يا **ملُولاً** قلّمَا يَرْ عَى لمنْ يهْواهُ عَهْدَا	64 وتكررت في: 93، .166
	الملولِ	أُبْلُغْ رضاك من الجفاء فَشِيمَتِي وصلُ **المَلُولِ** وحفظُ عهْد الغَادر	69 و تكررت في: 87،77،75،71 .289،95،90
	ملولٍ	يا حاضرًا بفؤادٍ نَاءٍ غائبٍ والنّجْمُ أقربُ من **ملُولٍ** حاضرٍ	69 و تكررت في: 93 .191،166
	الملالِ	واحملْ لهُمْ جُور **الملالِ** وحملهُ صعبٌ ولكِنّ القطِيعَة أصعبُ	51 و تكررت في: .311،96،90

ألفاظ الضعف والفتور

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
ضعف	الضّعيف	حمّلُوهُ وهُو **الضّعيف** من التعْـ نيفِ فيهم واللّوم ما لاَ يُطِيق	.284،287،188
	يضعفُ	بِي لوعتَانِ عليك **يضعف** عنهُما جلْدِي من الأشْواقِ والإشفاقِ	.183

	ضعفوا	لو حَالُوا الأفْلاكُ ما قصرتْ عنْها أكفُّهُمْ ولاَ **ضعـفُــوا**	.257
	الضّعيفة	وهي **الضّعيفةُ** تنفكُ كاسفةً ذليلـةً تمْـرِي دمْعِـي وأحْزانِي	.324
	الضّعفُ	لمّا تخطتْنِي السّبْعُـون مُعْرِضـةً وسَــاورَ **الضّعفُ** بَعْدِ الأيّـدِ أرّكَــانِـــي	.324
	ضَعُفت	إن **ضعفتْ** عنْ حمْلِ ثقْلِ رجلِي ورَابنِـي عِثَـارُهَـا فِي السّهْلِ	.322
	أضعفهُ	وملّ تكَاليـفَ الحيـاةِ وطُـولهَا و**أضْعـفَهُ** منْ بعدِ قـوتِهِ الكبرُ	.319
	تضعفُ	لاَ تسْتعِر جلدًا على هجرانِهِمْ فقَواك **تضعف** عن صدودِ دائمِ	.92

ألفاظ العبوس واليأس

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
عبس	العابس	لِلّهِ دِرُّك مِنْ فتَـى أبْـدَتْ بـِهِ أيَّامنـا بِشـرَ الزّمَـانُ **العَـابِس**	.223
	عابس	إذَا مَا آثَرُوا النّقْعُ فَالثّغرُ **عَابِسٌ** وإنْ جـرّدُوا الأسّيــاف فالثّغــرُ بَاسِـــمُ	.272
يــأس	اليأس	ولاَ تقُـولُـوا: صَبّ بنَـا كلِـفٌ فَأولُ **اليّـأسِ** آخِـرُ الأمْـلِ	86 و تكررت في: 97، 115،116،136، 141.
	يئستُ	حتَى إذَا **يئِسَتْ** دعَتْ زِفراتِها فيـضَ المَدامِعَ بالشّجَـا المتعـرّض	128 و تكررت في:160،165،181

	يأسُهُ	يزيدهُ **يأسُهُ** منهُم بِهُمْ شَغفَا وقلّمَا يتَلاقَى اليــأسُ والشّغَـفُ	136 و تكررت في:181.
	باليـأسِ	إذا رجعتُ باليأس منهُ مطَامعِي عَلِقتُ بأذيَــال **الظُّنُـــون** الكَــواذبِ	52 و تكررت في:176،234، 358.
	يأس	وإذَا فَزِعْتُ إلى الأمَانِي صَدّنِي **يــأسٌ** يُحقِقُــهُ الــزّمَــانُ الخَــاتِـر	118 و تكررت في:255.

ألفـاظ الوحـدة

الأصل	المفردة	الشاهد	الصفحة
فرد	أفردتني	أأحبابنا مُذ **أفْردتْنِي** منْكمُ صُـروفُ اللّيالِـي أفردتنِي بالهَــمِّ	148.
	أفردنِي	مُحَافِظًا لعُهُودِي حِينَ **أفْـردَنِي** ظلّي وأعْرضَ عنِّي طيفُ أحْلامِي	192 و تكررت في: 299،359.
	متفردًا	**مُتفردًا** بالهم من لي سَاعـةً برفــاقِ شعيَا أو عُـلالـة داهِـرِ	173.
	أُفردت	و**أُفردت** منهمْ فَارْتِياعِي لفقْدِهم كَـروعَةِ ثكْلَى أوجعتْهَا الجَنَائِزُ	350.
فرق	افترقنا	ثمّ **افْتَرقْنَا** بغتَةً فإذَا الذِي كُنَـا نُسَـرُّ بِـهِ فُكَـاهـةُ حَـالِمِ	148 و تكررت في:309.
	فراقك	أشْكُــو **فِراقَــكَ** فهُـو أو جــعُ مَـا لقِيّــتُ من الحَـوادثِ	167.
			108 و تكررت في: 137، 152.

	فارقتهم	**فارقتهم** فكأنّي ما سُرِرْتُ بهم يومًا وقدْ عشّتُ مَسْرورًا بهِم حِجَجَا	
	فارقتُهُ	ولاَ أسِفْتُ لأمْرٍ فَاتَ مطلبُهُ ولكنْ لفرقـةِ من **فَـارقتُـهُ** الأسفُ	135 و تكررت في:149،150، 158.
	فرقة	تَدانَتْ بنا الأهْـواءُ والبُعـدُ بيّننَا ومَا **فرقةُ** الأحبابِ حَـزنٌ ولا سهبٌ	104 و تكررت في:131،179، 182.
	فارق	مُذَلّهٌ **فَارَقَ** الأحْبَابَ أغبطَ مَا كَانُوا وكـان بهِـم جذْلاَنَ مبْتهِجَـا	108 و تكررت في:114،117، 190.
	التفرق	لقدْ صَدَعَتْ بعد **التفرّق** شَمْلنَا صَدعِ الصّفَا مَا إنْ لَهُ أبـدًا جَبْـرُ	123 و تكررت في: 130،137،178.
	الفراق	مـا ظَنَنَا نُفوسَهمْ بانْصِداعِ الشّمْـل يومًا ولاَ **الفِـراقُ** تطيـبُ	58 و تكررت في: 67،111،120،138، 140،144،168،185، 186،188.
	فِراقُنا	فَقُـل لِمَـنْ أشتَمـهُ **فِـراقُـنَـا** وسـرّهُ أنْ جَـار دهْـرٌ واعْتَدَى	117 و تكررت في:168،172،188.
فقد	فقد	فَلِي كُلّ يومٍ منْ جَوى الهَمِّ صَاحِبٌ يُجدِّدُ أحْزانِي عَلَى **فقدِ** صاحِبِ	107 و تكررت في:157.
	لفقدهم	وأُفْرِدتُ منهمُ فَارتِيّاعِي **لفقْدِهِمْ** كَروعةِ ثكْلَى أوجعتهَا الجنائزُ	350 وتكررت في:352،359.
	فقدهم	لمْ يتْرُكْ الدّهرُ لِي منْ بعدِ **فقْدِهِمْ** قَلْبًا أجْشّمَـهُ صبْـرًا وسلوانَا	357 و تكررت في:358،359.
	بفقد	لعمْرُكَ ما يُنْسِينِي الدّهرُ روعتِي **بِفَقْدِ** أبِي بكرٍ حياتِي ولاَ يُسلِي	354.

	مفْقُودُ	مَاذَا انْتفَاعِي إذَا كَانتْ زخَارِفُهَا موجُودة وحبِيبُ النّفْسِ **مفْقُودُ**	115 و تكررت في:336.
	فقَدُوا	وأَقْتَدِي بالورى قبْلِي فكَم **فقَدُوا** أخًا وكَمْ فَـارقُـوا أهْـلاً وجِيّرانَـا	357.
	فقدهُ	منُوبَةُ الفاقِدِ عـنْ **فقْــدهِ** بِصْبـرهِ أنْـفَـعُ مــن وجــدهِ	359 و تكررت في:318.
وحش	وحشـةً	أبْكِي اشْتِياقًا وتَحِنُ **وحشةً** فقَـدْ شَجانِي حُزنُهَــا وحُزنِـي	151 و تكررت في:160،162،167، 173،351.
	مُسْتوحِشًا	**مُسْـتـوحِشًــا** مـَعَ كثـرةِ الــ خُــلاّنِ وحشـةٌ ذِي **انْـفِــرادِ**	167.
	أوحشتْنِي	إذَا **أوْحشَتْنِي** جِفْوةُ الخِلِّ ردْنِي إليّــهِ وفَــاءٌ بالإخَاءِ ضَنيـنُ	98.
	توحّشت	بَعُدَتْ مَسَافَةُ بيْنَنَا و**توحّشْتْ** حتّى عَلَـى طيْفِ الخَيَال الطّــارِقِ	181.
هجر	الهجر	بِنَفْسِي قَـرِيبُ الدارِ و**الهَجْرُ** دُونَـهُ وبُعْـدُ التّقَـالِي غيـرُ بُعْـدِ السّبـاسِب	51 و تكررت في:61،64،66، 11،70،77،85،103، 4،127،148، 169،172،256.
	هجرِي	أنْكَرتُ **هَجْرِي** والزّمَانُ بجُورِهِ يقْضِي بأنْ يتَهَاجـر الأحبابُ	53 و تكررت في:65،68،71.
	هجرك	**هجرُكْ** لِي ظالمًا وخَـوفُـكَ منْ دُعَـايَ يا ظَالِمِي هو العجبُ	56 و تكررت في:65،83.
	هجره	يا ظَالمًا أفْنَى اصّطِبَارِي **هجْرهُ** وابْتزّ ثَوبَ تمَـاسُكِي وتجَـالُـدِي	62 و تكررت في:63،75،77،114، 204.
	هجركم	يا غَادرينَ إلاَم يَثْنِي **هَجْركُمْ** ومَـلالكُمْ أمَلِـي بِجِـدِ نَـاكِـص	74 و تكررت في:87.

	هجر	لا تبكِهِم إنْ نزحــت دارُهُــمْ واهْجُرهُمْ **هَجْرَ** الخَلِّــيّ المُفِيــقْ	80 و تكررت في:83،122، 128،144.
	بالهجر	أحينَ خَالفتُ فِيكَ الخَلقَ كُلّهُمُ أطَعْتَ بِي واشِيًا **بِالهجْرِ** يُغْرِيكَا	83 و تكررت في:88،101،102، 190.

تُفصِحُ الجداول المدونة أعلاهُ عنْ الحقول الدلالية التي وظّفها الشّاعر "**أسامة بن منقذ**" في معجمه الشّعري مع جميع تكراراتها في الديوان، والتي كلّها تصب في قالب واحد وهو قالب الحزن والأسى والحسّ المأساوي.

اللّغة الشّاعرة ليست ألفاظًا لها حدود معلومة بقدر ماهي لغة تصوير وخيال وانفعال، والملكة اللّغوية تكتسب بالاطلاع والبحث في المعاجم وكثرة قراءة الشعر وحفظ الجيد منه، وحفظ كلام العرب الفصيح، كل ذلك يقوي ملكة الشاعر ويثري ذخيرته، وألفاظ الشّاعر " **أسامة بن منقذ** " تباينت بين اللّين والسلاسة والنعومة والرقة والقوة والجزالة والمتانة، باختصار لغته وألفاظه ينتميان للطابع السّهل الممتنع.

2- الأسلـــوب:

الأسلوب هو القالب الذي تُصَبُ فيهِ الأفكار والمعاني، وبذلك يخرج العمل فيه في أبهى حلّة، فهو بمثابة الثّوب للبدن، وهو من يكشف ملامح الفنان أو الشاعر؛ لأنّه

كما يقول **بـوفـون** " الأسلوب هو الإنسان نفسه "[1]، أو هو كما يعرفه **ميشـال فـوكُـو** هو" طريقة معينة في القول "[2].

والأسلوب هو شخصية الشاعر؛ لأنّه يُبيّن ملامحه وشخصيته وبصمته المميزة له التي تنعكس في شعره أو رسوماته أو غنائه، وبها يتمكن القارئ من التعرف على شخصيته، والشاعر " **أسامة بن منقذ** " ككل شاعر مبدع له أسلوبه الخاص الذي يميّزه عن غيره.

يقول " **ابن العساكر**" **ت(1176م):**" أسامة له يدٌ بيضاء في الأدب والكتابة والشعر... مالك عنان النّظم والنّثر، متصرف في معانيهِ، لاحق بطبقة أبيه، فقصائده الطِّوال لا يفرق بينها وبين ابن الوليد يعني ـ البحتري أو مسلم بن الوليد... لا يتعثّر لفظهُ العالِي في شيءٍ من فضولها "[3]، ويقول عنه **العماد الأصفهاني ت(1201م):** "من الأمراء الفضلاء والكرماء الكبراء، وأسامة كاسمِهِ في قوةِ نثرِهِ ونظمِهِ "[4]، ويُثنِي عليهِ " **اليّاقوت الحموي** " **ت (1229م)** في معجمِ " **الأدباء** " بقوله: " وفي بني منقذ جماعة أشراف شعراء لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم "[5]، ويقول " **الذّهبي**"**ت (1343م):** " أسامة أحد أبطال الإسلام، ورئيس الشّعراء الأعلام "[6].

---

[1] عدنان بن ذريل: النّص والأسلوبية بين النّظرية والتطبيق دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،(د، ب)، (د، ط)، 2000م، ص: 43.

[2] بشير تاوريريت: الحقيقة الشّعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول والمفاهيم)، اربد للنشر والتوزيع، عمان، الأدن، ط1، 2010م، ص:148،149.

[3] ابن العساكر: تاريخ دمشق، ج8، ص:90،91.

[4] العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشّام)، ص:498.

[5] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص:191.

[6] أسامة بن منقذ: مقدمة لباب الآداب، ص:24.

أسلوب الشاعر " **أسامة بن منقذ** " جيّد الرّصف يعتمد على دقة الذوق ويكثر من التشبيه وتقلُ عند الاستعارة والكناية ويسيطر عليه البديع، وأسلوبه مفعم بالتشاؤم والحزن خاصة حينما يتكلم عن نفسه مشبها حالته النفسية بالشمع المشتعل مثلما جاء في قولهِ [1]:

حُتَــامَ قَلْبِــي بالكَآبةِ مُكمَـدٌ بَــاكٍ ووجْهِــي للتجَمُــلِ مُسْفِــرُ

كَالشّمْعِ يُشْرِقُ بِالضّياءِ ونَارُهُ مَشبُـوبَــةٌ ودمُــوعَــهُ تتَحــــدّرُ

يشبه الشاعر حالته الحزينة بالشّمع الذي يبدو في ظاهره مشرقًا، لكن في أحشائه النار تتلهب، فمنظرهُ جميل حين يكون مشّتعلاً ومنيرا للأرجاء، لكن ما خفي وراء هذا المنظر الجميل ألم ومعاناة داخلية خفية، وقد برع الشاعر في وصف حالته السيئة من خلال هذا التشبيه الذي أقامه ليقرب الصورة ويوضحها أكثر للمتلقي.

ويكاد يكون أسلوبه في الغزل أسلوبًا طربًا مفعمًا بالطلاقة، خاصةً عندما يتحدث عن المحبوبة والخمرة فيتكلم وكأنّهُ في حالة انتشاءٍ أو سكرٍ منها، إذ يقول[2]:

وغَــزالٌ فِــي فِيّــهِ راحٌ ودرٌ وعَقِيــقٌ رطْــبٌ، ومِسّــكٌ فَتِيّــقُ

شَبْهُــوا دُرّ ثغْــرِهِ بالأقَاحِي ليّــس لِلْأُقْحُــوانِ ذَاكَ البَــرِيّــقُ

بِي سُكْرٌ مِنْهُ وسِحْرٌ، فَلاَ أُر قَــى لهَــذا، ولسّتُ منْ ذَا أُفِيّــقُ

في هذه الأبيات الغزلية يمزج الشاعر" **أسامة بن منقذ** " بين الخمرة والمرأة مشبهًا الحبيبة بالغزال دون توظيف أداة التشبيه، بل جزم على أنّها غزالة أسنانها بيضاء كالعقيق أو الحجر الكريم، ورائحةُ نفسها كرائحة المسك الفتق أي (القوي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:72.

[2] المصدر نفسه، ص:83.

الرّائحة)، كما شبه حلاوة ريقها بالخمرة، ثمّ يعود لوصف أسنانها مشبها نصاعة بياضها بزهرِ الأقحوان والتي دلهت الشاعر حتى صار لا يفهم حالته أأصابه سحرٌ أم هو في حالة سكر.

وبمسحةِ الحزن يكتب الشاعر أسامة قطعة مؤثرة عن فراقِهِ لأهلهِ[1]:

رَمتْنَا اللّيــالِــي بافْتِـراقٍ مُشتَـتٍ أشَــتُ وأنْــأَى مــنْ فِـراقٍ المحصّـبِ

وقَدْ نَثرَ التَّوديعُ منْ كُــلِ مُقْلــةٍ عَـلَـى كُـلِّ خَـدٍّ لُــؤلُــؤًا لمْ يُثْقّــبِ

وحين يتذكر أسامة أحبته يتضايق قلبه من شدة الوجد والاشتياق، يقول[2]:

إذَا مَرَّ ذِكْراكُــمْ بقلْبِـي تَضَـايقَــتْ ضُـلُـوعِـي عمّـا تحْتـهُـنّ من الوجْـدِ

وأعْجـبُ منْ تشْتِيّتِنـا بعْدَ أُلْــفـةٍ ومنْ نقْـلِـنَــا بعــدَ الـدُّنُــو إلـى البُعْــدِ

وعنْ بُعْدِ المسافة التي تفصلُ بيّنه وبين أهلِهِ، يقول أسامة[3]:

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أرضِ نجـدٍ وأهْلِهِ نَـوَى غُرْبةٍ كَالصّدعِ في الحجرِ الصّـلْـدِ

وقَدْ قِيلَ فِي اليّأسِ الشِّفَاءُ من الهَوى ودَائِي الذِي أقْضِي بِهِ اليّـأس من نجــدِ

وفي أبياتٍ أخرى يبكي شبابه بظهور علامات الشّيب على رأسهِ والتي يراها علامة دُنُو أجلهِ فهو حزين يقول[4]:

نَضَا صبْــغُ الشّبَـابِ، فلسّـتُ أدْرِي لِصبْــغٍ حَــــالَ، أم تغييــــرُ حَــــــالِ

---

(1) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:72.

(2) المصدر نفسه، ص:114.

(3) المصدر نفسه، ص:115.

(4) المصدر نفسه، ص:321.

ومَا أبيّض الغُـــرابُ الجَـونُ إلاّ لينْعَـــبَ بِـانتقَـــالٍ وارتحَـــــالِ

وفي موضعٍ آخر يودع "**أسامة بن منقذ**" شبابه الذي أدبر، مستقبلا عجزه الذي أقبل في قوله [1]:

أُنْظُـرْ إلَى لَعِـبِ الزّمَـانِ بأهْلِهِ فَكَـأنّـهُـــمْ وكَـــأنّـــهُ أحْـــلاَمُ

قَدْ كَـانَ كفِّـي مَـألفًا لمهنـدٍ تُعْـــرَى القُلُـوبُ لَـهُ وتُفْرى الهَـامُ

فَرجعتُ أحمِلُ بعدَ سبعينَ العَصَا فَـاعْجَـبْ لِـي مَـا تَـأْتِـي بِهِ الأيّـامُ

تبدو في هذه الأبيات مسحة الحزن واضحة جلية، خاصةً حينما يتذكر أيّامه السّوالف في ميدان الوغى حاملاً سيّفِهُ ذائدًا به عن وطنه وهو في شرخِ شبابهِ، فهو يبكيها ويبكي شبابه الراحل خاصة حينما بدأت تباشير الشيب تلوح مبشرة إياه بكبر السن وإمساك العصا بيدهُ.

وأهم ظاهرة في أسلوبه استخدام " **المصطلحات الدينية** " منها قوله [2]:

فَليّسَ بعْـدَ المَـوتِ دارٌ سِـــوَى جنّـــةِ عَـــدْنٍ أو لظًـــى تَضَـــرمُ

والمَوعِـدُ الحشّرُ ويُجْزَى عَنْ الـ أعْـمَـــالِ والغَبْـــنُ لِمـــنْ يَنْـدَمُ

ويضّجر أسامة من الدنيا؛ لأنّهُ لا سلامة ولا عافية من أذاها ومصائبِها، ويتبرم ويتحسر على الانسياب وراءها والاشتغال بها عن فعل الخير والطّاعات التي هي

---

[1] المصدر نفسه، ص:322،323.

[2] المصدر نفسه، ص:339.

أساسُ وجودنا والواجب الأساسي الذي كلّفنا الله بتأديته، فيقول متأسِفًا متذمرًا على التفريط في الآخرة التي هي دار القرار[1]:

أُفٍّ للـدُّنيـّـا فمَــا أوبَـا جنَاهَـا لَيّسَ يَخْـلُـو مَـنْ رآهَـا مِنْ آذاهَــا

أوردتْــنا النّــار لا مَــأْوى لنَــا مِنْ لَظَاهَـا ويحَّ مَنْ يَصلَى لَظَاهَــا

أمَرتَنَــــا بالمعَــاصِـي فَـإذَا وفَّــقَ اللّــهُ أمــرُأً منّــا عَـصَـاهَــا

آهٍ مــنْ تفْــريطِنَــا شُغْـلاً بِهَـا عَــنْ فِعَـالِ الخيّرِ والطّـاعَــةِ آهَــا

وعن الثقة بالله يقول أسامة بن منقذ [2]:

إذَا مَـا عَـرَا مَـالا أُطِيقُ دِفَـاعَــهُ وأرْمَضَـنِي الفكــرُ المسـهِّـدُ*والهَــمُ

دَعَوتُ الذي نَاداهُ مُوسَى لدفْعِ مَا يُحَاذِرُ مِــنْ فِــرْعَونَ فانْفَــرقَ اليّــمُ

ونَاديتُ مَنْ نَاداهُ ذُو النُّونِ واثِقًا بِــهِ فِي ظَــلامِ البَحــرِ فانْكَشَفَ الغَــمُ

ويدعو الله ويبتهل إليه، بقوله [3]:

يَا رَبِ حُسّنُ رَجائِي فِيكَ حَسُنَ لِي تَضيّيعَ وقْتِي فِي لَهْوٍ وفِي لعِبِ

وأنْتَ قُـلْــتَ لِمَنْ أضْحَــى علَــى ثِقَــةٍ بِحُسْــنِ عَفْــوِكَ: إنِّي عِنــدَ ظَنُّك بِي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:342،343.

[2] المصدر نفسه، ص:339.

[3] المصدر نفسه، ص:226.

أيضًا " **للحكمة والأمثال** " نصيبٌ كبير في أسلوبه، فمثلا يصور حالة البشر وتناحرهم على الدنيا والموت يترصدهم من كل جهة وهم عن ذلك غافلون، فيقول بأسلوب الحكماء [1]:

النّاسُ كَالطّيرِ والـدُّنيا شِبَاكُهُـمُ وَهُـمْ بهَـا بَينَ ركَّـاضٍ ومْختَبِـطِ

والموتُ قَنّاصُهُمُ يأتي على مَهْلٍ لِهُلْكِهِـمْ بَيْـنَ مَـذْبُـوحٍ ومُعتَبِـطِ

وقَدْ شُغِلْنَا بدُنْيـانـا وزُخْـرُفِهَـا فَالخَلْـقُ مَـا بيّن محزونٍ ومُغْتبِـطِ

ويصف تأرجحات الدهر باثًا الحكمة في قوله[2]:

والدّهـرُ كَالمِيزانِ: ذُو الفضلِ ينْـ حـطُ وذُو النُّقْـصـانِ يسْتـعْـلِـي

وعن الصبر يقول[3]:

لَوْ صَبرنَا علَى البَـلاء احْتسَابًـا لـرجَـونَـا عنّـه جَـزيـل الثّـوابِ

غـيّـر أنّ اصْطِبَـارنَا صبْرُ عجْزٍ واضْـطِـرارٍ، كَـذاكَ صبْـرُ الـدّوابُ

ولمّا رأى نمْلاً يتجاذبُ زهرة، كلّما أخذتها نملةً انتزعتها أخرى، يقول[4]:

شَـاهَـدْتُ نمْـلاً قَـدْ تجَاذبَ زهْـرةً ذَا قَـدْ تملكَهَـا، وهَـذا يسْلِـبُ

مثْلَ المُلُوكِ تجاذبُوا الدنيّـا، فمَـا حصـلـتْ لمغْلُـوبٍ ولاَ مـن يغْلِـبُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:333،334.

[2] المصدر نفسه، ص:308.

[3] المصدر نفسه، ص:295.

[4] المصدر نفسه، ص:296.

ومن خصائص أسلوبه الشّعري أيضًا " **التكرار اللّفظِي** " وهُو كثيرٌ في شعْرِهِ، بل هو السّمة المميزة لشعره، منها ما جاء في قولهِ[1]:

وأُلامُ في شكْـوى جَـوايَ وقلّمَـا يحْظَـى المُفَـارقُ بالـرّفِيـقِ الـرّافِـقِ

هلْ يُغْنِيّنْ صمْتِي عَنْ الشّكْوى إذا شكَـتْ الجَوى زفَـراتُ قلْبِـي الخَـافِـقِ

هبْنِي أُكفكِفُ زَفْـرتِـي ومدامِعِـي مَـا حيّلتِـي وشَجَـا التجمّـلِ خَـانِقِي

أنَا كَالحَمَامِ تبُوحُ حِيّنَ تنُوحُ بالشّكْـوى ولَـمْ تفْـغَـر لهَـا فَـمٌ نَـاطِـقِ

في هذه المقطوعة الباكية الشّاكية كرّر الشّاعر الألفاظ التالية: (**شكوى، الشّكوى، بالشّكوى، جواي، الجوى، الرّفيق، الرّافق، زفرتي، زفرات)** وفي ذلك تأكيدٌ لمعاناته وحزنهِ الشّديد، وفي قولهِ[2]:

أُنْظُر إلى صرفِ دهْرِي كيّف عودنِي بعد المشيّبِ سِوى عاداتِـي الأولِ

وفِي تغايُرِ صَـرفِ الـدّهْـرِ مُعْتبَـرٌ وأيُّ حَـالٍ علَـى الأيّـامِ لمْ تَحُـلِ

كرّر الشاعر عبارة (**صرف دهري، صرف الدهر)** مرتين ليبين أنّ الدهر استفحل في تغيير مجريات حياته.

ويشتكي أسامة عجزه عن كتمان حزنه أمام دموعه التي فضحته وعبرت وباحت عمّا بداخله من آلامٍ وأحزان في قوله[3]:

كَتَـمَ الجَـوى القَلْـبُ القرِيّحُ فَـأذاعَـهُ الـدّمْـعُ الفَضُـوحُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:141.

[2] المصدر نفسه، ص:305.

[3] المصدر نفسه، ص:108،109.

إنّ الـــدُّمُـــوعَ لهَـا لِسَـــــــــــانٌ بالأسَـى لَسِـــنٌ فَـصِيّـــحُ

وإذَا الـــدُّمُـــوعُ نَـزَحـــنَ فَـالــزّ فـــــراتُ بالشّكْـــوى تَـبُـــوحُ

مَـــاذَا يُجِـــنُّ مـــنْ الحَنِـــ يّـــنِ إليّـكُـمْ القَـلْـــبُ القَـرِيّحُ

وعندما شغلت الوحدة والفراق جزءًا كبيرًا من حياته، اتجه الشاعر ينادي أحبائه بنبرة اكتساها الحزن، يشكو إليهم السقم الذي خلّفه شوق رؤياهم والاجتماع بهم من جديد، يقول[1]:

أأحبَـابُنَـــا مُـذْ أفرَدتْنِـي مِنْكُـمْ صُـــرُوفُ اللّيـالِـــي أفْـردتْنِـي بِالهَـــمِّ

وحُمِّلتُ ثِقْـلَ الشّـوقِ عنّكُمْ وإنّنِـي لَأضْـعـفُ عنْ حمْـلِ التشَّـوقِ والسّقْـمِ

الوحدة والغربة مُرّة لا ضيّر إذًا إن خاطب الشاعر أحبابه في هذه الأبيات الدامية الشّاكية ساردًا الوضع الذي أصبح عليه من دونهم، مُكررًا ألفاظ الوحدة (**أفردتني، الشّوق، التشوق**)، ليوصل صدى مواجع قلبه وآلامه.

أمّا عن الكبر والمشيب الشّاعر ابن منقذ ينعِي الشّيب مُكرِرًا لفظهُ ثلاث مرّات للتأكيد على أن بوادر ظهوره إعلانٌ بقرب الموت، يقول[2]:

والشّيبُ شُهُبٌ رمتْ شيطانَ شرّتَهُ فَـأقْصـــدتْـهُ، وكَـمْ تنْجُـو الرّميّـاتُ

للّـهِ درُّ الصّبَـا، لـــو دامَ رونقَـــهُ فمَا كَـأوقَـاتِهِ فِـي العمْـرِ أوقَـاتُ

ولاَ رَعَى الشّيبُ من زورٍ إذا نزلَ الـ مثْـوى نَـأتْ وسَرتْ عنّهُ المسرّاتُ

طَوَالِعُ الشّيبِ إنْ راقَتْـك واضِـحَـةٌ طَـــلاَئِـــعٌ قَـــدّمتـهُـنّ المنِيّـــاتُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:148.

[2] المصدر نفسه، ص:316.

ومن أساليب الطلب في شعره أسلوب " **النِّداء** " وما أكثره في شعر أسامة بن منقذ منها ما ورد في قوله مخاطبًا الدهر كأنّه آدميٌّ يسأله ويعاتبه بمرارة[1]:

يَا دَهْـــرُ كَـــمْ هَـــذَا التَّفَـــــرُّ قُ والتـــغَـــــــرُبُ والشّـــتَـــاتُ

وفي نداء آخر له يخاطب المهموم يبشرهُ بأنّ لطف الله قريبٌ في قوله[2]:

يَا آلِفَ الهَـــمِّ لاَ تَقْنَط فأيّأَسُ مَـــا تَكُـــونُ يأتِيّـــكَ لُطْـــفُ اللهِ بالفَـــرَجِ

وأسلوب " **الاستفهام** " يكثر في شعر أسامة بن منقذ، فجاء بمختلف الأدوات منها الاستفهام (**بالألف، هل، كمْ، ماذا، كيف**)، ومن أمثلة **الاستفهام بالألف** قول أسامة يندبُ وطنـهُ وأهلـــهُ الهـــالكيـن فـــي الـزّلازل بحصـــن شيـزر بمسحة حزينة، يقول[3]:

حيّـا رُبُـــوعَـكِ من ربًـى ومنـازل سَـــارِي الغمـامِ بِكُلِ هَـــامٍ هَـــامِـلِ

أبْكِيّـــكَ؟ أمْ أبْكِـــي زَمَـانِي فِيّـكَ؟ أمْ أهْلِيّـكَ؟ أمْ شَـــرْخَ الشّبَـابِ الرّاحِـــلِ؟

الاستفهام بالهمزة هنا كشف عن حيّرة الشاعر وتسائله من يبكي؟ أيبكي وطنه، أم زمانه، أم أهله، أم شبابه؟ فهو في حيّرة من أمره.

الاستفهام بـــ: هل: حين يتساءل الشاعر عن البحر إن كان ماؤه يروي العطشان في قوله [4]:

هَـــلْ ينْفَـعُ الظّامِـي إذَا مَـــا ظمَـــا أُجَـــاجُ بحْـــرٍ ليّـــسَ بالنّـــاقِـــعِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:311.

[2] المصدر نفسه، ص:296.

[3] المصدر نفسه، ص:354،355.

[4] المصدر نفسه، ص:335.

الاستفهام بـ كمْ الخبرية: لإحصاء النّكبات التي صادفت الشاعر في حياته وبعثت فيه القوة والعزيمة من جديد في قوله[1]:

كَمْ نكْبَـــةٍ ظَـنّ العِـدا أنّهَا الرّدَى سَمَـــتْ بِـــي، وأعْلَـتْ فِي البَرِيّةِ شَانِـي

الاستفهام بـ ماذا حين يتساءل عن فائدة الوقوف على الديّار التي أنهكتها الزلازل، في قوله[2]:

مَاذَا الوقُوفُ علَى دَارٍ بِذي سَلَمَ عجْمَـاءَ أو قَـدْ عَـرَاهَا عَـارِضُ البَكَـمِ

الاستفهام ب كيف: لا شك أنّ لأسلوب الاستفهام علاقة وثيقة بالرثاء، فقد حمل ذلك الأسلوب ما يهيّج في نفس الشاعر من حرقةٍ وأسىً لفقد ابنه، يتجلّى ذلك حين يتساءل أسامة عن طريقة نسيان ابنه الذي فقده في عمر الزّهور أو تصبره على وجعه لفراقه في قوله[3]:

كيْفَ أنْسَاكَ يا أبَا بكْـرٍ، أمْ كيـــ ـــفَ اصْطِبَـاري مَا عنّـكَ صبْري جمِيـلُ

كما كان لأسلوب " **الأمـر** " الحظ الكبير في شعر أسامة بن منقذ، ومن أمثلة الأمر في شعره ما جاء في قوله[4]:

اصْبِرْ إذَا نَـابَ خطْـبٌ، وانْتظِرْ فَرجًـــا يَـأْتِـي بِـهِ اللهُ بعْـدَ الرّيْثِ واليّـأسِ

وقوله[5]:

قُـــلْ لِلـــرّجَـــاءِ: إليّـــكَ قَـــدْ أتْعَبْتَـنِـــي بَـعْـــدَ الكِـــــرامِ

---

(1) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:355.

(2) المصدر نفسه، ص:341.

(3) المصدر نفسه، ص:353.

(4) المصدر نفسه، ص:346.

(5) المصدر نفسه، ص:378.

وفي قوله[1]:

يَا آلِفَ الهَــمِّ لا تَقْنَط فأيــّــأَسُ مَــا تَكُــونُ يأتِيّــكَ لُطْــفُ اللهِ بالفَـــرَجِ

ثِقْ بالذِي يَسْمَعُ النّجوى ويُنْجِّي من الـ ـبَلْــوى ويسْتَنْقِـذُ الغَرَقَى من اللُّجَــجِ

وفي قوله[2]:

عِش واحِدًا أو فالتمِــسْ لكَ صَــاحِبًا فِــي مَـحْتــدِيْ ورعٍ وطِيّــبِ نِجَــارِ

واحْذَر مُصَاحَبةَ السّفِيــهِ، فشَــرّ مَــا جَلَــبَ النَّــدامـــةَ صُحْبَــةُ الأشْـــرارِ

وفي قوله[3]:

أُنْظُر إلى حُســنِ صْبرِ الشّمْعِ، يُظْهِرُ للـ ـرّائِيّـنَ نُـــورًا، وفيــهِ النّــارُ تسْتعِــرُ

تميز أسلوبُ الأمر في شعر أسامة بن منقذ بطابع الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ومن أمثلة أسلوب " **النّهي** " ما ورد في قول الشاعر[4]:

لاَ تَــأْسَـفَــنّ لِــذاهِــبٍ أو فَــائِتٍ يُـــرْجَـــى ولاَ تُتْبِعُـــهُ زفْـــرةَ نَـــادِمِ

---

(1) أسامة بن منقذ: ديوانه ، ص296.

(2) المصدر نفسه، ص:287.

(3) المصدر نفسه، ص:300.

(4) المصدر نفسه، ص:309.

جاء النّهي في مجملهِ دالٌ على الخير ومرشدٌ لطريق الهداية ومصحح لبعض التصرفات الخاطئة فهو نهيٌ هادف وبنّاء، ظاهره نهيٌ وباطنه نصح وحكمة، مثلما ورد في قول أسامة[1]:

لاَ تخْضعنّ رغْبًا ولاَ رهْبًا، فما الـ مَـــرْجُـــو والمخـشِـــــيُّ إلاّ اللّـــهُ

مَـا قَـدْ قضَاهُ اللهُ مَالكَ مـن يدٍ بِـــدفـــاعـــهِ وسِـــواهُ لاَ تخْشـــاهُ

وفي قوله[2]:

لاَ تَرْتَجِ الخلْقَ، فَالْأَبْوابُ مُرْتَجـةٌ دُونَ الحُطَـــامِ، وبَـــابُ اللّهِ مـفْتُـوحُ

أيضًا من الأساليب الشّائعة كثيرًا في شعر أسامة بن منقذ أسلوب " **التفدية** " من أمثلة ذلك قوله[3]:

نفْـسِي فِـدَاؤُكَ من خيَـالٍ زائِـــرٍ مُتَعـتِبٌ عِـنْـدِي لَـــه الإعتَـــابُ

ويفدي الشاعر من يُحب بروحه حتى وإن عاتبه بالجدِّ في قوله[4]:

نَفْسِـــي فَـــدَتْ بَـــدرَ تمَـــامٍ إذَا عَـــاتَبَنِـــي بِالجَـــدِّ أو بِـالمُـــــــزاحْ

أسلوب التفدية بارز حين يفدي الشاعر بنفسه من يحب حتى وإن صدّ عنه وهجره وفي ذلك قمة الحب والوفاء والتضحية فيقول[5]:

أنَا أُفْدِي مغْـرًى بصَـدِي وهَجْـرِي وهُو شَمْسِـي ضُحًـى، وفي اللّيلِ بَـدرِي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:312.

[2] المصدر نفسه، ص:327.

[3] المصدر نفسه، ص:53.

[4] المصدر نفسه، ص:59.

[5] المصدر نفسه، ص:71.

ومن الأساليب التي طرقها أيضًا أسلوب الحوار منها ما جاء في قوله[1]:

قَالُــوا: أتسلُـــو عَـــن حبيّـ ـبِـكَ قُـــلـــتُ: لاَ واللهِ عَمْـــري

قَـالُـوا: فـفيّـــهِ تـبَـــــذَّلٌ يـأبَـــاهُ مثْـلُـكَ قُـلْـتُ أدْرِي

يسرد الشاعر الحوار الذي قام بينه وبين حبيبته السابقة، حين تساءلت عن شعره الأسود أين ذهب؟ ليجيبها بنبرة حزينة مستسلمًا لقضاء الله وإرادته التي سبقت كل شيء في قوله[2]:

نظَـرتْ مُبيـضّ فَـودِي، فَبكَـتْ ثُمّ قَـالتْ: مَـا الـذي بعْـدِي عَـــرَاهُ

قُلتُ: هَـذِي صبْغَـةُ اللّهِ، ومِـنْ يصْبُـــغُ الأسّـــودَ مبيـضّـا سِـــواهُ

أيضًا من الخصائص التي ميّزت أسلوب أسامة بن منقذ خاصية " **التدوير***" الذي يُعدُ سمة بارزة في شعره، فهو يكسبُ البيت نغمًا موسيقيًا متصلاً من أول البيت إلى آخره، ولعلّ الشاعر تعمد هذه الظاهرة في شعره؛ لكثرتها منها ما جاء في قوله[3]:

ثِقْ بالذِي يَسْمَعُ النّجَوى ويُنْجِّي من الـ ـبَلْـوى ويسْتَنْقِـذُ الغَرْقَـى من اللُّجَـجِ

أبدع الشاعر ابن منقذ باستخدامه هذه الخاصية، لما فيها من نغم موسيقي جذاب ورنان تستحسنه أذنُ السّامع، يقول[4]:

لاَ تخْضعــنْ رغْبًـا ولاَ رهْبًـا، فمَـا الـ مَـــرْجُـــو والمخشِـــيّ إلاّ اللّـهُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:73.

[2] المصدر نفسه، ص:325.

[3] المصدر نفسه، ص:296.

***التدوير**: هو ما كان قسيمهُ متصلاً بالآخر، غير منفصِلٍ عنهُ وجمعتهما كلمة واحدة.(ينظر: ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ص:331).

[4] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:312.

ويقول بنبرة حزينة متسائلاً كيف ينسى ابنه وكيف يصبر عليه [1]:

كيّـف أنْسَـاكَ يَـا أبَا بَكْـرٍ، أمْ كيـ ـفَ اصْطِباري مَا عنّكَ صبْـرِي جمِيـلُ

تميّز أسلوب الشاعر " **أسامة بن منقذ** " بالتنوع والثراء، حيث استخدم الشاعر المصطلحات الدينية، الحكمة والإرشاد، الأمثال، أسلوب النداء، الأمر، النهي، التكرار، الحوار، التدوير، أسلوب التفدية، بالإضافة إلى روعة الصور ومزجِ الأفكار، وعمق المعاني وترابطها، والاستعانة بالصور البيانية والمحسنات البديعية غير المتكلفة.

3- الخيـــال:

للخيال أهمية كبيرة في التجربة الشّعرية، بل هو عنصر هام في الشعر فهو أساس نجاح الشاعر فكلما كان الشاعر يمتلك خيالاً خصبًا وواسعًا كلما كان أكثر قدرة على إنتاج صورٍ جديدة لها تأثير بالغ في المتلقي، وقد لجأ الشاعر أسامة بن منقذ للخيال كثيرًا في شعره، فكثرت تشبيهاتهُ واستعاراتهُ، وهذه التشبيهات والاستعارات هي مادة الخيال وأداتهُ فلا تكاد تخلُو قطعة من تشبيه أو استعارة أو كناية، منها ما جاء في قوله[2]:

بُعْـدًا لِمَـنْ شَـرُّهُ أعْمَـى، يُصِيّبُ ولاَ يـرَى مكَـانَ الأعَـادِي منْ ذَوي النّسَـبِ

كَالنّـارِ تُحْرِقُ طبعًـا، لاَ تُمِيِّـزُ بَـ يّـنَ المندلِ الرّطبِ في الإحْـراقِ والحَطَبِ

خيال الشاعر " **أسامة بن منقذ** " واسع جدا خاصة لمّا شبه صورة الحقد الذي ينجمُ عنه كره كبير يؤدي إلى الأذية لكل شخص حوله، كالنّار تلتهم كل شيء يصادفها لا تميز بين العُود الطّيب الرّائحة والعديم الرّائحة.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:353.

[2] المصدر نفسه، ص:295.

ولعلّ براعة الشاعر الخيالية قد تجسّدتْ في هذه الأبيات الرّائعة، حين شبه صورة النّمل وهو يتصارع على أطراف زهرة بصورة الملوك وهم يتنازعون حول الملك والسلطة والأموال، ولكن في النهاية الدنيا ليّست لا للغالب ولا المغلوب البقاء لله وحدهُ، في قوله[1]:

شَـاهَــدْتُ نَمْــلاً قدْ تجَاذَبَ زَهْـرةً ذَا قَــدْ تملّكـهَـا، وهَــذَا يسْلِــبُ

وقد أدى خيال الشاعر وظيفة استعارية رائعة حين جعل للدّهر أنيابًا تعض كالحيوان المفترس، والدهر عضّ الشاعر حين أخذ أمواله منه الأعداء، فهو يُحمِّله هذه الخسارة في قوله[2]:

مِثلَ المُلُوكِ تجَـاذبُــوا الدُنيا، فمَا حصَلــتْ لمغْلُــوبٍ ولاَ مَـنْ يغْــلِبُ

إنْ سَـرَّ أعْـدَائِــي أنْ عَضّنِــي دَهْــرِي بِـمَـا أذْهَـبَ مِـنْ مَـالِـي

من كثرة تتالي المصائب على الشّاعر وهو صابر عليها صار الصبر بالنسبة إليه كالمشروب يحتسيه في كل وقت، وهذه استعارة مكنية تُوحي بمدى تجلده وقوة صبره في قوله[3]:

وأنَا الـدّهْــرُ في خطُـوبِ زمانٍ أشــرُبُ الصّبْـر فيـهِ مِنْ حُسْنِ صَبْـرِي

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:296.

[2] المصدر نفسه، ص:292.

[3] المصدر نفسه، ص:245.

ومن الصور الكنائية التي ساهم عنصر الخيال في تصويرها الكناية، وقد تجلتْ الكنايـة عـن موصـوف في قولـه[1]:

مَـالِـــي وللأيّـــامِ كَـــــمْ تُصْـمِّـــي* نَـوافِـذُهَـا فُـــؤَادِي**

كنّى الشّاعر عن السّهام النافذة (تُصمِي نوافذُها)، وهي صورة رمزية تُبيّنُ قُدرة الأيّام على الفتكِ بالشّاعر، إنّها صورةٌ تُومِئُ بالكثير من الدلالات الإيجابية الدالة على البطش والتدمير والخراب، وكأنّ الشّاعر يراها خصمًا جبَارًا لا قوة في ردعهِ كالموت لاَ حِيلة في ردِه.

الشّعر عنصر مُهمٌ لا يمكن الاستغناء عنه، فهو المعبر على حضارة الأمم والحافظ لها، والخيال جزء هام في تشكيل الصورة الشعرية ورسمها، فهو تلك العملية المؤدية إلى تشكيل الصورة البعدية عن الواقع أو التي قد تكون من محض خيال أي لا وجود لها مطلقاً في الواقع المعاش إذ أن للخيال القدرة على تقريب البعيد وإبعاد القريب والربط بين المكونات.

4- الموسيقـى:

تُعدُ الموسيقى الشّعرية من أهم الأسس التي يقوم عليها الإبداع الفنِّي، فهي عبارة عن شيءٍ راقٍ يسمُو بالبيتِ إلى فضاءات الإلهام والجمال، لذلك لقيت اهتمام العديد من الشعراء منذ القدم، فأخذوا ينظمُون قصائدهم على إيقاعات مناسبة لألفاظهم الحزينة منها المفرحة، وتنقسم الموسيقى بدورها إلى قسمين موسيقى خارجية وداخلية وهذا ما سنحاول دراسته في هذا الفصل، وإذا أردنا تعريفها نستطيع القول بأنّها " مجموعة من التفعيلات تجمعتْ في شكل منتظم متناسق كونتْ ما يسمى بالبحر، وقد

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:111.

*أصمّى الصّيد: رماهُ فقتل مكانهُ. **النّوافذ: السّهام النّافذة. (ينظر: المصدر نفسه، ص:111).

أكّد بعضُ النقاد القدماء أنّ الوزن والقافية هما العنصران الأساسيان في الشعر العربي، إذ يرون أنّ الوزن هو أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصيةً، أمّا القافية فهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعرًا حتى يكون لهُ وزن وقافية، وعليه فالموسيقى الخارجية مقتصرة إلاّ على الوزن والقافية "[1].

4-1 الـــــوزن:

" هو عبارة عن قالب شكلي يصُبُ فيه الشاعر إبداعهُ، مما يُكسبُ الشعر جمالاً ويهبهُ موسيقى عذبة، ويجعلهُ أسهل على اللّسان وأقرب إلى القلوب "[2]، فالوزن الشّعري لا يتحقق إلاّ بوجود انسجام صوتي بين أجزاء الإيقاع، يقول ابن رشيق: "الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية "[3]؛ أي أنّ الوزن هو الذي يُعطي الكلمة صورة موسيقية ملائمة وإيحاءً خاصًا.

نهج أسامة بن منقذ نهج الشّعراء القدامى، فطرق في نظم شعرهِ أغلب أغراض الشعر العربي تقريبًا، ولم يخرج من الدائرةِ الخليلية، حيث انتقى أسامة أشعارًا كُتِبت على اثني عشر بحرًا شعريًا كما هو موضح في الجدول الآتي وهي على الترتيب: الكامل، البسيط، الطويل، الخفيف، السريع، الوافر، المنسرح، الرجز، الرمل، المتقارب، المجتث، المديد، وعلى هذه الأوزان نظم أسامة**525** مقطوعة بلغ عدد أبياتها**3777** بيتًا من الشعر.

---

[1] ينظر: حسني عبد الجليل يوسف: موسيقى الشعر العربي(دراسة فنية وموضوعية)، ج1، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر(د، ط)، 1989م، ص:08.

[2] حسين علي عبد الحسين الدّخيلي: دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2011م، ص:73.

[3] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 2، ص:120.

البحور الخليلية	الكامل	البسيط	الطويل	الخفيف	السريع	الوافر	المنسرح	الرجز	الرّمل	المتقارب	المجتث	المديد
الأغراض الشعرية												
الغزل	33	22	09	13	16	02	06	03	02	04	01	00
الشكوى والحنين	32	22	29	01	02	01	03	05	02	00	00	00
المكاتبات والمعاتبات	14	13	21	03	00	05	01	01	00	00	00	02
الوصف	01	02	02	01	00	00	01	00	00	00	00	00
المدح	05	12	05	05	04	01	01	00	00	01	00	00
الحماسة	06	02	08	01	01	01	01	01	00	00	00	00
الفخر	01	00	02	00	01	00	00	00	00	00	00	00
الأدب	15	07	08	02	02	01	00	01	01	01	02	00
الملح	01	03	01	01	02	03	01	00	00	00	00	00
الشواهد والأمثال	15	22	04	06	04	02	03	00	00	01	00	00
الكبر والمشيب	10	06	05	00	02	02	00	01	02	01	00	00
الزهد	05	09	05	03	03	00	02	00	04	00	00	00
المراثي	05	07	05	02	01	01	00	00	01	00	00	00
المجموع	143	127	104	38	38	19	19	12	12	08	03	02
	27,23 %	**24,19 %**	**19,80 %**	**07,23 %**	**07,23 %**	**03,6 %1**	**03,61 %**	**2,28 %**	**02,28 %**	**01,52 %**	**00,57 %**	**00,38 %**

بناءً على ما تقدّم ومن خلال الجدول الإحصائي أعلاهُ يمكن القول:

إنّ الشاعر أسامة بن منقذ حرص حرصًا شديدًا على تسخير البحور الطويلة التامة إلى جانب المجزوءة؛ لأنّها تمنحُ الشاعر فرصة الإبداع والتجديد والتطوير في الفنون الشعرية كافة على نحوٍ أفضل من غيّرها.

البحور الآتية: الكامل والبسيط والطويل هي الأكثر انتشارًا واستعمالاً في ديوانه كما هو الشأن في الشعر العربي القديم، أمّا البقية فقليلة الشّيوع في شعره، فبحر الكامل هو أكثر البحور التي نسج عليها أسامة بن منقذ قصائدهُ ومقطوعاتهِ، ويليهِ البسيط ثُمّ الطويل ثُمّ الخفيف وأقل بحر قال فيه هو المديد.

إنّ شعر "**أسامة بن منقذ**" قد خلا تمامًا من بعض البحور الشعرية كالمضارع والهزج والمتدارك والمقتضب، وربما كانت صعوبة النّظم فيها لتعثرها وضعف إيقاعها، وإحساس الشاعر بعدم انسجامها مع أسلوبه في التعبير عن تجاربه الإنسانية التي منعتهُ من استعمالها في نسيج شعره.

البحور التي نسج عليها الشاعر ابن منقذ شعره اثنا عشر بحرًا، وسنأتي للتمثيل ببعض النماذج الشّعرية من ديوان الشّاعر للبحور الأكثر حُضورًا في ديوانه.

- ✓ **بحـــــر الكـــامـــل:**

يتصدر بحر الكامل المرتبة الأولى من حيث عدد الأوزان التي نسج على منوالها الشاعر أسامة بن منقذ، ويشتهر هذا البحر بجلجلة إيقاعه وفخامتهِ، وهو من أشهر الأوزان شيوعًا في موسيقى الشعر العربي.

✓ **وزنُـــه:**

مُتْفاعِلُنْ مُتَفَاعـلُـنْ مُتَفـاعِلُنْ * مُتْفَـاعِلُـنْ مُتَفَاعـلُـنْ مُتَفَاعِلُـنْ**[1]

ومن أمثلتهِ في شعر أسامة قوله[2]:

كَـالشّمْـعِ يُشْرِقُ بالضّيَـاءِ ونَـارُهُ	**مَـشبُـوبَـةٌ ودُمُـوعُـهُ تتحـدّرُ**
0//0/0/ 0//0/// 0//0/// مُتْفَاْعِلُنِ مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ	**0//0/0/ 0//0/// 0//0/// مُتْفَاْعِلُنِ مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ**

✓ **بحـــر البسيـــط:**

سُمِّي بسِيطًا لانْبساطِ حركاتهِ، وقد احتلّ البحر **البسيط** المرتبة الثانية في شعر أسامة بن منقذ من حيّث الشُّيوع والسّيطرة .

✓ **وزنـــــه:**

مُسْتَفْعِلُـنْ فَاْعِـلُـنْ مُسْتَفْعِلُـنْ فَاعِلُـنْ * مُسْتَفْعِلُـنْ فَاْعِـلُـنْ مُسْتفْعِلُنْ فَـاْعِلُـنْ** [3].

من أمثلتهِ في شعر أسامة بن منقذ، قوله حين وصلهُ خبر وفاة صديقٍ له[4]:

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إخْـوانِـي وفُرقتِهِـمْ	**غدْرٌ، وأجمَـلُ بـي مِنْ صَـبْرِي الجَـزَعُ**
0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/ **مُسْتَفْعِلُـنْ فَـاْعِلُنْ مُسْتفْعِلُنْ فعِلُنْ**	**0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/** **مُسْتَفْعِلُـنْ فعِلُنْ مُسْتَفْعِلُـنْ فَعِلُنْ**

---

[1] جورج مارون: علما العروض والقافية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د، ط)، 2008م، ص:73.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:72.

[3] جورج مارون: علما العروض والقافية، ص:61.

[4] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:351.

✓ **بحـــر الطـــويـــل:**

سُمِيّ بذلك؛ لأنّهُ أتمُّ البحور استعمالاً، فهو بحرٌ يكثر النّظم عليهِ أو؛ لأنّهُ أكثر البحور حروفًا ولا مشارك لهُ في هذا كما سُمِّي الرّكُوب لكثرةِ ما كانت تستعملهُ العرب في أشعارها، "إنّ هذا البحر يشيعُ في الشعر العربي بصورة كبيرة، وهو من البحور الطويلة وأحفلها بالجلالِ والرّصانة والعمق[1]، يقول عنّه **إبراهيم أنيس:** " ليّس بين بحور الشّعر مَا يُضارع بحر الطويل في نسبة شيُوعهِ، فقد جاء ما يقرب من ثُلث الشّعـر العربي القديم من هذا اللّون "[2].

✓ **وزنـــــــه:**

فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ * فَعُولُنْ مفَاعِيلُنْ فَعُولُن مفَاعِيلُنْ**[3]

ومن أمثلة **بحر الطويل** في شعر أسامة بن منقذ قوله[4]:

إلَى اللّهِ أشْكُو عِيشَةً قَدْ تنكّدَتْ	**عَلَيَّ ودهْرًا قَدْ ألحّتْ نَوائِبُهُ**
0//0// 0/0// 0/0/0// 0//0	**0//0// 0/0// 0/0/0// /0// 0//0**
فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِلُنْ	**فَعُوْلُ مفاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِلُنْ**

2-4 القــافيــة:

تحتاج القصيدة العربية لكي يكتمل بناء نصها الشّعري إلى عنصر آخر يرتبط بالوزن ارتباطًا وثيقًا فكلاهما يُتمِمُ الآخر، فالشّعرُ العربِي " كلامٌ موزونٌ مُقفَى دالٌ على

---

[1] صابر عبد الدايم: موسيقى الشّعر العربي بين الثّبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1993م، ص:108.

[2] إبراهيم أنيس: موسيقى الشّعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1965م، ص:59.

[3] جورج مارون: علما العروض والقافية، ص:49.

[4] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:106.

معنى "[1]، وبدونهِما لا يمكن لنا أنْ نُعِدهُ شعرًا، فالقافية: " تُمثل حوافر البيتِ ومواقفهُ، فإنْ صحتْ استقام الوزن وحسُنتْ مواقفهُ ونهاياتهُ؛ لأنّ تكرارها يزيدُ من وحدة النّغم الموسيقي ولا سيّما في الشّعر الجيّد "[2].

عُنِي القدماء بالقافية فتحدثُوا عن مفهومها، وحروفها، وأنواعها، وعيوبها، **فالخليل الفراهيدي ت(791م)**: يعرفها " هي من آخر ساكن في البيت، إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله "[3]، وتتكون القافية من الحروف والحركات كالرّوي والرّدف والتأسيس والوصل والخروج والرّسِ والحذو والتوجيه والمجرى والنّفاذ من الحركات، ويتبين من خلال ذلك أن الرّوي هو القطب الذي تحيطُ به المفاهيم، وهو من الأركان الشعرية التي احتضنها الشّعر العربي في شكله العمودي القديم، والقافية أنواع:

4-2-1 القـــافيـــــة المطلقـــة:

وهي القافية التي تحرّك رويّها فتحًا، أو ضمًا، أو كسرًا، فأطلق المجرى بحركة حرف الرّوي وإشباعها أي تحويلها من حركةٍ قصيرة إلى حركة طويلة [4]، كقولِ الشّاعر أسامة بن منقذ[5]:

ومَـــا الحيَـاةُ لِمَنْ بَانَتْ أحِبّتَـهُ رِضًا ولاَ هُـو فِي الأحْيَاءِ مَعْـدُوْدُوْ
0/0/

---

[1] قدامة بن جعفر: نقد الشّعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص:53.

[2] جابر أحمد عصفور: مفهوم الشّعر دراسة في التراث النّقدي، (د، ط)، (د، ت)، ص:407.

[3] صفاء خلوصي: فن التقطيع الشّعري والقافية، مطابع دار الشّؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط6، 1987م، ص:213.

[4] محمد مصطفى أبو شوارب: إيقاع الشّعر العربي وتطورهِ وتجديدهِ، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط1، 2007، ص:20.

[5] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:115.

4-2-2 القـافـيــة المقيــدة:

هي ما كان حرفُ رويهَا ساكنًا، كقول الشّاعر أسامة بن منقذ[1]:

وانْظُـرْ إلَـى الأغْـصَــانِ حَــاْ مِـلَــةً شُـمُــوسًــا فِـي غَـيَـاْهِـبْ **0 / 0 /**

وبعد قيامنا بإحصاء نسبة القوافي من حيث حركة الرّوي في الديوان، توصلنا لما يلي:

جـــــدول تـوضِيّـحِـي لإحـصـــــاء القـوافـــــي المطلـقـــة والمـقـيّـــدة:

أنواع القوافي	عدد الأبيات	النسبة المئوية
القافية المطلقة	3608	%95،52
القافية المقيدة	169	%04،47

الجدول يُبينُ مدى حرص الشاعر أسامة بن منقذ في شعرهِ على الاهتمام بقوافيهِ، فآثر القوافي التي استساغت الآذان العربية سماعهَا من سِواهَا مُوظِفًا إيّاهَا في قصائدِهِ ومقطوعاتِهِ، حيثُ تنوعت حروفها وحركاتها، فتوفرت في الديوان القافية **المطلقة**

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:51.

و**المقيدة**، لكن المطلقة كانت بنسبةٍ أكبر من المقيدة لكون هذه الأخيرة تُتيحُ للشّاعر إمكانية إنهاء البيت بمقطعٍ طويلٍ مفتوحٍ، وهذا يُحققُ إيقاعًا موسيقيًا يساعدهُ على إطالة نفسه في التعبير عن الدفقات الشّعورية التي يعيشها، وهذا يعكس مدى حرية الشاعر في الإفصاح والتعبير عن ما يُرهقُهُ ويُؤرقُ نفسيتهُ، وهذا يفسر صراحة الشاعر في الإفصاح عن مكنونات قلبه والتعبير عن الآلام النفسية والأحزان الطويلة المريرة التي عاشها وعاصرها.

4-3 الـــــرّوي:

تحدث النقاد عن حروف جميلة الجرس، لذيذة النغم، كالهمزة، والباء، والدال والرّاء، والعين، واللاّم، وأخرى ثقيلة النّغم، مثل: التاء والثّاء والذّال والشّين، والضّاد والغين، ولاحظوا كذلك أنّ القاف تصلح رويًا للحربِ والشِّدة، والدال للفخر والفروسية والميم واللاّم للوصف، والباء والرّاء للغزل والنّسيب[1]، وللحديث عن هذه الحروف في شعر أسامة بن منقذ، وبعد استقراء نصوص الديوان كانت حروف الروي حسب الجدول الآتي:

المرتبـــة	الـــرّوي	عدد الأبيات	النسبة المئوية
01	الرّاء	564	%14،93
02	الميم	552	%14،61
03	اللاّم	430	%11،38
04	الباء	382	%10،11
05	القاف	320	%08،47
06	النون	308	%08،15
07	الفاء	300	%07،94
08	الدال	284	%07،51

[1] ينظر: أحمد الشّايب: أصول النّقد الأدبي، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط10،1994م، ص:331.

09	الطاء	123	%03،25
10	العين	110	%02،91
11	الهاء	87	%02،30
12	الحاء	81	%02،14
13	التاء	39	%01،03
14	الجيم	37	%00،97
15	الكاف	27	%00،71
16	الثاء	20	%00،71
17	الياء	19	%00،52
18	السين	17	%00،50
19	الضّاد	09	%00،45
20	الصّاد	07	%00،23
21	المقصورة	07	%00،18
22	الهمزة	07	%00،18
23	الشّين	06	%00،15
24	الزّاي	06	%00،15
25	الخاء	05	%00،13
26	الظّاء	04	%00،10
27	الذّال	03	%00،07
28	الغين	03	%00،07

إذا استنطقنا الجدول المرفق أعلاه يمكن أن نتوصل إلى ما يلي:

1) – أنّ حروف الرّوي التي تكرّرت بكثرة في ديوان الشّاعر " **أسامة بن منقذ**" هي: الرّاء، اللاّم، الميم، اللاّم، الباء، القاف، النون، الفاء، الدال، وهو ما يطابق تقسيم إبراهيم أنيس.

2) – أنّ حرف الرّاء قد تصدر المرتبة الأولى في ترتيب الرّوي، حيث بلغت عدد الأبيات التي احتلها **564** بيتًـا أي يعادل نسبة **14،93%**، لتأتي الميم بنسبة**14،61%**، ثمّ اللاّم بنسبة**11،38%**، ثم الباء بنسبة**10،11%**، ثمّ القاف بنسبة**08،47%**، ثمّ النُّون والفاء والدال.

3) – كما نلاحظ أنّ الطاء والعين والهاء والحاء والتاء والجيم والكاف والثّاء والياء تأتي بنسبٍ أقل من الحروف السّابقة وهي حروف متوسطة الشّيوع.

4) – وهناك حروف نسبة شيوعها نادرة جدًا وهي السّين، الضّاد، الصّاد، الألف المقصورة، الهمزة، الشّين.

وبهذا يكون الشاعر " **أسامة بن منقذ** " قد اتبع منهج القدماء في انتقائه لحروف الرّوي التي تتناسب وأغراضه الشّعرية، وهو نفس التقسيم والترتيب الذي اتبعه إبراهيم أنيس.

5- التـــنـاص:

النّص الشّعري ليّس عالمًا منغلقًا على نفسهِ، وإنّما هو امتداداتٌ عميقة داخل سياقاته الخارجية والمحيطة به، وقد تحول النص الشّعري في العصر الحديث إلى عالم منفتح على عوالم جديدة أدتْ إلى التفاعل الخصب بين النصوص الحاصل عن استحضار التجارب الشعرية للآخرين ثمّ دمجِها في التجارب الفنية الخاصة هو ما يسمى بالتناص.

5-1 التـنـــاص لغـــة:

إذا ما تتبعنا كلمة تناص نجد أنّه لفظٌ يعود إلى جذره اللّغوي نصص وقد أورد أصحاب المعاجم اللّغوية مجموعة من المعاني تفسر هذا الجذر منها ما جاء عند **ابن منظور**: الذي عرّفه بأنّه" النّص من نصّ نصًا وهي رفعك الشّيء، ونصّ الحديث

ينُصُهُ نصًا: رفعهُ، وكل ما أظهر فقد نصّ، ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشّهرة والظُّهور"[1]، ووردت في تاج العروس بمعنى الازدحام فقال:" تناصّ القوم ازدحمُوا "[2].

5-2 التناص اصطلاحًـا:(L'intertextualité)

قد أولى نقادنا العرب القدماء مفهوم التناص أو التداخل النّصِّي عنايتهم وعالجوهما لا بتسميتهما المعاصرة، وإنّما بتسميات أخرى، مثل: التضمين والاقتباس، والاستشهاد، والسّرقات، والمعارضات، والنّقائض [3]، إلى أن ظهر مصطلح التناص مع الباحثة البلغارية **جوليا كريستيفا*** سنة 1966م، حيث ترى بأنّ كل نصٍ "هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات وكل نص هو تشرُّب وتحويل لنصوص أخرى "[4]، وقد عرّفه **رولان بارت** بأنّه: " كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصيّة على الفهم بطريقة أو بأخرى إذ نتعرف على نصوص الثقافة السّالفة والحالية، فكل نص ليّس إلاّ نسيجًا جديدًا من استشهادات سابقة[5]، كما عرّفه **محمد مفتاح** بأنّه " ظاهرة لغوية معقدة تستّعصِي على الضّبط

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص:97،98.

[2] الزّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس،ج12، ص:182.

[3] ناهد أحمد الكسواني: تجليات التناص في شعر سميح القاسم، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، الجزائر، ص:04.

[4] محمد عزّام: النّص الغائب تجليات التناص في الشّعر العربي، اتحاد الكُتاب العرب، دمشق، سوريا،(د، ط)، 2001م، ص:12.

[5] رولان بارت: نظرية النّص ضمن كتاب آفاق التناصية، تح: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، ص:42.

والتقنين، إذ يعتمد في تمييزهَا على ثقافة المتلقي وسعةِ معرفتهِ وقدرتها على الترجيع"[1].

من خلال هذه المفاهيم يتضح أنّ التناص هو تأثر نص بنصٍ سابقٍ عليه، وهو مصطلح حديث ممتدٌ لظاهرة أدبية قديمة في أدبنا وهي ظاهرة تداخل النّصوص، وقد انتقلت إلينا بفعل الاحتكاك بالآداب الغربية.

5-3 أشكـــال التنـــاص في شعـــــر أســامـــة بـن منقـذ:

5-3-1 التـنـاص الـديـنـي أو القـرآنـي:

القرآن الكريم هو المرجع الأول والنّص السّامي الذي يلجأ إليهِ الشّعراء فهو يفيضُ بالصياغة الجديدة، ولقد أعطى القرآن الكريم الحرية في التأمل الجمالي والكتابة، ودعا إلى الاغتراف من منهلهِ العذب، إلاّ أنّ الشّعراء العرب القدماء لم يدركوا هذه الناحية التي تؤدي إلى الخلق والإبداع[2].

وبما أنّ الشاعر " **أسامة بن منقذ** " ترعرع في بيئةٍ ملتزمةٍ دينيًا، ومتشبِعة بالوازع الديني لا غرو إن أصاب نصيبًا وافرًا من الثقافة الدينية، فقد تجلّى التناص في لغته الشّعرية المتأثرة بالقرآن الكريم خاصةً في شعر الزهد والحكمة وهذا طبيعي؛ لأنّ القرآن الكريم مُقوِم أساسي من مُقوِمات الشاعر المسلم، فهو المعين الذي لا ينضب بما يحتويه من قصص وعبرٍ وأحداث، باختصار هو كلامُ الله المعجز بألفاظهِ ومعانيهِ، ومن أمثلة التناص القرآني في شعر أسامة بن منقذ اقتباسهُ من **ســورة النـُّور** قـوله

---

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005م، ص:131.

[2] ينظر: جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر المعاصر، دار هومة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص:167.

تعالى: ﴿ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٣٩ ﴾[1] وضمنّهُ في قوله[2]:

لاَ ترتَجِ النُّجْـحَ مــن مــواعِـدِهِ فهِـي صَبـاحٌ ينْجَـابُ عـنْ غبْشِ*

مَــا هِــي إلاّ السَّــراب يتبَعُـهُ الظّمْـآنُ حتَـى يمُـوتَ بالعطَـشِ

يقول" **الطّبري** " **ت(923م)** في تفسيره لهذه الآية أنّ هذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مَثَلُ أعمالهم التي عملوها (كسرابٍ والسّراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النّهار، وحين يشتدّ الحرّ)، وقوله: (بقيعة وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السّراب)، وقوله: يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً (يقول: يظن العطشان السّراب ماء) حَتَّى إِذَا جَاءَهُ (والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمآنُ السرابَ ملتمسا ماءً، يستغيث به من عطشه) لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا (يقول: لم يجد السّراب شيئا، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنّهم ناجون من عذاب الله ، كما حسب الظّمآن السّراب ماءً يُرويه من ظمئِه، حتى إذا هلك وصار بحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنّه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئا؛ لأنّ عمله كفر بالله، ووجد الله هذا الكافرُ عند هلاكه بالمرصاد، فوفّاه يوم

---

[1] سورة النُّور، الآية:38،39.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:73.

*غبش: ظُلمة آخر اللّيل.(ينظر: المصدر نفسه، ص:73).

القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاهُ بها جزاءهُ الذي يستحقهُ[1]، وفي قوله[2]:

يا رَبِّ حُسْنُ رَجَائِي فيكَ حَسُنَ لي تَضيّيعَ وقْتِي في لهـوٍ وفِي لعِبِ

وأنْتَ قُـلْتَ لِمَنْ أضْحَى على ثِقَـةٍ بِحُسْنِ عَفْوِكَ: إنِّي عِندَ ظَنُّك بِي

وإذا أمعنّا النظر فيما بين أيدينا من أشعار لابن منقذ وإلى دلالاتها وكثرة تناصاتها مع القرآن نتأكد من أثر الإسلام في شعره، منها ما جاء في قوله [3]:

والـذِي يصرِفُ الهُمُومَ إذا مَا ضِقْـتُ ذرعًـا بِهـنّ صَبـرٌ جميـلُ

ففي قوله: " **ضِقْتُ ذرعًـا بِهـنّ صَبـرٌ جميـلُ** " تناص مع **قوله تعالى** في سورة **يوسف**: ﴿ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨ ﴾ [4]، وفي قوله أيضًا:﴿ ۝٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨٣ ﴾[5].

جاء في تفسير " **الطبري** " تفسير قوله تعالى:﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾، يقول بل زيّنت لكم أنفسكم أمرًا في **يوسف** وحسّنتْهُ ففعلتموهُ به، فصبري على ما فعلتم بيوسف صبرٌ جميلٌ[6]، أمّا جملة ﴿فَصَبۡرٞ

---

[1] ينظر: الطبري: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيات القرآن)، تح: بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني، ج5، مؤسسة الرسالة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص:431.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:226.

[3] المصدر نفسه، ص:306.

[4] سورة يوسف، الآية:17،18.

[5] سورة يوسف، الآية:82،83.

[6] الطّبري: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيات القرآن)، ج4، ص:336.

﴿جَمِيلٌ﴾: أي صبري على ما نالني من فقدِ ولدي صبرٌ جميلٌ لا جزع فيه ولا شكاية عسى الله أن يأتينِي بأولادِي جميعًا فيردهم عليّ،﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: أي هو العليم بوحدتي وحزني على فقد أولادي[1]، وفي قوله[2]:

أيُّهَا الغَافِلُونَ عَنْ سَكْرَةِ المَو تِ وإذْ لاَ يَسُوغُ في الحَلْقِ ريـقُ

عندما نأتِي إلى تحليل هذه البيت الشّعري، نجد الشّاعر أسامة بن منقذ قد استهلهُ بالنّداء والخطاب فهو يخاطب أصحاب القلوب اللاّهية والغافلة عن وجود حقيقة "الموت" الذي يأتي على حين غرة دون سابق إنذارٍ ليفتك بمن أذن الله تعالى لروحهِ بالصّعود إلى السماء، مُضمِنًا بيتهُ معنى الآيـة الكريمـة من ســورة" **ق** " **قوله تعالى:**﴿ ۝١٨ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ۝١٩ ﴾[3].

ورد في تفسير " **الطبري** " تفسير هذه الآية: " جاءت سكرةُ الموت: أيِّ شِدتهُ وغلبتُهُ على فهمِ الإنسان، كالسكرة من النّوم أو الشّراب، بالحقِ من أمرِ الآخرة ذلك ما كنت منه تنفرُ وتهربُ "[4]، والشاعر لم يأخذ النص كما هو إنّما استقى معنى الآية وضمنه بيته ليجعل القارئ يبحث ويُنقِب ليترسخ ذلك في ذاكرتهِ، وليتذكر دائمًا بأنّه لا منجا من الموت، وفي توظيف أسامة لهذا الاقتباس القرآني ترهيب وتنديد.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:382.

[2] المصدر نفسه، ص:337.

[3] سورة ق، الآية:18،19.

[4] الطّبري: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيات القرآن)، ج7، ص:98.

وإذا واجه أسامة ما لاَ يُطيقُ دفعهُ من ألمٍ وضُرٍ نادى الذي ناداهُ " **موسى عليه السّلام** " لدفْعِ كيدِ فرعون عنه، والذي ناداه " **يونس عليه السّلام** " واثقًا بأنّه سيُنجِّيهِ من بطن الحوت ومن لُجَجِ البحر وعن ثقتِهِ باللهِ، يقول أسامة[1]:

إذَا مَـا عَـرَا مَـالا أُطِيـقُ دِفَـاعَـهُ وأرْمَضَـنِي الفكـرُ المسـهِّدُ والهَـمُّ

دَعَوتُ الذِي نَاداهُ مُوسَى لدفْعِ مَا يُحَـاذِرُ مِنْ فِرْعَـونَ فانْفَرقَ اليّـمُّ

ونَادَيّتُ مَنْ نَاداهُ ذُو النُّونِ واثِقًـا بِهِ فِي ظَلامِ البّحرِ فَانْكَشَفَ الغَـمّ

الشّاعر في هذه الأبيات يعيد كتابة النّص القرآني الغائب ويوظفهُ توظيفًا فنيًا بطريقة الامتصاص للآيات الكريمة، فمثلاً البيت الثاني استوحاهُ الشاعر من **قوله تعالى** في" **سورة الشعراء** ":﴿ ﴿٦٣﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾[2]، فلما اشتّد الأمر بسيدنا "**موسى عليه السّلام**" أوحى الله إليه بأن يضرب بعصاه البحر لكي يجعل لنفسه مخرجًا فكانت النجاة والبشرى والفرج، في حين البيت الثالث تناصَ مع **قوله تعالى** في " **سورة الأنبياء** ":﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[3] فلولا تفطن سيدنا " **يونس عليه السّلام** " للذكر والتسبيح لمكث في بطنِ الحوت إلى يومِ يبعثُون، ولكن الله نجّاهُ من الظلمات ومن الغم وأفضى به تسبيحه لله إلى النور.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:339.

[2] سورة الشّعراء، الآية:62،63.

[3] سورة الأنبياء، الآية:87،88.

أراد الشاعر أسامة أن يُوصل رسالة سامية من خلال هذه الأبيات الرائعة والتي تحلّت بطابع الحكمة والبيان الرّباني، فحواها أنّ الإنسان مهما ضاقت به السّبل ومهما كثرت عليه المصائب والمحن يجعل الله له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويسخر له من عباده من يساعده، فما عليه إلا الثقة بالله والتوكل عليه فهو حسبهُ، ولعل خير دليل على ذلك قصص الأنبياء والمعجزات الإلاهية التي حدثت معهم ففي ذلك عبرة لمن يعتبر.

5-3-2 التنـاص مع القصـص القـرآنــي:

إنّ القصص القرآنِي رافِد من روافِد الإبداع الفنِّي لما فيهِ من متعة وإفادة وإغناء بالإشارة، وماله من دلالة عميقة وبخاصة حين تُصبح هذه القصص القرآنية قناعًا ومعادلاً موضوعيًا للشعر إذْ يكْشف استدعاء هذ القصص ألوانًا من الانفعالات الجمالية والنّفسية، ولعلّ أهم الرّموز الدينية التي أعاد الشّاعر بثّها في شعره، شخصيات كان لها الدور الفعّال في نشرِ دعامات الإسلام، قصص الأنبياء بدءًا بسيدنا " **آدم عليه السّلام** " وصُولاً لسيدنا " **محمد صلى الله عليه وسلم** " خاتم الأنبياء أجمعين عليه الصلاة والسّلام، يقول أسامة بن منقذ في رسالة كتبها لابنه **مرهف**[1]:

مُـواصَـلتِـي كُتُبِـي إليّك تـزِيـدُنِـ إليّـكَ اشْتِيـاقًـا بـلْ عليّـكَ تـأسُفَـا

ولِيّ أسوةٌ في النّاسِ لو نفعَ الأُسَى فَمِنْ قبْلِنَـا يعقُـوبُ فَـارقَ يَـوسُـفَـا

في هذه الأبيات يُنشِئُ الشاعر ابن منقذ خطابًا وحوارا حزينًا مع ابنهِ " **مرهف** "، معبرًا فيه عن مدى اشّتياقه لرؤيتهِ، ولكنّه يصبر حيّنما يتذكر أن سيدنا "**يعقوب عليه السّلام**" أيضًا ابتلاهُ الله بفراق فلذةِ كبده "**يوسف عليه السلام**"، وفي ذلك إسوةً يتأسى

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:174.

بها الشّاعر؛ لأنّ صبر يعقوب عليه السّلام على فقدان أحب أبنائه إليه، ظلّ وسيظلُ مثلاً وقدوةً للبشرية يُحْتذى بها عند نزول البلاء، وهكذا تمكّن الشاعر أسامة بن منقذ إسقاط قصة سيدنا يوسف وفراقه لوالده يعقوب عليهما السّلام على نفسه حين فارقه ابنه مرهف، وبذلك يكون أسامة قد استدعى من القصص القرآني ما يخدم حالته النّفسية التي يعيشها، ففي هذه العملية الابداعية التي يطلق عليها بالتناص مع قصص القرآن، أي استحضار النّص الغائب المتمثل في القصص القرآني وإسقاطه على شعرِهِ، تجسيدًا لمدى ضعفهِ وإحساسهِ بالألم والاشْتياق.

وأحيانًا يقومُ التناص على الدّور الذي لعبتهُ الشّخصية دون ذكر اسمها في النّص الشّعري، وغالبًا ما تكون هذه الشّخصية تراثية صاحبة أدوار حيّة خلّدها التاريخ وعلقت بذاكرة الفرد، ومن أمثلة هذ الشّخصيّات استحضار الشّاعر لشخصية نبي الله " **موسى عليه السّلام** " في قوله [1]:

اصْطبر للزّمانِ إنْ حَافَ حِيّنًا أو تـلقـــاكَ بالمخَـــاوفِ حِيّنًـــا

إنّ صبْر الكَليمِ وهُو طريّدُ الــ خَــوفِ أفْـضَى بهِ إلى طُـورِ سِيّنَــا

هذا الموقف الشّعري يستدعي **قوله تعالى:** ﴿ ۞ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2]، ورد في تفسير **ابن كثير** لهذه الآية: أن " **موسى عليه السّلام** " لما سار بأهله في ليلةٍ مظلمة وباردة تاهوا في طريقهم، فلم يهْتدوا إلى سلوك الدرب المألوف، وبينَما هو كذلك أبصر نارًا في جانب الطور الأيمّن،

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:174.

[2] سورة القصص، الآية: 28،29.

فقال لأهله امكثُوا إنِّي آنستُ نارًا وكأنّهُ رآها دونهُم؛ لأنّ هذه النّار نورٌ في الحقيقة ولا يصلح رؤيتها لكلِ أحدٍ[1].

إنّ الهدف المرجو من هذا التقاطع مع شخصية سيدنا " موسى عليه السّلام " هو قناعة الشاعر بأنّ الصبر مفتاح الفرج، فمثلما صبر كليم الله " **موسى عليه السّلام**" على الابتلاء الذي أفضى به إلى الفرج، والعناية الإلهية خلّصتهُ من ظلم فرعون وكيدهِ، فكذلك الشاعر سينظر الله لأمره ويفرج همّهُ فقط عليه أن يتحلّى بالصّبر، وعن ثقتِهِ بالله، ويجمع الشاعر النبيين "**يونس وموسى**" **عليهما السّلام** حين يقول[2]:

إذا مَـا عَـرَا مَـالا أُطِيـقُ دِفَـاعَـهُ وأرْمَضَـنِـي الفكـرُ المسـهِّدُ والهَـمُّ

دَعَوتُ الذِي نَاداهُ مُوسَى لدفْعِ مَا يُحَـاذِرُ مِنْ فِرْعَونَ فانْفَرقَ اليّـمُّ

ونَاديّتُ مَنْ نَاداهُ ذُو النُّونِ واثِقًا بهِ فِي ظَلامِ البّحرِ فَانْكَشَفَ الغَـمّ

في هذه الأبيات قام الشاعر باستحضار قصة سيدنا يونس وموسى عليهما السّلام من **قوله تعالى** في" **سورة الشعراء**":﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3]، في حين البيت الثالث تناصَ مع **قوله تعالى** في " **سورة الأنبياء** ":﴿ ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [4]، مقتديًا ومتأسيًا بهما حين يعْصِفُ به البلاء، يتذكر دائما ما واجههم في سبيل الدعوة إلى الله وترك

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص:225.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:339.

[3] سورة الشّعراء، الآية:62،63.

[4] سورة الأنبياء، الآية:87،88.

الشرك، لكنّ عناية الله كانت فوق كل جبّارٍ عنيّد، و" **ذا النون** " إذ جعل الله له مخرجًا من بطن الحوت بعد أن مكث فيه سنين من عمره، وبهذا يكون لطف الله قريب بل أقرب من حبل الوريد، فما على العبد إلاّ أن يصبر ويفوّض أمره لله تعالى.

إنّ هذا التعايش مع القصص القرآني أكسب القصيدة حلّةً تضمينية لآيّات القرآن ساهمت فيه ذات الشاعر وتصوراته، فأعْطاها دلالات قيّمة تعبر عنْ هذا التقاطع الإبداعي الجمالي الذي يتسم بالعفوية والوضوح المدهش.

لقد كان للنُّصوص الدينية أثر واضح في شعر " **أسامة بن منقذ** "، حيثُ أسهمت في التعبير عن تجاربه وأشعارِه، وساعدته كذلك في الوصول إلى المعنى الكامن في فكرِهِ ووجدانِهِ، ودلّتْ هذه التناصات على ثقافة الشاعر الإسلامية، فهو في بعضِ قصائدِهِ كأنّما يصوغ الآيات القرآنية شعرًا، حتى إن القارئ يستطيع أن يُميز من أي سورة استقى هذا البيت، وفي ذلك كلِّه دلالة واضحة على حُسنِ إسلامِهِ، وقوة إيمانه وتغلغل المعاني القرآنية في نفسِهِ.

5-3-3 التنـــاص الأدبـــي:

هو تداخل النص مع نصوص أدبية سواء كانت للكاتب نفسه أو لأدباء آخرين مزامنين له أو سابقين له ينتمون إلى ثقافتهِ أو لا ينتمون لهذه الثقافة[1].

إنّ الشاعر أسامة بن منقذ كأي شاعر آخر يعتمد بعض الأحيان على نصوص أخرى في بيان غرضه، بعبارة أخرى يضمن الشاعر بيت أو مجموعة من الأبيات الشّعرية، فتنوعت مصادر التناص لديه بتعدد الثقافات التي احتك بها وبحكم العصر والمكان الذي عاش فيه، ومن بين النصوص الشعرية التي تناص معها الشاعر.

---

[1] محمد ناصر: الشّعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، (د، ت)، ص:400.

- **التناص مع شعر أبو فراس الحمداني:**

يصف أسامة حالة العاشق وكيف يصيرُ قلبهُ رهن يدي معشوقهِ، فيصيرُ أسير هواهُ عاصيًا للصبرِ، لا يُصغِي لأمرٍ ولا نهيٍ، فَشدةُ الشّوق والعشق شكّلت غمامة على عينيهِ وقلبهِ حتى صار لا يرى الأشياء على ماهي عليه، يقول أسامة[1]:

أطَاعَ الهَوى مِنْ بعْدِهُمْ، وعَصَى الصّبْرُ فليّسَ لَـهُ نهْـيٌ عليّـه ولاَ أمْـرُ

جاء هذا البيت تضمينًا لبيت " **أبو فراس الحمداني** "[2]:

أراكَ عَصِـيّ الـدّمْـعِ شِيّمتُـكَ الصّبْـرُ أمَّـا لِلهَـوَى نَـهْـيٌ عَليّكَ ولاَ أمْـرُ

في هذا البيت يصف ويقول أسامة[3]:

وأعْجَبنـِي عَـيّ لـديّـهِ ولَـمْ أزلْ إذا لَـمْ تَكُـنْ خَصْمِي لِي الحُجَـجُ اللِّـدُ

عجز البيت لأبي فراس الحمداني صدرهُ[4]:

سَـأسّكُتُ إجْـلاَلاً لِعلْـمِـي أنّـهُ إذَا لَـمْ تكُـنْ خَـصْمِي لِـي الحُجَجُ اللّدُ

- **التـنـاص مـع لبيـد:**

يقول أسامة بن منقذ[5]:

فَيَا صَخْـرُ مَا الخَنْسَاء مِثْلِي ولاَ نَهَى بَـوادِرُ دمْعِـي مَـا قَـضَـاهُ لبيّـدُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:122.

[2] أبو فراس الحمداني: ديوانه، ص:23.

[3] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:168.

[4] أبو فراس الحمداني: ديوانه، ص:120.

[5] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:168.

نظرًا لاشترك الشّاعِران (أسامة بن منقذ ولبيد)، في الاكتواء بفاجعة الموت، فأسامة مثلاً يرى أنّ حُزنهُ أكبر وأشد من حزن الخنساء، فحتى دموعه لم تقضِ ما قضاهُ لبيد من حزن، وبذلك يكون حزن أسامة أكبر من حزن الخنساء ولبيد، وفي ذلك إشارة لقول لبيد لابنتيهِ[1]:

إلَى الحَولِ ثُمّ اسمُ السّلام عليكمَا ومَنْ يبكِ حَولاً كَامِلاً فقَدِ اعْتَذَرْ

- **التناص مع أبو الطّيب المتنبي:**

يخاطب أسامة شخصًا ما يخبره بأن يوصل رسالة لأحبابهِ يخبرهم فيها أنها مهما بعدت المسافات بينهم فهم في القلب، وأن كل شيءٍ بدونهم ليّس له معنى في قوله[2]:

قُلْ للذِينَ نَأوْا والقلبُ دارُهُمْ " ووجدانناَ كُلَّ شَيءٍ بعْدكُمْ عَدمُ "

نلاحظ أنّ الشاعر أسامة قد اقتبس العجز من المتنبي من قوله[3]:

يَا مَنْ يعِزُ عَلينَا أنْ نُفارقَهُمْ " ووجدانَا كُلَّ شَيءٍ بعْدكُمْ عَدمُ "

اشترك الشّاعران في المعنى نفسه، فالبيتان عبارة عن خطاب وعتاب للأحبة وإن كان الشاعر قد حوّر في بنية صدر البيت مع إبقائه على عجز البيت، ويقول أسامة [4]:

ومَا ظَنَنْتُكَ تنْسَى حَقَّ مَعْرِفَتِي إنّ المَعَارِفُ فِي أهْلِ النُّهَى ذِمَمٌ

---

(1) لبيد بن ربيعة: ديوانه، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص:51.

(2) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:148.

(3) أبو الطيب المتنبي: ديوانه، ص:333

(4) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:195.

يُشير إلى قول المتنبي[1]:

وبيّنَا لَـو رَعِيتُـمْ ذَاكَ معْـرِفَـةً إنّ المعَـارفَ فِـي أهْـلِ النّهَـى ذِمـمُ

وتقدير البيتين أنّه إن لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة فلو رعيتم تلك المعرفة لما رضيتم بضياعها؛ لأنّ المعارف لدى أهل العقول بمنزلة الذِّمة والعُهود لا يضيعونها، يُرسل أسامة رسالةً مُخاطبًا فيها معين الدين وزير الشّام، يقول له فيها[2]:

وأنْتَ أعْدلُ مَنْ يُشكَى إليّه ولِي شَكِيّـةٌ أنْت فيهَـا الخصْـمُ والحَكَـمُ

فالشّاعر يصف هذا الملك بأنّهُ عادل لذلك هو سيشكو إليه شكيةً هذه الشّكية هو الخصمُ فيها والحكم، والبيت يتناص مع قول المتنبي[3]:

يَا أعْدلَ النّاسِ إلاّ فِي مُعَامَلَتِي فِيّـكَ الخِصَـامُ وأنْتَ الخَصْـمُ والحَكَـمُ

المتنبي يعاتب سيف الدولة عتاب المُحِب فيصفه بالعدل مع الجميع إلاّ معه؛ لأنّ النِّزاع والخصام الذي بينهما هو طرف فيه؛ فأصبح سيف الدولة بذلك هو الخصم والحكم، ومن ثم لن يحكم لصالح خصمه المتنبي، يقول أسامة بن منقذ يمدحُ الأفضل عباس بن أبي الفتوح*[4]:

لقَدْ عَمَّ جُودُ الأفضلْ السّيد الورَى وأغْنَـى غِنـاءَ الغيّـثِ حيّـثُ يَصُـوبُ

" وفي كُلِ حَيٍّ قد خبطـتَ بنعمـةٍ فحَـقّ لشَـأسٍ مِـنْ نِـداكَ ذُنُـوبُ"

---

[1] أبو الطّيب المتنبي: ديوانه، ص:333.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:196.

[3] أبو الطّيب المتنبي: ديوانه، ص:332.

[4] أسامة بن منقذ: الديوان، ص:212.

* **الأفضل عباس بن أبي الفتوح**: مصري قتله الإفرنج عام 550هـ.(ينظر: المصدر نفسه، ص:212).

في البيت الثاني تناص مع قول علقمة بن عبدة [1]:

" **وفِي كُلِ حيٍّ قَدْ خبطتَ* بنعمةٍ فحَـقّ لشَـأسٍ مِـنْ نِـــداكَ ذُنُـــوبُ** "

البيتان يشتركان في صفة مدح لشخصٍ يدهُ مبسوطة، فالجود والكرم والعطاء بين يديه.

لقد كان للنُّصوص الدينية والشعرية أثر واضح في شعر " **أسامة بن منقذ** " حيثُ أسهمت في التعبير عن تجاربه وأشعارِهِ، وساعدته كذلك في الوصول إلى المعنى الكامن في فكرِهِ ووجدانِهِ، ودلّتْ هذه التناصات على ثقافة الشاعر الإسلامية والأدبية فهو في بعضِ قصائدهِ كأنّما يصوغ الآيات القرآنية شعرًا، حتى إن القارئ يستطيع أن يُميز من أي سورة استقى هذا البيت، وفي ذلك كلِّه دلالة واضحة على حُسنِ إسلامهِ وقوة إيمانه وتغلغل المعاني القرآنية في نفسهِ، كما أنّ النّماذج التي تقَدّم ذكرها كان التناص فيها فعّالاً وأكثر عُمْقًا وإبداعًا، فالشاعر يحاول تعميق التجربة الإنسانية دون إغفال جماليات النّص السّابق.

ثانيًـا: الخصـائـص الفنيـــــــــــة:

لا يكاد يخفى على أيِّ متذوقٍ للشعر ما للصور البيانية من طاقة خلاّقة في أيّ عمل فنِّي، فهي تبثُ الرّوح في الصور الفنية فتشخصها وتجسمها، وتنطقها وتحركها، فيصبح السّاكن متحركًا، والجامد ناطقًا، والمحسوس ملموسًا، فعليها المعول في خلق الصورة الفنية، ونادرًا ما يخلو العمل الفني من ألوان البيان.

---

[1] علقمة الفحل: ديوانه، شرح وتحقيق: السّيد أحمد صقر، المطبعة الحمودية، القاهرة، مصر، ط1، 1953م، ص:18.

* خبطت: أنعمت وتفضلت. (ينظر: المصدر نفسه، ص:18).

1-التشبيـــــــه:

يعدُ التشبيه من أهمِ الوسائل الفنية التي تُساعد الشّاعر على تصوير المعاني ونقلِها إلى نفسِ المتلقي، فتستقرُ فيها وتحدثُ الأثر المنشود فالتشبيه من عناصر التواصل الفني بين النص والمتلقي؛ لأنّهُ يوفرُ مساحة تخيلية واسعة، وبما أنّ التشبيه أسلوب من أساليب البيان فهو ميدان واسعٌ تتبارى فيه قرائحُ الشّعراء والبلغاء، فيا ترى كيف تجلى هذا اللون البياني في شعر أسامة بن منقذ؟

1-1 التشبيه في اللغـة:

" الشَّبْه والشَّبيه: المِثل، والجمع أشْباه، أشْبَه الشيءُ الشيئَ : ماثلهُ، والمتشابهات من الأمور: المتماثلات، وتشبّه فلان بكذا، والتشبيه: التمثيل "[1]، وفي القرآن الكريم﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ۞ ﴾ [2].

1-2 التشبيـه في الاصطلاح:

عرّفه **ابن سنان الخفاجي ت(588م)** " إنّ أحد الشّيئين مثل الآخر في جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البتة؛ ولأنّ هذا لو جاز لكان أحد الشّيئين هو الآخر بعيّنه وذلك محال "[3]، ويعرّفه **ابن رشيق ت (1063م):** " صفة الشّيء بما قاربهُ وشاكلهُ من جهةِ واحدةٍ أو جهات كثيرةٍ من جميع جهاته " [4].

1-3 أركانـــــه: أركان التشبيه أربعة هي:

- ✓ **المشبه:** هو المقصود بالوصف أو المراد تشبيهه.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص:393.

[2] سورة آل عمران، الآية:06،07.

[3] ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص: 246.

[4] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 2، ص: 286.

- ✓ **المشبه به:** هو الشّيء الذي يشبَّه به.
- ✓ **أداة التشبيه:** وتكون اسمًا أو فعلاً أو حرفًا كالكاف، كأن، شبه، مثل، يشبه، يماثل، يحاكي، يضارع.
- ✓ **وجه الشّبه:** هو الصّفة المشتركة بين المشبه والمشبه به، وتكون في المشبه به أقوى وأظهر [1]، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر[2]:

إنّمَا المَـــاءُ فِـي صَفَـــــاءٍ وقَــدْ جَـــرى ذَائِـبُ اللُّـجَيّـنِ

في هذا البيت أراد الشاعر أن يجد مثلاً للماء الصّافي تقوى فيه صفة الصَّفاء، فرأى أن الفضة الذّائبة تتجلّى في هذه الصفة فشابه بينهما فتكون العلاقة:

المشبه: الماء، **المشبه به:** ذائب اللُّجين، **الأداة:** كأنّما، **وجه الشّبه:** الصفاء والجريان[3].

1-4 أنــواعــه:

التشبيه أنواع منه المفصل وهو ما ذُكر فيه وجه الشّبه، ومنه المرسل وهو ما ذُكرت فيه الأداة ولم يذكر فيه وجه الشبه، ومنه البليغ وهو الذي حذفت منه الأداة ووجــه الشّبــه ويسمى(المؤكد المجمل)، ومنه المؤكد وهو ما حذفت منه أداة التشبيه[4].

---

[1] عاطف فضل محمد: البلاغة العربية، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط1،2001م، ص: 42.

[2] المرجع نفسه، ص: 42.

[3] عاطف فضل محمد: البلاغة العربية، ص: 42.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص:54.

1-4-1 التشبيه المرسل:

بتتبع قصائد الشاعر " **أسامة بن منقذ** " يتجلّى للدّارس أنّه ما كاد يُتركُ ضربًا من ضروب التّشبيه إلاّ استخدمهُ وأحسن فيه وكانت له تشبيهات مبتكرة رائعة، ولكنّ مسحة الحزن بدتْ واضحة جدًا في مضمونها فاعتمد أنواع التشبيه المختلفة، ولعلّ أكثر أنواع التشبيه عنده جاء باستخدام أدوات التشبيه " **الكاف، مثل** " ومن تشبيهات أسامة بن منقذ " **المرسلة** " ما جاء في قوله [1]:

أصْبَحْتُ كَالنَّسْرِ خَـانَتْـهُ قَوادِمُـهُ لاَ تَسْتَقِـلُ جَنَاحَـاهُ إذَا نَـهَضَـا

شبّه الشّاعر نفسه في حالة الضعف بالنّسر الذي خانتهُ جناحاهُ فلا يستطيع الطيران والتحلِيق، فالشاعر صوّر حالة عجزه التي يعيشها بحال النسر الذي خانتهُ جناحاه فبرع في تشبيهه هذا؛ لأنّه ربط حالته بحالة النسر العاجز عن القيام والتحليق، إنّما يدل هذا التشبيه على براعة الشاعر حين يشدُ انتباه المتذوق ويخرجه من التشابه المألوف الذي عهد سماعه في الشعر، فاختار الشاعر أن يخلق تشابهًا جديدًا، فأقام الشبه بين شيئان مختلفان تماما (ضعف الإنسان، وضعف الحيوان)، وفي بيتٍ آخر يقول [2]:

الضُّـر فِي أيّـامـنَـا هَـذِه كَـاللّيـل يَغْشَـى سَائـرِ النَّـاسِ

شبّه الشاعر الضُّر أو (**الألم**) باللّيل الذي ينزل على سائر الخلق، فمثلما يحِلُ اللّيل على كلِ البشر دون التفريق بين الصّغير والكبير ولاَ الغنِي والفقير، كذلك الألم لا يُفرِّق بين أحد وآخر، بل يشمل كل البشر دون استثناءٍ ، انطلاقًا من هذا التشبيه نقف على صورة بيانية رائعة مفادها أن الشّاعر استطاع من خلال إبداعهِ الشّعري، أن

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:288.

[2] المصدر نفسه، ص:302.

يُقرّب البعيد انطلاقًا من القريب وهذه مِيّزةُ التّشبيه، ونجدهُ يقول في أبيات شاكية يصف حالته الحزينة التي يدمعُ القلبُ لها قبل العينِ في قوله [1]:

يَـــا آمِـــــرِي بِالصّبـــرِ البيّـــنَ مَـــوعِـــدُهُ الغُـــرُوب

ومَـــدامِـــعٌ كَـــالبَـــحْـــرِ لاَ يُرْجَـــى لِمُفْعمِـــهِ نُـــضُـــوبُ

يشكُو الشاعر " **أسامة بن منقذ** " في هذه اللّوحة الحزينة معاناتهِ وآلامِهِ مخاطبًا من يأمرهُ بالصّبر آملاً في أنّ البُعد سيزول وشمسُ الفرج ستُشرق وسيجتمعُ شملُهُ بمن يحِبُ، مُشبِهًا دمُوعَهُ التي لم تنضبْ ولم تجِفْ بالبحر الواسع لاشتراك الدُّموع والبحر في صفةِ الغزارة والملوحة.

ولأسامة أبياتًا رائعةً يصورُ فيها الأسير بصورة جعلت منهُ إنسانًا مميزًا عنْ غيرهِ حيثُ يقول في محبوسٍ[2]:

حَبَسُوكَ والطّيرُ النّـــواطِقُ إنّمَـا حُبِســتْ لِمِيّـزتِهَـــا علَى الأنْـــدادِ

وتهيبُوكَ وأنتَ مُودعٌ سِجّنهُـــمْ وكَـذا السُّيُـــوفُ تُهَـــابُ في الأغْمـادِ

مَا الحبْسُ دارُ مهانةٍ لذوي العُلاَ لكنّـــهُ كَـــالغِـيـــلِ للآسَـــــــادِ

أبدع الشاعر في هذه الأبيات الرّائعة في وصفهِ لمحبوس، فجعله فريدًا بين أقرانهِ مثل الطّير الذي فقد حريته ليس لِعيّبٍ فيه وإنّما لصفة ميّزته عن غيره، وذاك حال الشاعر أسامة بن منقذ الشُجاع الذي تهابهُ الأعداء مقيدا كان أو محررا كما يُهَابُ السّيف في غُمدهِ أو خارج غمده، خلق الشاعر من خلال هذا التشبيه تصويرا جميلا فشبه الأسير بالسّيف والسّيف رمز القوة والشجاعة أيّ؛ أن المسجون شخص شجاع

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:105.

[2] المصدر نفسه، ص:317.

وشبه السّجن بالغمدِ الذي يحتويه، ليفهم المتلقي أن المحبوس شخص شجاع قوي كالسّيف البتار، ثمّ ختم أبياتهُ بوصفٍ رائعٍ لنفسهِ حين نفَى عنها صفة المهانة؛ فهو من أصحاب العُلاَ والشّجاعة والفخر بل بالعكس السّجن بالنسبة له كالغيل للآساد والغيلُ هو مكان الرّاحة والظِل الظّليل للأسد الشّجاع.

وفي دعوتهِ وحثّهِ على الصّبر يقول أسامة مُخاطبًا وآمـرًا ونَاصحًا غيرهُ بقولـه[1]:

اسْتُرْ هُمُومُك بالتّجمُلِ واصْطَبِـرْ إنّ الكريمَ على الحَوادثِ يصْـــبِرُ

كَالشّمعِ يُظْهِـرُ نُـــورَهُ مُتجمِـــلاً خَوفَ الشّماتِ وفيهِ نـارٌ تُسْـعَـــرُ

ما أرّوع هذا الوصف المؤثر، فهو يدعو إلى الصّبر والتجلُّدِ على الحوادث وإن اشتدتْ حتّى لا يكون الإنسان عُرّضةً لشماتة الأعداء، إذ يشبهُ الإنسان الصّبور بالشّمع الذي يتزينُ بالنُّور على الرّغم من أنّ النّار في أعماقهِ تتلهب خوفًا، وفي هذا الرّسم الفنِّي دليل على براعةِ الفنان ابن منقذ.

1-4-2 التشـبيـه البليـغ:

من أمثلة التشبيه " **البليغ** " ما جاء في قول الشاعر أسامة بن منقذ [2]:

الصّبـــرُ سُـــمٌّ نَـــاقِـــعٌ لكِـــنْ منْـــهُ يُشَـــار شُهْـــدُهُ

في هذا البيت شبّه الشاعر " **الصبر** " بالسُّم النّاقع دون أن يستخدم أداة التشبيه، لاشتراك الطّرفان **(الصّبر/ السُّم)** في خاصية الصعوبة؛ حيث ذكر الشاعر المشبه والمتمثل في **(الصّبر)** والمشبه به **(السُّم)** وحذف الأداة ووجه الشّبه على أساس

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:107.

[2] المصدر نفسه، ص:63.

التشبيه (**البليغ**)، ومعنى البيت أن الصّبر الحقيقي كالسُّم النّاقع في قوة وحِدّةِ ألمه، لكنّه يختلف عليه في فائدته، السّم يعني الموت، بينما الصبر نعمة وخير ورحمة، فالإنسان الصّبور على البلاء حتما سيقطف ثمار صبره ؛ لأنّ الله تعالى يحب الصابرين ويكافئهم على صبرهم بالخير والثواب في الدنيا والآخرة، وفي هذا البيت نلمس جمال التشبيه وروعته المتمثلة في قدرةِ الشاعر على تشبيه الشّيء المعنوي **(الصّبر)** بالشّيء المادي **(السُّم)**.

نخلص في ختام جولتنا في اكتشاف الصورة التشبيهية في شعر" **أسامة بن منقذ**" أنّ الخيال عنصر أساسي من عناصر الصورة الفنية، والتشبيه أحد أهم روافد الخيال حيث يصوِّر به الشّاعر العلاقات بين موصوفاتِهِ على اختلافها، والشاعر "**أسامة بن منقذ**" وُفِق في إبراز تشبيهاته في صوره البيانية بطريقة واضحة خلت من الغموض والتعقيد وعليه أسهمت في إبراز صوره الفنية بطريقة واضحة، وفي هذا فضيلة تستعصي على كثير من الشعراء.

2-الاســتعـــــــارة:

يُعدُ البناء الاستعاري نبض القصيدة العربية، إذ يمنحها الحيوية والإثارة وهو من أبرز المثيرات التي تُنبهُ القارئ إلى المستوى الفنِي للخطاب الشِّعري وتُوقِظُ مشاعرهُ وذهنهُ للمعاني والدلالات المبنية على علاقة المشابهة، فيا ترى إلى أي مدى وُفق الشّاعر أسامة بن منقذ في توشيحِ قصيدته بهذا اللّون البياني؟

2-1 الاستعـــارة فـــي اللغـــــة:

يقول صاحب **اللسان:** " أعار وإعارة واستعار منه الشيء طلب منه أن يُعيره إيّاه... واستعار ثوبًا فأعاره إيَّاه، والعارية والعارة، ما تداولوه بينهم وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إيّاه " [1].

فالدلالة المعجمية للّفظ تؤكد أن الاستعارة نقل من حيّازة شخص آخر.

2-2 الاستعـــارة في الاصطـــلاح:

يعرِّفها " **أبو هلال العسكري**" **ت (1005م)** بقوله: هي " تشبيه حُذِف أحد طرفيه إمّا المشبه أو المشبه به، فإذا حُذِف فلا بدّ من التصريح بالمشبه به والعكس" [2]، وذكرها " **الجاحظ**" **ت (868م)** بقوله: " الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامهُ "[3].

من التعريفات السّابقة نخلص إلى أنّ الاستعارة هي اللّفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

2-3 أركـــــانهـــا:

- ✓ **مستعار منه:** وهو المشبه به.
- ✓ **مستعار له:** وهو المشبه.
- ✓ **مستعار:** وهو اللّفظ المنقول[4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص: 264.

[2] أبو هلال العسكري: الصّناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1986م، ص:547.

[3] الجاحظ: البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، ج1، دار صعب، بيروت، لبنان، ط1، 1968م، ص:117.

[4] السّيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص:258.

2-4 أنـواعـــهـا:

النّاظر في كتب البلاغة يقف على أقسام عدة للاستعارة، التصريحية والمكنية والتمثيلية والحقيقية والتخيلية والأصلية والمرشحة والمجردة والمطلقة وغيرها من أنواع الاستعارة، وفي هذه الجزئية سنقف على أنواع الاستعارة التي طرقها الشاعر ابن منقذ في قصائده للدلالة على مواطن الجمال.

2-4-1 الاستعارة المكنيــة:

" هي التي حذف منها المشبه به وذكر المشبه والقرينة لفظية "[1]، **كقوله تعالى:** ﴿ ۝١٧ **وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ۝١٨ ﴾[2]، فموقع الاستعارة كلمة **الصبح** حيث شبّه الصُبح بكائنٍ حيٍّ فذكر المشبه (**الصبح**) وحذف المشبه به (**الكائن الحي**) ورمز له بشيء من لوازمه (**تنفس**) والقرينة لفظية (**تنفّس**) والاستعارة مكنية[3]، ومن أمثلة الاستعارة المكنية في شعر **أسامة بن منقذ** قوله معاتبًا محبوبته[4]:

أطِــعْ الهَــوى، وأعْـصِ المُعَاتِب وأصْدُفْ عَنْ الـواشِــي المُــراقِــبْ

في البيت استعارة **مكنية**، حين شبّه الشّاعر الهوى بشخص يُطاع، والطّاعة خاصية معنوية ينفرد بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، فذكر المشبه به وذكر خاصية من خصائصه والتي هي (**الطّاعة**)، ويبرز موطن جمال الاستعارة في هذا البيت في جعل الشّاعر الهوى الشّيء المعنوي غير المحسوس وغير المجسد شيئًا

---

[1] محمد الشّيخ: الوافي في تيسير البلاغة، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، مصر،(د، ط)، 2004م، ص:22.

[2] سورة التكوير، الآية: 17،18.

[3] عاطف فضل محمد: البلاغة العربية، ص:87.

[4] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:55.

يُطاع ويقع عليه فعل الطاعة شأنه شأن البشر؛ لأنّ الطاعة صفة من صفات الإنسان فهو الذي يطيع ويُطاع، ونجده يقول في بيتٍ آخر[1]:

مَشِـــيَ النّسِيـــمُ بِميَـاهِ الغَــدر رأيّــتُ سَحْــرًا أو شَبيـــهُ سَحْـــــرٍ

نلمس **استعارة مكنية** أخرى من نسج خيال الشاعر أسامة وتجسدت في قول الشّاعر(**مشي النّسيم**)، النّسيم لا يمشي بل الذي يمشي هو الإنسان، فقام الشّاعر بحذف المشبه بـه(**الإنسان**)، وترك لازمة من لوازمهِ وهي المشي، وذكر المشبه والذي هو(**النّسيم**) على سبيل **الاستعارة المكنية**، ونفه من هذا البيت أن الشّاعر يرى حبيبته جميلة وناعمة وخفيفة كالنسيم، ودليل ذلك أنه لم يذكرها باسمها بل لمّح إليها بلفظة (**نسيم**)؛ ويؤكد ذلك في عجز البيت حينما قال: رأيت سحرًا أو شبيه سحرٍ فهذا يدل على فتنة جمال هذه الفتاة.

ومن أمثلة **الاستعارة المكنية** أيضا قول الشاعر أسامة بن منقذ[2]:

رمَتْنَا اللّيالي بافْتِراقٍ مُشتَتٍ أشَتَ وأنَأَى من فـــِراقِ المُحصّـبِ

وقَدْ نثَر التّودِيعُ مِنْ كُلِ مُقلةٍ عَلَى كُـلِ خـدٍّ لُـؤْلُـوًا لــمْ يُثقَـــبِ

في هذين البيتين نلمس روعة وجمال التصوير البياني المتمثل في الاستعارة المكنية، حيث حذف الشاعر المشبه به (الإنسان) وترك صفة من صفاته والتي هي صفة (الرّمي والنثر)، فاللّيالي لا ترمي بل الذي يرمي وينثر هو الإنسان، ويكمن جمال هذه الصورة في بثِّ الحركة في الجمادات.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:68.

[2] المصدر نفسه، ص:106.

ومن أمثلة **الاستعارة المكنية** أيضًا قوله مصورًا حزنه الشّديد على فراق من يُحِب[1]:

كَتَـمَ الجَـوى القَلْـبُ القَـريـحُ فَـأذاعَـهُ الدّمْـعُ الفَـضُـوحُ

إنّ الـدُّمُـوعَ لهَـا لِسَـانٌ بالأسَـى لِسّـنٌ فَصِيـحُ

حيثُ شبّه الشّاعر القلب والدّمع بالإنسان، فحذف المشبه به (الإنسان) ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي خاصية الكتمان والإيذاع، فالقلبُ لا يكتمُ والدّمع لا يُذيع بل الإنسان وحدهُ من يقوم بذلك، كما جعل للدّموع لسانا وفصاحة، فاللّسان والفصاحة خاصية يتفرّد بها الإنسان وحدهُ وليس الدّموع، ويوحي جمال هذا التصوير البياني ودقته على براعة الشاعر في اختياره وتصويرِه.

2-4-2 الاستعارة التشخيصية:

الصورة التشخيصية مبثوثة في ديوان أسامة بن منقذ، ومعظمها تتسمُ بالعفوية والبساطة، كما وردت في رثاء ابنة شقيقه في قوله[2]:

فَهِـي الوحِيـدةُ والأقْـاربُ حَولهَـا وهِـي البعيـدةُ في المحـلِّ الأقـربِ

فإذا تضرّم في الجوانِـحِ ذِكْـرُهَـا قـال الأسـى: باللهِ يا عينُ اسْكُبِي

يكمن التشخيص في هذا التصوير البياني في جعل الأسى يتكلم وينطق مثل الإنسان، ويدعم الشاعر هذا التشخيص بأن يجعل الأسى يمارس فعل (القول) من خلال هذه الصورة، وهو تأكيد فعلي بأن الأسى قد تشخص بالفعل في صورة كائن بيولوجي يتكلم.

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:108.

[2] المصدر نفسه، ص:293.

ويستعير أسامة للمعاني والأشياء أفعالاً إنسانية، فيبُثُ فيها الحياة والحركة فيتحول الهوى مثلاً إلى مشارك يشاركهُ في فهم الحياة، يقول[1]:

وشَارَكَنِي فِيهِ هَـوَاكَ فَهْـمُـهُ وأَفْكَـارهُ عِنْـدِي وعِنْـدكَ مُكْثُـــهُ

بُنِي الفعل شارك على صيغة فاعل بما تحمله هذه الصيغة من دلالات على مشاركة الفاعل المفعول وفي هذا دليل على التجربة التي عاشها الشاعر، كما تحملُ في ثناياها صورة من صور الحياة ولونا من ألوان المعاناة التي انطوت عليها نفس الشاعر بحيث تحوّل الهوى إلى شخص يشاركه أحزانه واغترابه وقهره.

2-4-3 الاستعـارة التـجسيـديـة:

لم تخلُ صور الشاعر التجسيدية من التجسيم، الذي يكسب الصورة الفعالية والثراء وقوتها التصويرية تتأتى من حركتها وفيّما تخلفه الصورة الجزئية من ظلال، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر أسامة بن منقذ[2]:

لِخَمْسِ عَشْرةَ نازلْتُ الكُمَـاةَ إلَـى أنْ شِبْتُ فِيهَا، وخيرُ الخَيلِ مَا قَرحَـا

أخُوضُهَا كَشِهابِ القبْسِ مُبْتسِمًا طَلْقُ المُحيَّا، ووجْهُ المَوتِ قدْ كَلحَـا

جعل الشاعر للموت وجهًا أسودًا مظلمًا، وبدا هذا الموت في صورة محسوس مظلم، كما يجعل للمنية أنيابًا تكشر عنها فتلتهم كُل شيء في قوله[3]:

يسْتقْبِلُ الحَرب بسَّامًا وقَدْ كَشّرتْ بِهَـا المنِيّـــةُ عَـنْ أنْيـابِهَـا الأُرُمِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:116.

[2] المصدر نفسه، ص:211.

[3] المصدر نفسه، ص:196.

2-4-4 الاستعـــارة المُطلَقـــــة:

وهي التي خلت من ملائمات المُشبَّه والمُشبَّه به، أو هي أيضا ما ذُكِر معها ملائمات المُشبَّه والمُشبَّه به معًا، ومثال ما خلت من الملائمات قول المتنبي: (يا بدر يا بحر، يا غمامة، يا ليث الشّرى، يا حِمام، يا رجل)، والمُشبَّه هنا المَمدوح، والمُشبَّه به كلٌّ من البدر، والبحر، والغمامة، وليث الشرى، والحِمام، والقرينة هي النّداء وهي خالية من ما يلائم المُشبَّه والمُشبَّه به؛ ولذلك سُمِّيت بالمُطلَقة[1]، وردت الاستعارة المطلقة في شعر " **أسامة بن منقذ** "، حين اتخذ حريته في تغزله بحبيبته فشبهها بالقمر لشدة بياضها وجمالها، أمّا غصن البان يقصد به الشاعر قوامها الفتيّ الرشيق، أي أنّ الشاعر اتخذ مطلق الحرية والخيار في مدحه وغزله، فأخذ من الفلك نموذجًا ومن الطبيعة نموذجا آخرا في قوله [2]:

يا قَمَـرًا فِي غُصْـــنِ بَـــانٍ عَلَـــى نَـــقًـــا مَهُـــولٍ غـيـــر مُنْهـــالِ

ويورد الشاعر المعنى نفسه في بيتٍ آخر على سبيل الاستعارة المطلقة، مشبها حبيبته بالهلال الذي لا يمل الرائي من التطلع إليه، فيقول[3]:

يـا هِـــلالاً إذا تبـــدّى يـــــراهُ الـــ ـــورى لاَ يـــمـــلُّ راءُوهَ مـــنْـــهُ

وردت الاستعارة المطلقة في شعر أسامة بن منقذ في عدة مواضع، لكن مجملها كان حول تغزله بمحبوبته، فشبهها بالقمر، البدر، الهلال، غصن البان، الشمس...، نوع الشاعر في الألفاظ وحافظ على المعاني، فهي معاني كلها تدور حول البياض، الجمال، والقوام المعتدل الرّشيق.

---

[1] عبد العزيز عتيق: علم البيان، ج1، دار النهضة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1985م، ص:192،195.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص: 88.

[3] المصدر نفسه، ص:101.

3-الكنـــــايـــــــة:

يُعدُ الأسلوب الكنائي من أهم الأساليب التي يلْجأ إليها الشّاعر وذلك لتحقيق غايتهِ في محاولةِ إخفاء المعنى الذي يخْشى التصريح بهِ، وهنا لابدّ للشاعر من أنْ يتفنن في آدائهِ اللّغوي بانْتقاءِ الكلمات التي تؤدي إلى المعنى الذي يهدفُ إليه لتتماشى نظرتهُ مع دور تجربتهِ الشّعرية في البناء الفنِّي لصورتهِ الكنائية، فيا ترى كيف تجلت الكناية في خطاب الشاعر " **أسامة بن منقذ** "؟

3-1 الكنــايـة فــي اللغـــــة:

" الكناية لغةً بمعنى السّتر من قولهم كنّى يكني أو يكنُو، ومنها الكناية أن تتكلم بشيءٍ وأنت تريد غيره وكنّى عن الأمر بغيره يكنِي كنايةً، يعني إذا تكلّم بغيرهِ ممّا يستدل عليه نحو الرّفث والغائط ونحوهُ " [1].

3-2 الكنـــايـــة في الاصّطلاح:

عرّفها **عبد القاهر الجرّجاني ت (1078م)** بقوله:" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكرهُ باللّفظ الموضوع له في اللّغة، ولكن يجِيئُ إلى معنى تاليهِ وردفهُ في الوجود فيومِئُ بِه إليه ويجعلهُ دليلاً عليه، مثل قول أحدهم: لها بطويل النّجاد ونؤُوم الضُّحى ونحوها "[2].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص: 444.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2،1998م، ص:210.

3-3 أقســـــامهـــا:

قسّم البلاغيون الكناية من حيث ما تدل عليه إلى ثلاثة أقسام وهي الكناية عن صفة، موصوف، والكناية عن نسبة، فالكناية عن **صفة:** هي استخدام اللّفظ للدلالة على صفة من الصفات المعنوية، كقول **المتبني** يصف فرسه[1]:

واصرع أيِّ الوَحشِ قَفيتُـهُ بـــهِ وأنْــزِلُ عَنْـهُ مِثلُـــهُ حِيـــنَ أرْكَـبُ

فالمتنبي يصِفُ فرسه بأنه إذا أتبع به وحشًا أدركهُ وصرعهُ وينزل عنه بعد الصّيد وهو باقٍ على نشاطه ومثلما كان عند الرُّكوب[2].

أمّا **الكناية عن موصوف** فهي التي يكون فيها الموصوف هو المحتجب المتواري ومن الأمثلة على ذلك، قول الشاعر يفتخر بقومه[3]:

قَومٌ تَرى أرّمَاحَهُمْ يَومَ الوَغَى مَشّغُــوفَــةٌ بِمَــواطِـنِ الكِتْمَـــانِ

فلفظ الكناية هو: " **موطن الكتمان** " كناية عن موصوف وهو القلوب؛ لأنّ القلوب توصف بأنّها موطن الأسرار الخفية.

3-3-1 الكناية عن صفة:

الكناية فنٌ من فنون البيان؛ فهي أسلوبٌ توضع به المعاني في صور المحسوسات ويُعطي الحقيقة مصحوبةً بالدّليل فهي كغيرها من فنون البيان الأخرى أداةً فعّالة في رسم الصورة البيانيةِ يصوّر بها الشّاعر ما يخْتلج في نفسه، فيصل إلى

---

[1] محمد الشّيخ، الوافي في تيسير البلاغة، ص:32.

[2] ابن عبد الله شعيب أحمد: بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار ابن حزم، الرّياض، السعودية، ط1، 2008م، ص:208.

[3] ابن عبد الله شعيب أحمد: بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ص:209.

المعنى بطريق غير مباشر فيحدث في الذّهنِ نشاطًا وفِي النّفسِ نشوةً، ومن صور الكناية عن صفة في شعر أسامة بن منقذ والتي وردت حافلةً بمعانيها وملائمةً لسياقها قوله في باب الغزل يصف حبيبته[1]:

غرّاءُ أبهَى مِنْ ليـالِي البـدرِ بعِـيـدةُ القُـرطِ هضِيـمُ الخَصْـرِ

فقد كنّى عن طُول الجِيّد ولم يذكرهُ بلفظهِ الصريح، بل أتى بمعنى تابع لطُولِ الجِيّد وهو(**بعد القرط**)، أمّا عن نحافة الجسم كنّى عليها بعبارة (**هضيمُ الخصر**) ومن أمثلة " **الكناية عن صفة** " في شعر **أسامة بن منقذ** أيضا قوله[2]:

فَمَا مِثْلُهَا تُبْدِي احْتِفَالاً بِه ولاَ تَعُضُ عَلَيهَا للْمُلُوكِ الأبَـاهِـــمْ

في البيت كناية عن صفة " **النّدم** "؛ لأنّ عضّ الأباهم لا يكونُ إلاّ في حالةِ النّدم الشّديد التي يقع فيها الإنسان.

وحين يُطالع أسامة شكواهُ إلى اللّه واصفًا عيشهُ الذي تنكّد وتكدّر من بعدِ صفاءٍ والأحداث الصّعبة التي تتابعت عليه مشكِّلةً غمامة حزن شديد سيطر على قلبِه في قوله [3]:

إلَى اللّهِ أشْكُو عِيّشةً قدْ تَنكّدتْ عَلَيّ ودهْـرًا قـــدْ ألحّــتْ نـوائِبُـهْ

تكدّرَ منْ بعْدِ الصّفاءِ نَمِيـــرُهُ وأحْزَنَ من بعْــدِ السُّهُـولــةِ جانِبُـهْ

في هذه الأبيات المملوءة بالشّكوى والشّجن نلمس جمالية التصوير البياني التي برع الشاعر فِي تجسيدِها ممثلةً في قالب الكناية عن صفة، صفة " **المرارة وشقاء**

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:68.

[2] المصدر نفسه، ص:273.

[3] المصدر نفسه، ص:106.

العيش أو التعاسة " إن صحّ القول، وهذا ما جسّدهُ الشاعر لمّا وصف الحالة السّيئة التي أصبح عليها بعد أن كان في عيشةٍ رغيدةٍ، وفي بيتٍ آخر يقـول [1]:

نَظَرَتْ بَيَاض مَفارِقِي، فَاسْتَرجَعَتْ أسَفًـــا، وقَـالـتْ: أيّـن ذلِك الأسَـــودُ؟

ففي هذا البيت كناية عن صفة " **العجز والتقدم في السّن** "، وذلك من خلال تساؤُل حبيبته وتأسفها على سواد شعره الذي غطّاهُ بياض الشّيب، ومعروف أن بياض الشعر دلالة على تقدم السِّنُ ودنُوِ الأجلِ هذا ما أراد الشّاعر إيصالهُ من خلال هذا البيت، ويقول [2]:

تخـرّمـــتْ الأيّـــام أهلَ مَـوَدَتِـي فَنفْسِـــي عَـنْ أُنْـسِ الْمَســـرّاتِ نَـاشِـزُ

في البيت كناية عن صفة " **الوحدة والحزن** "، فالشاعر أصبح وحيدًا بلا أهلٍ ولا أقاربٍ، فالموت أخذهم واحدًا تلو الآخر.

وعن البخل يقول الشاعر أسامة بن منقذ[3]:

لاَ تَرتَجِ الخلْقَ، فَالأَبـوابُ مُرّتجَـةٌ دُون الحُطَـــامِ، وبَـــابُ اللهِ مـفْتُـــوحُ

والـرّزقُ لوكَانَ فِي أيّدِي الأنَامِ أبوْا أنْ يشـــرَبَ المَـاءَ من طُوفَـانـــهِ نُـــوحُ

في البيت كناية عن صفة **البخل**، حيثُ يُوجهُ الشاعر نصيحةً بأسلوب النّهي والنّصح والإرشاد مفادُها أنّ الإنسان لا يتّجهُ في طلبِ رزقهِ إلى الخلق مادام الخالقُ موجود؛ لأنّ الرّزق بين يديّ الله المُعْطي الرزّاق وهو خيرُ الرّازقين وليّس بين يديّ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:317.

[2] المصدر نفسه، ص:350.

[3] المصدر نفسه، ص:327.

البشر الضّعيف، فاترك الخلق واتّجه للخالق الرّازِق، فالرّزق لو كان بين يدي البشر لبخلوا به واحتكروهُ.

3-3-2 الكناية عن موصوف:

ومن صور الكناية عن **موصوف** ما جاء في وصف أسامة بن منقذ لـ:" **نصر بن الأفضل** " أحد الملوك والفرسان الذين خاضُوا الحروب لتحرير بيت المقدس وصدِّ أعداءِ الدِّين، يقول[1]:

ومـنْ إذَا جَـادَ بالـدُّنيـا لآمـلِـهِ قَـالَـتْ معَـارِفُـهُ حَـاشَاكَ مِنْ بُخْـلِ

ومنْ إذا جَـرّدَ البِيّـضِ الصّوارِمَ فِي الْـ هيْجَـاءِ أسّكُنُهَـا فِي الهَـامِ والقُـلَـلِ

فالشّاعر يرى في " **نصر بن الأفضل** " ذلك الملك الكريم الشُّجَاع، الذي ضرباتهُ للأعداءِ مصيبةٌ دائِمًا وسهامه قاضية وماضية، حيثُ لم يُصرِّح بذكر اسمه في البيتين وإنّما اكتفى بذكر صفاته الحسنة وفعالهِ الطيّبة وبطُولاتهِ خاصةً في ميدان الوغَى، وفي ذلك كلّه صورة من صور الكناية عن موصوف.

ولا يختلف " **أسامة بن منقذ** " في وصفهِ للملك الصّالح عن وصفهِ لـ: " **نصر بن الأفضل** " حين يقول مادحًا له[2]:

بنُو الحَربِ في يومِ الـوغَى وبنُـو النّـدَى إذَا مَـا بِـلادُ النّـاسِ جَـرّدهَـا القَحـطُ

إذَا مَـا احْتبَـوْا فَـالـرّاسِيّـاتُ رجَـاجَـةً وإنْ ركـبُوا فَـالأَسَـدُ هيّجَـتْ لـهَـا تُحَطُ

في هذا البيت كناية عنْ موصوف والذِي هو " **الملك الصالح** " ملك مصر حين وصفه الشّاعر بأنّه شجاعٌ وكريمٌ، كما وصفه بأنّهُ لا يبخل بجهدهِ في الحروبِ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:240.

[2] المصدر نفسه، ص:225.

والمُلّماتِ، فالشّاعر كنّى عن ذلك كلِّه بذكره لعبارتي "**بنُو الحرب، الرّاسيّات رجاجةً، وبنو النّدى**"، وفي قوله[1]:

دِمَاءُ العِدا أشْهَى مِنْ الـرَّاحِ عِندنَا وَوَقَـعُ المَواضِـي فِيهـم النّـاي والوتَر

ولم يبقَ إلاّ من أسرنا، وكيف بالـ بقَـاءِ لمنْ أخنتْ عليهِ الظِّبَـا البُتْـرُ

يبدو أنّ الشاعر أسامة قد كنّى عن السيوف البتارة بـ: (**وقعِ المواضي**)؛ وكأنّ هذه الدماء التي تنجمُ أو تسيل بفعل هذه السّيوف القاضية سيكون لها طعم خاص بل ربما ألذُ حتى من طعم الخمر، ولما تلتحم هذه السيوف بسيوف العدو يكون لها جرسا موسيقيا خاصا وكأنّها آلات موسيقية، وفي البيت الثاني تجسدت في قوله (**الضِّبَا البتر**) فهي كناية على حِدةِ أسنّةِ السّيوف، وهذا يدل أيضًا على فتكها بمن وقعت عليه وقتله.

تُعدُ الكناية من فنون التصوير البياني وأساليب التعبير الفنِّي، فهي ميدانٌ رحِبٌ للأوصافِ المعنوية خاصةً كالبخل والحزن والشّقاء... وغيرها، لذلك وظّفها " **أسامة بن منقذ** " في ديوانه بنسبةٍ قليلةٍ لذلك جعلتها في المرتبة الثالثة بعد الاستعارة.

شعر " **أسامة بن منقذ** " حافلٌ بألوان الخيال التي كوّنَ بها عالمًا شعريًا خاصًا به، استمدَ صورهُ وأخيلتهُ بلا تعْقيدٍ أو كلفةٍ من البيئة المحيطة به مستفيدًا ممّا أُتيح له من خبرة وما يتمتع به من براعة تصويرية، مستغِلاً في ذلك لغته الغنية والثرية، موظفًا ضروب البيان المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية، فالصورة البيانية في شعر أسامة بن منقذ تحققت بأنواعها الثلاث من تشبيهٍ واستعارةٍ وكنايةٍ، باختلاف نسبها في النّص الشّعري، فكانت الصّدارة للتشبيه الذي كان موجودًا بكثافةٍ في الديوان خاصة التشبيه

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:203،204.

المرسل، لتأتي بعده الاستعارة فتحتل بذلك المرتبة الثانية خاصة المكنية منها، وأخيرًا الكناية.

الصورة البديعية ينسجها الشاعر بخياله الواسع، اعتمادًا على موهبتِهِ الأدبية وذوقهِ اللّغوي وحسِّهِ الموسيقي، وفي هذا المبحث سنتطرق إلى دراسة بعض الظواهر البديعية كالجناس والطباق والتصريع والتطريز.

4-الجنـــــاس:

لعلّ من أوائل من تكلمُوا عن الجناس عبد الله بن المعتز في الباب الثاني من كتابه **البديع**، حيّث عرّفه بقوله: " هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعرٍ أو كلامٍ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها "[1]، ومن أمثلة الجناس ما ورد في قول الشاعر[2]:

مَاذَا السُكُونُ إلى دنيّا حَوادِثُهَـــا لهَا علَــى الخلْــقِ غَـدْواتٌ وعَدْواتُ

فقد جانس بين لفظي **(غَدْواتٌ، عَدْواتُ)**، ويقول[3]:

نَـاحَتْ فباحَت فِي فُـرُوعِ البَـانِ عَــنْ لَـوعَـتِـي وعَـنْ جَـوَى أحْزَانِـي

ويقول[4]:

صِلُوا فُــؤادًا، إذا سكنتُ روعَتُهُ هَـفَـا، ودَمْعًـــا إذَا نَهْنَـهَتْــهُ وكَـفَـا

---

[1] عبد اللّه بن المعتز: البديع، عناية: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، الأردن، عمّان، ط3، 1982م، ص:25.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:325.

[3] المصدر نفسه، ص:360.

[4] المصدر نفسه، ص:77.

ويقول[1]:

وأَحْمِلُ الضّغنَ في وجدِي بِهَا وأرَى حمْلَ الهَوى من وقَارِ الحِلْمِ أجمــلَ بِي

الجناس واقع بين لفظتي(**أحملُ، أجمل**)، ويقول [2]:

صَاحِبْهُــمْ بتــرفُـقٍ مَـا أَصْحبُـوا وتجَــافَ عَـنْ تعْنِيفِهِــمْ إنْ أَذنبُـــوا

الجناس واقع بين لفظتي (**أصحبُوا، أذنبُوا**).

يحدثُ الجناس إيقاع موسيقي عندما تتفق الألفاظ في بعض الحروف أو جميعها، فتحدثُ النّغمات التي تطرب لها النّفس وتفعم بموسيقاها، قبل أن تهتدي إلى اختلاف معاني ألفاظها، هذا فضلاً عن المتعة التي تجدها النّفس عند اهتدائِها إلى المعنى الذي تحملهُ لفظة الجناس الثانية.

5-الطبـــاق:

عرّفه "**القزويني**" **ت (1283م)** وسمّاهُ الطباق والتضاد أيضًا فقال: " هو الجمعُ بين المتضادينِ، أي معنيين متقابلين في الجملة "[3]، ويطابق أسامة بن منقذ بين ألفاظٍ عديدة منها ما جاء في قوله[4]:

ليّس طـرفِـي جَـارًا لقلْبِـي ولكـنْ دمُ هَــذَا بـــدمـــعِ هــذا مشُـــوبُ

خُلْطــةٌ فــي تبـايـنِ الحـالِ هَـذا أبـــدًا ظَــاهِـــرٌ وذَا مخْــجُـــوبُ

---

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:56.

[2] المصدر نفسه، ص:51.

[3] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، ص:255.

[4] المصدر نفسه، ص:54.

حيثُ طابق بين **ظاهر/ ومحجوب**.

وحين ييأس أسامة من تحقق أحلامه يخاطب من له أمل في الحياة بأسلوبٍ متشائمٍ ساخطٍ، يقول[1]:

يا مُعْمِـلَ الآمَـالِ دَعْ خُـدعَ المُنَى فَـاليَـأسُ ينْـقُـضُ كُـلّ مَـا أبْـرمْتُـهُ

في البيت طباق إيجاب بين لفظتي (**الآمال/اليّأس**)، لما بينهما من فرقٍ شاسعٍ، فالأمل نقيض اليأس تمامًا، ويلعبُ التقابل دورًا أساسيًا في المعجم الدلالي المعبر عن الحزن والتشاؤم لذلك يقول في هذا البيت المملوء بالتناقض [2]:

لئِنْ غَـربتْ شَمْسِي المُنِيرة فِي النّوى فليْلِـي وصُبْحِـي فِـي الظّـلامِ سَواءُ

ورد الطباق في هذ البيت بين لفظتي (**المُنِيرة /الظّلام**)، (**ليلِي/صُبحِي**)، حيث أورد الشّاعر اللّفظ ومعناه، فالإنارة عكس الظّلام واللّيل عكس الصّبح ليصنع صورة جمالية، وعنْ حديثه عن فكرة الفناء والرّحيل من الدنيا، يقول أسامة[3]:

كُـلُّ شَـــيءٍ تراهُ فِي هذِهِ الدُنـــ ـــيـــا خيَـــالٌ إذَا انْتَبهَـتَ يـَـــزُولُ

مَـــا يَـــدُومُ النّعِيّمُ ولاَ البُـــؤْ سُ مَتَـــاعُ الدُنْيَـــا مَتَـــاعٌ قلِيـــلٌ

ويُطابق أسامة بين الجنّة والنّار في قوله[4]:

فَليّسَ بعْدَ المَـوتِ دَارٌ سِـوى جنّـــةِ عَـــدْنٍ، أو لـظَّـــى تضْـــرمُ

---

(1) أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:58.

(2) المصدر نفسه، ص:159.

(3) المصدر نفسه، ص:306.

(4) المصدر نفسه، ص:339.

يُعدُ الطباق من مظاهر الإيقاع الداخلي، التي تشكل حضورًا بارزًا ولافتًا في شعر " **أسامة بن منقذ** "، لما لهُ من أثرٍ في تحديد الدلالة المعنوية الواضحة وشحنِ النّص الشّعري بشحنات نفسية، زد على ذلك أنّ للرؤية الخاصة التي يمتلكها الأديب والمتشكلة من حصيلة تفاعله مع البيئة والعصر الذي يعيشُ فيهما أثر في بروز العديد من المتضادات في شعره.

6-التصـــريـــع:

" وهو اتفاق قافية الشّطر الأول من البيت الأول مع قافية القصيدة، وهو دليلٌ على قدرة الشّاعر وفصاحتِهِ "[1]، ويحضر التصريع في قول أسامة[2]:

كُلّ يَـومٍ فَتْـــحٌ مُبِيّـــنٌ ونَصْـــرُ واعْتِـــلاَءٌ عَلَى الأعَـــــادِي وقَهْـــــرُ

وفي قوله[3]:

مَا يُنْكِـــرُ الأخْلِيَـــاءُ مِنْ كَمَـدِي لاَ جَـــزَعِـــي مُسعِـــدِي ولاَ جَـلَـــدِي

وفي قوله[4]:

تُذَكِـــرهُ أحبَابَهُ الأنْجُـمُ الـــزّهْـــرُ فيَـــا ويّحَـــهُ مَـــاذَا بِـهِ صَنَـــعَ الـذِّكْـــرُ

---

[1] ينظر: ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية للنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص:222.

[2] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:220.

[3] المصدر نفسه، ص:112.

[4] المصدر نفسه، ص:171.

7- التطـريـــز:

هو " أن يقع في أبياتٍ متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون منها كالطرّاز في الثّوب "[1]، ومن أمثلةِ ذلك في شعر أسامة ما جاء في قوله[2]:

لاَ زِلتَ يا مَـــلِكَ الإســـلامِ فِي نِعـــمٍ قرِيّنُهَا المُسعِدَان: النّصـــرُ والظّفَـــرُ

تُرِدِي الأعَـــادِي وتسْتصفِي مَمَالكهُمْ وعَـونُكَ الماضِيـانِ: السّيفُ والقَـــدرُ

فأنْتَ إسكنْـــــدرُ الدنيَـــا بِنُـورِكَ قدْ تضَـاءلَ المُظلِمَـــانِ: الظُلـمُ والضّـــررُ

أعَدتَ للدّهْـــرِ أيّـــامَ الشّبابِ وقَـدْ أظَلّـــهُ المُهْرِمَـانِ: الشّيـــبُ والكِبَـــرُ

وجَـاءَ غيّثُ نِـداكَ المسلمِيـنَ فمِنْ سحَـــابهُ المُغنيـانِ: الـــدُّرُ والبَـــــدرُ

وسِرتُ سيرةَ عـدْلٍ فِـي الأنَـامِ كَمَـا قَضَى بهِ الصّادِقانِ: الشّـــرعُ والسُّوَرُ

لقد أظهر أسامة البراعة الأدبية التي تميّز بها من خلال هذه القصيدة التي طرّزها بأجمل الألفاظ الخالدة.

من خلال تتبعنا لمواطن الصورة البديعية في شعر " **أسامة بن منقذ** " تبيّن لنا جليًا أنّهُ استطاع أنْ يُوظِفَهُ في لغته الشّعرية، مَانِحًا هذه اللّغة شيئًا مُحَببًا من خلال انتقاء الألفاظ ومَا بيّنها من تلاؤُم أو تنافر في الحروف أو الحركات، ومدى ملائمتها للمعنى المراد، وما ترسمه من دلالات موحيّة تتناغم مع أعماق النّفس الإنسانية، وقد أسهم الجناس في إحداث التناغم الموسيقي ويظهر أثرهُ في إيقاع المعنى، عندما تتكرر الألفاظ المتفقة في بعض الحروف أو جميعها، كما أنّ كثرتهُ في شعره إنّما يدلُ على

---

[1] أبو هلال العسكري: الصّناعتين، ص:339.

[2] العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشّام)، ص:445.

البراعة اللّغوية للشّاعر، كما جاء الطباق والتصريع والتطريز في شعره ليخلق نوعًا من التنغيم الخفي والتوازن المنسجم في العبارات.

تميّز أسلوب الشاعر " **أسامة بن منقذ** " بالسهل الممتنع، فهو خالٍ من التكلف والصناعة، رصينًا ومنمقًا دون إجهاد وإغراق في الألفاظ، كما غلب على معجم الشّاعر اللّفظي طابع الحزن والتشاؤم والشّكوى والحس المأساوي، فتنوعت الألفاظ على حسب الحقول الدلالية التي وظفها الشاعر.

موسيقى شعر " **أسامة بن منقذ** " (الوزن والقافية) كشفت على أنّ الشّاعر أسامة نظم شعره على أغلب البحور الخليلية، وكان أكثرها استخدامًا بحر الكامل والبسيط، أمّا القافية استخدمها الشاعر بنوعيها القافية المطلقة والمقيدة، وكانت المطلقة أكثر شيوعًا من المقيّدة، كما نوّع في حروف الرّوي فاستخدم معظم حروف المعجم العربي.

نظم الشاعر " **أسامة بن منقذ** " قصائده مستخدمًا البحور الخليلية التي تناسب مواقفه الانفعالية التي تستدعي نوعًا خاصًا من البحور الشّعرية وما تتمتع به من مرونة وحيوية تجعل أذن القارئ تستسيغ سماع شعره وتستحسنه.

استلهم الشاعر " **أسامة بن منقذ** " القرآن في العديد من المفردات والعبارات وفي الكثير من القصص والمواقف وبعض الشّخصيات، وبالتالي حفل شعره بكلمات وعبارات قرآنية.

أمّا التناص الأدبي اعتمد الشاعر على تضمين نصوصه الشّعرية نصوصًا لغيره من الشعراء الذين سبقوه أو عاصرهم في بيان غرضه الشّعري.

تناولت الدراسة الصورة البيانية في شعر " **أسامة بن منقذ** "، فكانت تشبيهاته واضحة خالية من الغموض، نجحت في إبراز الصورة الفنية وتقريب المعاني، كما نوّع

الشاعر في الاستعارة بأنواعها، وبها استطاع الشاعر خلق حركة في صوره وتشخيصًا وتجسيمًا بفضل استعاراته، فأجاد وأبدع في هذا الشِّق، وجاءت الكناية بصورة أقل من التشبيه والاستعارة فلم يتفنن فيها كسابقتيها.

المحسنات البديعية الّتي وظفها الشّاعر " **أسامة بن منقذ** "، من ذلك: الجناس والطباق والتصريع والتطريز، وهي بعض العناصر الموسيقية الداخلية الّتي أضفت جرسًا موسيقيا عذبًا على أشعاره، وتمكنت من أن تبرز جمال النّص الشّعري.

تميّز شعر " **أسامة بن منقذ** " بصدقهِ وانعكاسه للواقع، فلقد كان شعره مرآة عصره، وصورة جليّة لحياته، فنجد من خلاله شرحًا وافيًا لما مرّ به من أحداثٍ واضطراباتٍ سياسية بوصفٍ دقيق، وأسلوب سلس وواضح، فذكر في أبيات كثيرة من شعره وصفًا لحياته، وشجاعته، وحكمته، وفطنته الحادّة، وغربته، وهذا يبدو واضحًا في كل أبياته الشّعرية، كما تميّز شعرهُ أيضًا بجزالة اللّفظ، وعمق المعنى، وخصوبة الخيال، والقدرة على الوصف الدقيق لكل مجريات حياته.

خـــــاتـــــمـــــة

إلى هنا أكون قد أنهيت ما كان مقدرًا أن أنتهي إليه، ويمكنني أن أشير إلى عدد من النتائج التي توّصلت إليها من خلال هذا البحث وفق أهداف رسمتها في البداية وأسئلة كانت منطلقًا مثيرًا في خوض غمار هذا البحث، وتوصلت من خلال هذه الدراسة إلى:

1. الشاعر" **أسامة بن منقذ** " نشأ في كنفِ أبويهِ وعمّه وجدته، في وسط أسرةٍ عريقة ومرموقة من أعظم الأسر العربية أكثر رجالها فرسان ومحاربون من الطبقة الأولى، تلقى تعليمه على أيّدي فقهاء وأدباء ومؤرخين، فهو الفارس العربي المسلم الحافظ لتقاليد الفتوة الإسلامية في أحسن مظاهرها وأقواها كالشهامة والإقدام والجرأة والالتزام الأخلاقي، وهو الوفيُّ لقومه وأرضه ووطنهِ.
2. تنوعت الأسباب وتكاتفت الدواعي الذاتية والموضوعية وتتالت الهموم التي تمخض عنها الحزن في شعر " **أسامة بن منقذ** "، فكان للحب والظلم والغربة والموت والنفي الزلازل نصيبًا كبيرا في شقاء الشاعر وحزنه وألمه.
3. قضى الشاعر " **أسامة بن منقذ** " حياته متنقلا من مكان إلى آخر، إلى أن وافته المنية، ولا يخفى أنّ كل هذه التنقلات ساهمت في صقل شخصية هذا الشاعر الفذ والبطل المقدام، وأسهمت في إنضاج فكره، وتعميق فلسفته في الحياة، إلاّ أنّها كانت السّبب الرئيسي في حزنه وتشاؤمه وإثارة وجده.
4. كل قلوب الشعراء والشاعرات أصابتها سهام الردى وتركت فيها جراحًا عميقة يصعب التئامها ونيرانًا لا تنطفئ، وهكذا تجلّى الحزن بكل أنواعه في دواوين الشعراء عبر العصور الأدبية (العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي).
5. تجلّت الغربة بكل معانيها في شعر " **أسامة بن منقذ** "، فكشفت النّصوص الشّعرية الّتي قِيلت في الغربة أن الشّاعر تغرّب عن أهله وأقربائه

وأصدقائه، فقد اشتاق إلى ابنه وأخيه وأهله، فإحساسه بالغربة وحدّ معظم قصائده ذات الأغراض الشّعرية المختلفة وطبعها بطابع الغربة والحنين وهذا أكبر دليل على طغيان الحس الشاكي الحزين في قصيدته.

6. شكل الماضي والحاضر ثنائية ضدية في قصائد الشاعر ابن منقذ، حيثُ يتحقق فرح الشاعر عبر المكان والزمان الماضيين، في حين يتحقق حزنه وألمه في الزمان والمكان الحاضرين أو الواقعيين.

7. احتل شعر الحنين إلى الوطن جانبًا كبيرًا من نتاج الشّاعر " **أسامة بن منقذ** "، فعبر من خلاله عن الحنين الممزوج بالألم والحسرة على فراق الوطن، كما دلّت الأشعار على مدى ارتباط الشّاعر بوطنه وتعلقه به، حيث حنّ إلى مسقط رأسه، ومنشأ طفولته، وذكريات صباه، وحنّ أيضًا إلى مدن أخرى أقام فيها فترة من الزّمن فأسهمت في تكوين شخصيته وثقافته.

8. ظلّ الموت بالنسبة للشّاعر بمثابة المأساة الخانقة والسّبب الرّئيسي في قلقهِ وحيرتهِ وضياعهِ فلم يستطيع الهروب منه؛ فقد عظمت الرّزية وفاضت بوادرُ الدّموع وتتابعت الزّفراتُ معبرةً عن ألمِ الفِراقِ ولوعةِ الثّكلِ والوحدة.

9. يعدُ الشاعر " **أسامة بن منقذ** " في طليعة شعراء عصره في شعر الشكوى؛ لأنّ المحركات الأساسية لشكواه تعود إلى عدةِ أمور توالتْ عليه.

10. انتقلت الدّراسة إلى جانب آخر وهو جانب الخصائص الفنية، فتميزت لغة الشاعر بازدواجية واضحة في التعبير بين العفوية الواعية والعمق، كما تميزت ألفاظه بالصعوبة والجزالة، والرقة والسهولة أحيانا.

11. أسلوب الشاعر " **أسامة بن منقذ** " سهل ممتنع، خالٍ من التكلف والصناعة، رصينًا ومنمقًا دون إجهاد وإغراق في الألفاظ، جيد الرّصف يعكس ذوق الشاعر الرفيع، وسعة اطلاعه ودقة اختياره، فنجده يكثر من أساليب

الانشائية كالنداء والأمر والنهي والتحذير والطلب والاستفهام...، وهذا ما جعل منه بحقّ من أعاظم شعراء العرب على مرّ الزمان.

12. غلب على معجم الشاعر اللّفظي طابع الحزن والتشاؤم والشكوى والحس المأساوي، فتنوعت الألفاظ على حسب الحقول الدلالية التي وظفها الشاعر.

13. استلهم الشاعر " **أسامة بن منقذ** " القرآن في العديد من المفردات والعبارات وفي الكثير من القصص والمواقف وبعض الشّخصيات، وبالتالي حفل شعره بكلمات وعبارات قرآنية، أمّا التناص الأدبي اعتمد الشاعر على تضمين نصوصه الشّعرية نصوصًا لغيره من الشعراء الذين سبقوه أو عاصرهم في بيان غرضه الشّعري.

14. تناولت الدراسة الصّورة البيانية في شعر " **أسامة بن منقذ** "، فكانت تشبيهاته واضحة خالية من الغموض، نجحت في إبراز الصورة الفنية وتقريب المعاني، كما نوع الشاعر في الاستعارة بأنواعها، وبها استطاع الشاعر خلق حركة في صوره وتشخيصًا وتجسيمًا بفضل استعاراته، فأجاد وأبدع في هذا الشّق، وجاءت الكناية بصورة أقل من التشبيه والاستعارة فلم يتفنن فيها كسابقتيها.

15. موسيقى شعر " **أسامة بن منقذ** " (الوزن والقافية) كشفت على أنّ الشّاعر أسامة نظم شعره على أغلب البحور الخليلية أبرزها، بحر الكامل، البسيط، الطويل، الخفيف، السريع، الوافر، المنسرح، الرجز...، وكان أكثرها استخداما بحر الكامل والبسيط، أمّا القافية استخدامها الشاعر بنوعيها القافية المطلقة والمقيدة، وكانت المطلقة أكثر شيوعا من المقيدة، كما نوّع في حروف الرّوي فاستخدم معظم حروف المعجم العربي.

16. المحسنات البديعية الّتي وظفها الشّاعر " **أسامة بن منقذ** "، من ذلك: الجناس والطباق والتصريع والتطريز، وهي بعض العناصر الموسيقية الداخلية الّتي أضفت جرسًا موسيقيا عذبًا على أشعاره، وتمكنت من أن تبرز جمال النّص الشّعري.

ختامًا أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وُفقتُ في تحقيق ما أصبو إليه، وأن تفيد هذه الدراسة كل من يطلع عليها، كما لا يفوتني الاعتراف بأن هذا العمل يبقى بشري قد يتخلله النقص، ولا أقول إلاّ كما قال الشاعر " **أسامة بن منقذ** " عن شعره " وفيه بعد ذلك عيوب يشهد بها إقراري وإنصافي، ويشفع في سترها اعترافي واعتذاري وفيه ما فيه ممّا لا أنكره ولا أخفيه، فمظهرهُ قائل صدقٍ وعدلٍ، وساترهُ أخُو كرم وفضل "، وأنا القائل[1]:

كُلّما رددّتُ في شعْـــرِي النّظَـــرُ بـَانَ ضعْـفُ العَـــيُّ فِيـــهِ، وظهـــرْ

ليّس يُـــرْضِـيِّني، ولاَ يُمْكِنُنِـــي جحـدَ مـا قـدْ شـاعَ منْـــهُ، واشْتهَـــرْ

فَـــأُجِيـلُ الفكْـــرَ فِي تقْلِيلِـهِ فَـــإذَا قَـــلَّ اخْتصـــرتُ المخْتصـــرْ

وبـــهِ فقْـــرٌ إلى ذي كـــرَمٍ إنْ رأى مَـا فـيـهِ مـن عيّـبٍ سَـتَـــرْ

ولكن حسبي أنني بذلت قصارى جهدي في هذا العمل وأخلصت فيه النية ليخرج بهذه الحلّة، فإن فاتتني الغاية فلم يفتني شرف السّعي إليها، وإن وفِقتُ فللهِ الحمد والمِنّة، وإن كانت الأخرى فمن الشيطان ومِنّي، وما توفيقي إلاّ بالله العلي القدير عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[1] أسامة بن منقذ: ديوانه، ص:47،48.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أولاً: المصـــــادر

1- أحمد البيهقي: **الـزهــد الكبـير**، تح: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

2- أحمد بن أبي طاهر طيفور: **بلاغات النساء**، شر: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، مصر،(د، ط)، 1326هـ،1908م.

3- أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللّغة**، تح: عبد السّلام محمد هارون، ج2، ج3، القاهرة، مصر، ط2، 1971م.

4- أحمد بن محمد الحسن، المرزوقي: **شرح ديوان الحماسة**، ج1،ج2، تح: غريد الشّيخ، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ،1991م.

5- أحمد بن محمد، ابن خلكان: **وفيات الأعيّان وأنباء أبناء الزّمان**، تح: إحسان عبّاس،ج1،ج3، دار صادر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1398 هـ،1978م.

6- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج2، تح: محمد باقر، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1977م.

7- أسامة بن منقذ: **الاعتبار**، تد: عبد الكريم الأشتر، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ، 2003م.

8- أسامة بن منقذ: **المنازل والديّار**، تح: مصطفى حجازي، دار سعاد الصّباح، القاهرة، مصر، ط2، 1412هـ/1992م.

9- أسامة بن منقذ: **ديوانه**، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ، 1983م.

10- أسامة بن منقذ، **لباب الآداب**، تح: أحمد محمد شاكر، دار تراثية، القاهرة ، مصر، ط1، 1987م.

11- إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية: **ديوانه**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1406هـ، 1986م.

12- إسماعيل بن حمّاد، الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ج2، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1990م.

13- إسماعيل بن عمر الدمشقي، ابن كثير: **البداية والنهاية**، تح: علي شيري،ج1، ج2،ج12، دار إحياء التراث العربي، (د، ب)، ط1، 1408هـ، 1988م.

14- امرؤ القيس، **ديوانه**، شر: عبد الرّحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ،2004م.

15- عبد الأمير مهنا: **معجم النّساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

16- عبد البديع صقر: **شاعرات العرب**، منشورات المكتب الإسلامي، (د، ب)، ط1، 1967م.

17- أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا، الرّازي، **مختار الصحاح**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1979م.

18- جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي: **ديوانه**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ،1986م.

19- حسان بن ثابت الأنصاري: **ديوانه**، شرح: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.

20- أبو الحسن علي بن الحسين، المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة: كمال حسن مرعي،ج3، ج4، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1425هـ، 2005م.

21- أبو الحسن علي بن العباس، ابن الرومي: **ديوان ابن الرومي**، شر: أحمد حسن بسج، ج1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،1423هـ،2002م.

22- حسين بن محمد، الرّاغب الأصفهاني: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء**، تهذيب إبراهيم زيدان، ج2، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر، (د، ط)،1902م.

23- عبد الحكيم الوائلِي: **موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية الإسلام**،ج1، ج2، دار أسامة، الأردن، عمّان، ط1، 2001م.

24- أبو حيان التوحيدي: **الإشارات الإلهية**، تح: عبد الرحمن البدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د، ط)،1973م.

25- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي: **معجم العين**، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، ج5، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط2، 1409هـ، 1989م.

26- الخنساء، **ديوان الخنساء**: شر: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ،2004م.

27- خير الدين الزّركلي: **الأعلام**، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م.

28- داوود سلوم: **شعر نصيب بن رباح**، تح: داوود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د، ط)، 1967م.

29- دعبل الخزاعي: **ديوانه**، شر: حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ.

30- أبو ذؤيب الهذلي: **ديوانه**، تح: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، القاهرة، ط1، 1435هـ، 2014م.

31- سعاد الحكيم: **المعجم الصّوفي (الحكمة في حدود الكلمة)**، دار إحياء دندرة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

32- ابن سنان الخفاجي: **سرّ الفصاحة**، دار الكتب العلمية للنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،1982م.

33- أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد اللّه: **ديوانه**، شرح وتحقيق: السّيد أحمد صقر، المطبعة الحمودية، القاهرة، مصر، ط1، 1953م.

34- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: **معجم الأدباء**، تح: إحسان عباس، ج2، دار بيروت للطباعة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1995م.

35- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: **معجم البلدان**، ج2، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1977م.

36- شهاب الدين، أبو شامة: **الرّوضتين في أخبار الدولتين**، تح: إبراهيم الزّيبق، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ،1997م.

37- أبو طاهر مجيد الدين محمد، الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ج4، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

38- أبو طاهر مجيد الدين محمد، الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط8، 1426هـ، 2005م.

39- أبو الطيب أحمد بن الحسين، المتنبي: **ديوانه**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د، ط)،1403هـ،1983م.

40- ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، شرح وضبط: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السّلام هارون،ج3، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، (د، ط)، 1982م.

41- عزّ الدين أبي الحسن، ابن الأثير الجزري: **الكامل في التاريخ**، مراجعة: محمد يوسف الدّقاق، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 1424هـ، 2003م.

42- أبو العلاء أحمد بن عبد الله، المعري: **سقط الزّنـد**، دار صادر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1376هـ، 1957م.

43- أبو علي الحسن المسيلي القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في نقد الشعر وتمحيصه**، شرح: مفيد قميحة، ج1،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

44- علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني: **أدب الغرباء**، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1972م.

45- علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ج6،ج8،ج12، ج14،ج15، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط5، 1981م.

46- عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين، ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح: سهيل زكّار، ج3، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

47- عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين، ابن العديم: **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ ،1996م.

48- عمرو بن بحر بن محبوب، الجاحظ: **البيان والتبيين**، تح: فوزي عطوي، ج1، دار صعب، بيروت، لبنان، ط1، 1968م.

49- فاطمة الزّهراء: **ديوانها**، إعداد: حيدر كامل ومحمد شراد حساني، منشورات دار البحار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

50- أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، الحمداني: **ديوان أبي فراس الحمداني**، شر: خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م.

51- أبو الفضل محمد بن مكرم، ابن منظور: **لسان العرب**، ج1،ج3،ج4، ج5،ج7، ج11، ج13، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م.

52- عبد القادر الجيلاني: **الفتح الرّباني والفيّض الرّحمانِي**،ج1، دار الرّيان للتراث، للتراث شارع الأهرام، القاهرة، مصر، (د، ط)،(د، ت).

53- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الزّمخشري، **أساس البلاغة**، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1979م.

54- عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2،1998م.

55- قدامة بن جعفر: **نقد الشّعر**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

56- لبيد بن ربيعة العامري: **ديوانه**، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

57- عبد الله بن محمد عبد الكافي، الزّوزنِي: **حماسة الظّرفاء من أشعار المحدثين والقدماء**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

58- عبد اللّه بن المعتز: **البديع**، عناية: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، الأردن، عمّان، ط3، 1982م.

59- عبد الله محمد البغدادي: **الـزهــد**، دار ابن الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ب)، ط1، 1999م.

60- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن القيم الجوزية: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبُدُ وإياك نستعين**، تح: ناصر بن سليمان السعودي وعلي بن عبد الرحمن القرعاوي وآخرون، دار الصميعي للنّشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1432هـ،2011م.

61- ليّلى الأخيلية: **ديوان ليّلى الأخيلية**، تح: خليل إبراهيم العطية، جليل العطية، سلسلة كتب التراث،(د، ب)،(د، ط)،(د، ت) .

62- أبو مالك، الأخطل: **ديوانه**، شر: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1414هـ، 1994م.

63- مالك بن الرّيب: **ديوانه**، تح: نوري حمودي القيسي، معهد المخطوطات العربية،(د، ب)، (د، ط)، (د، ت).

64- أبو محمد بن عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ج 1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1925م.

65- محمد بن جرير بن يزيد، الطبري: **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيات القرآن)**، تح: بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني، ج4،ج5،ج7، مؤسسة الرسالة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

66- محمد بن محمد صفي الدين، الأصفهاني: **خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشّام)**، تح: شكري فيصل، ج1، المطبعة الهاشمية، دمشق، سوريا، ط1، 1968م.

67- محمد بن مكرم، ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تح: إبراهيم صالح، ج4، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1408هـ،1978م.

68- مرتضى الحسيني عبد الله، الزّبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مصطفى حجازي، ج1،ج3،ج12، مطبعة حكومة الكويت، الكويت،(د، ط)، 1393هـ،1973م.

69- مصطفى الشّكعة: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانييّن**، عالم الكتب، بيروت، لبنان،(د، ط)،1981م.

70- أبو هلال العسكري: **الصّناعتين**، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1986م.

ثانيـا: المراجـــع

1- الكتـــب:

71- إبراهيم السّامرائي: **لغة الشّعر بين جيلين**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د، ط)،1998م.

72- إبراهيم أنيس: **موسيقى الشّعر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1965م.

73- أحمد الشّايب: **أصول النّقد الأدبي**، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1942م.

74- أحمد الهاشمي السّيد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

75- امحمد بن لخضر فورار: **الشّعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية دراسة موضوعية فنية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، (د، ط)، 2009م.

76- إميل ناصيف: **أروع ما قيل في الموت**، دار الجبل، بيروت. لبنان،(د، ط)،(د، ت).

77- بشير تاوريريت: **الحقيقة الشّعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول والمفاهيم)**، اربد للنشر والتوزيع، عمان، الأدن، ط1، 2010م.

78- توفيق ركان الصّفدي: **ابن الرومي الشاعر المجدد**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د، ط)، 2012م.

79- جابر أحمد عصفور: **مفهوم الشّعر دراسة في التراث النّقدي**، (د، ط)، (د، ط).

80- جرجي زيدان: **تاريخ آداب اللّغة العربية**، تعليق: شوقي ضيف، ج3، دار الهلال، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت).

81- جمال مباركي: **التناص وجمالياته في الشعر المعاصر**، دار هومة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

82- جورج مارون: **علما العروض والقافية**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د، ط)، 2008م.

83- حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السّياسي والديني والثقافي والاجتماعي**،ج3، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1949 م.

84- حسني عبد الجليل يوسف: **موسيقى الشعر العربي(دراسة فنية وموضوعية)**، ج1، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر(د، ط)، 1989م.

85- حسين علي عبد الحسين الدّخيلي: **دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي**، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2011م.

86- عبد الحميد خطّاب: **إشكالية الحُب في الحياة الفكرية والرّوحية في الإسلام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر ،2004م.

87- حنّا الفاخوري: **تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

88- أبو ذؤيب الهذلي: **حياته وشعره**، تقديم: محمد سعد زغلول، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، السعودية، ط1، 1400هـ، 1980م.

89- عبد الرّحمن العيسوي: **الاضّطرابات النّفسية**، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د، ط)، 2006م.

90- عبد الرّشيد عبد العزيز سالم: **شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم**، وكالة المطبُوعات عبد الله حرمي، الكويت، ط1، 1982م.

91- رضا محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم**، ج6، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، (د، ت).

92- رولان بارت: **نظرية النّص ضمن كتاب آفاق التناصية**، تح: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م.

93- سامي مكي العاني: **الإسلام والشعر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،(د، ط)، 1996م.

94- سعد بوفلاقة: **شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي**، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

95- سكينة قدور: **محاضرات في أدب العصر العباسي**، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (د، ط)، 2012م.

96- سهام عبد الوهاب الفويح: **المرأة والإبداع الشعري**، دار الهدى للثقافة والنشر، ط1، 2004م.

97- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، (د، ت).

98- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشّام**، ج6، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، (د، ت).

99- شوقي ضيف: **فنون الأدب العربي، الفن الغنائي (الرثاء)**، دار المعارف، مصر،(د، ط)،(د، ت).

100- صابر عبد الدّايم: **موسيقى الشّعر العربي بين الثّبات والتطور**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1993م.

101- صفاء خلوصي: **فـن التقطيـع الشّعـري والقـافيـة**، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط6، 1987م.

102- عاطف فضل محمد: **البلاغة العربية**، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط1،2001م.

103- عباس محمود العقاد: **اللّغة الشّاعرة**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

104- عدنان بن ذريل: **النّص والأسلوبية بين النّظرية والتطبيق دراسة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب،(د، ب)، (د، ط)، 2000م.

105- عز الدين إسماعيل: **الشّعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1979م.

106- عبد العزيز عتيق: **علم البيان**، ج1، دار النهضة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1985م.

107- علي إبراهيم حسن: **نساء لهنّ في التاريخ الإسلامي نصيب**، مطبعة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت).

108- عمر الدّقاق: **ملامح الشّعر المهجري**، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، 1960م.

109- عمر بوقروة: **الغربة والحنين في الشعر الجزائري(1945-1962م)**، مركز جامعة باتنة أنجز طبعة على مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 1997م.

110- عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان،ج3، 1989م.

111- فاطمة طحطح: **الغربة والحنين في الشعر الأندلسي**، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م.

112- عبد الفتاح عثمان: **شعر المرأة في العصر العباسي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،(د، ط)،2004م.

113- ابن عبد الله شعيب أحمد: **بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية**، دار ابن حزم، الرّياض، السعودية، ط1، 2008م.

114- ماهر حسين فهمي: **الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث**، مطبعة الجبلاوي، مصر،1970م.

115- محمد أبو المجد علي: **شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في العصر الأموي**، كلية الدراسات العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ،1995م.

116- محمد ألتونجي: **شاعرات في عصر النبوة**، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط1، 2002م.

117- محمد الشّيخ: **الوافي في تيّسيّر البلاغة**، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، مصر،(د، ط)، 2004م.

118- محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.

119- محمد سهيل قطوش: **تاريخ الدولة العباسية**، دار النّفائس، بيروت، لبنان، ط5، 1426هـ،2005م.

120- محمد عبد المنعم خفاجي: **الحياة الأدبية في العصر العباسي**، دار الوفاء ، الاسكندرية، مصر، ط1، 2004م.

121- محمد عدنان قيطاز: **أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره**، دراسات أدبية عربية، منشورات وزارة الثقافة، (د، ط) ، دمشق، سوريا،1998م.

122- محمد عزّام: **النّص الغائب تجليات التناص في الشّعر العربي**، اتحاد الكُتاب العرب، دمشق، سوريا،(د، ط)، 2001م.

123- محمد مصطفى أبو شوارب: **إيقاع الشّعر العربي وتطورهِ وتجديدهِ**، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط1، 2007 م.

124- محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005م.

125- محمد ناصر: **الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية)**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، (د، ت).

126- مصطفى صادق الرّافعي: **تاريخ آداب العرب**، ج3، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، مصر، ط1، 1359هـ،1940م.

127- يحيّى شامي: **أروع ما قيل في الرّثاء**، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان، ط1، 1992م.

128- يحيّى شامي: **الخنساء شاعرة الرّثاء**، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،1420هـ، 1999م.

2- <u>: الـــرســـائـــل الجـــامعيـــة:</u>

129- السّعيد لراوي: **ظاهرة الحزن عند السّياب**، رسالة ماجستير، معهد الآداب، باتنة، الجزائر، 1986م.

130- نوّاف الحميدي الرّشيدي: **الصورة الفنية في شعر أسامة بن منقذ**، إشراف: محمد حسن الرّبايعة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2011م.

3- <u>المجـــــــــــــلاّت</u>

131- ناهد أحمد الكسواني: **تجليات التناص في شعر سميح القاسم**، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، الجزائر.

ملخص عربي، انجليزي

ملخص البحث:

" تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ " هو عنوان الرسالة التي هي دراسة تكميلية لنيل درجة الدكتوراه، تناولت الدراسة ظاهرة الحزن في شعر أسامة بن منقذ، وتتبعت أسبابها ودواعيها وتجلياتها في شعره، ومدى أثرها في البناء الفني لشعره.

قامت الرسالة على ثلاثة فصول، تسبقهما مقدمة تعرض أهمية الموضوع وسبب اختياره والمنهج المتبع، أمّا الفصل الأول فقد تناول سيرة الشاعر أسامة بن منقذ، مفهوم الحزن كمصطلح لغة واصطلاحًا وأسبابه ودواعيه ولمحة موجزة عن ظاهرة الحزن في الشعر العربي، أمّا الفصل الثاني فعنونته بـ: تجليات الحزن في شعر أسامة بن منقذ، فيه تطرّقت إلى أشكال وتمظهرات الحزن في ديوان الشاعر أسامة بن منقذ، أيّ الجانب الموضوعي لقصيدة الحزن لدى الشاعر، في حين عنونت الفصل الثالث شعر أسامة بن منقذ دراسة أسلوبية فنية والذي تناولت فيه اللّغة، الأسلوب، الخيال، الألفاظ، الموسيقى، التناص، الصورة البيانية والبديعية، كما ذيّلت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع وملخص البحث باللّغتين العربية والانجليزية، وفهرس الموضوعات.

Summary:

"The manifestations of sadness in the poetry of Oussama ben Mounketh" is the title of the thesis, which is a supplementary study to obtain the degree of doctorate, The study dealt with the phenomenon of sadness in the poetry of Oussama ben Mounketh, and followed the

reasons and reasons and manifestations in poetry, and the extent of its impact in the artistic construction of his hair.

The thesis was based on three chapters, preceded by an introduction that presents the importance of the topic, the reason for its choice, and the method followed. As for the first chapter, it dealt with the biography of the poet Oussama ben Mounketh, the concept of sadness as a term of language and terminology, its causes and causes, and a brief overview of the phenomenon of sadness in Arab poetry, while the second chapter has its title manifestations Sadness in the poetry of Oussama ben Mounketh, in which I touched on the forms and manifestations of sadness in the poet Oussama ben Mounketh poetry, that is, the objective aspect of the poem of sadness to the poet, while the third chapter titled Oussama ben Mounketh 's poetry is a stylistic and artistic study in which I dealt with

language, style, imagination, words , Music, Tana , Graphic and Alibdieih, as appended to the research included the conclusion the most important outcomes of the study, in addition to the list of sources references abstract in Arabic and English, and finally index of topics.

فـهـرس المـوضـوعـات

فـهـــرس المـوضـوعــات

شكـــر وعـرفـان	
مقــدمـــــــة	أ- ث
الفصل الأول: الشاعر وظاهرة الحزن – الأسباب والدوافع-	75-08
أولاً: الشّـاعـــر أسـامــة بـن منقـذ	23-08
1- عـصـــــــــــره	16-08
2- بـيئـتـــــــــــه	17-16
3- اســمـــه ونسبـــــــه	17
4- مـــــولـــــــــده	18
5- أســـــرتـــــــــه	19-18
6- نشـــأتـــه وأخـبـــــاره	20-19
7- نشأته الأدبية وآراء شيوخه فيه	22-20
8- وفـــــاتـــــــه	22
ثـــانيًـــا: " الحـــزن "	26-23
1- مفـهـوم الحـزن لغـة واصطـلاحًـــا	24-23
2- أنـواع الحـــــــــــزن	26-25
ثـــالثًـــا: أسباب الحزن في شعر أسامة بن منقذ	39-26
رابعًـــــا: لمحة تاريخية عن ظاهرة الحزن في الشعر العربي	75-39
الفصـل الثـاني: تجليـات الحـزن في شعـــر أسامـة بن منقذ	165-78
1- الحُـــــب	84-79
2- الظـلـــــم	93-85
3- الغـربـــة	107-94
4- الحنيـــن	116-108
5- الـــــزلازل	123-117
6- رثـاء الأموات	132-124

7- الشّكـــــوى	145-133
8- الشّيخـوخـة	149-146
9- الــزهـــد	165-150
الفصل الثالث: شعر أسـامـة بن منقذ (دراسة أسلوبية فنية)	259-168
أولاً: الخصائـــص الأسلـوبيـة	234-168
1- اللّغـــــة	194-168
2- الأسلـوب	208-194
3- الخيــال	210-208
4- الموسيقى	220-210
5- التناص	234-220
ثانيًا: الخصائـــص الفنيـــــة	259-234
1- التشبيـه	240-235
2- الاستعارة	246-240
3- الكنـاية	253-247
4- الجنـاس	254-253
5- الطبــاق	257-254
6- التصريع	256
7- التطريـز	259-257
خـاتمــة	264-261
قائمة المصـادر والمـراجـع	275-266
ملخـص عـربي انجليـزي	278-277
فـهــرس المـــوضوعـات	281-280